

تفسير

مقدمات الكليات

تأليف

السيد قاسم علي رحمتي الطهراني

بتحقيق

السيد محمد حميد الهدي الغاري

في الاجتماعات ودراسات

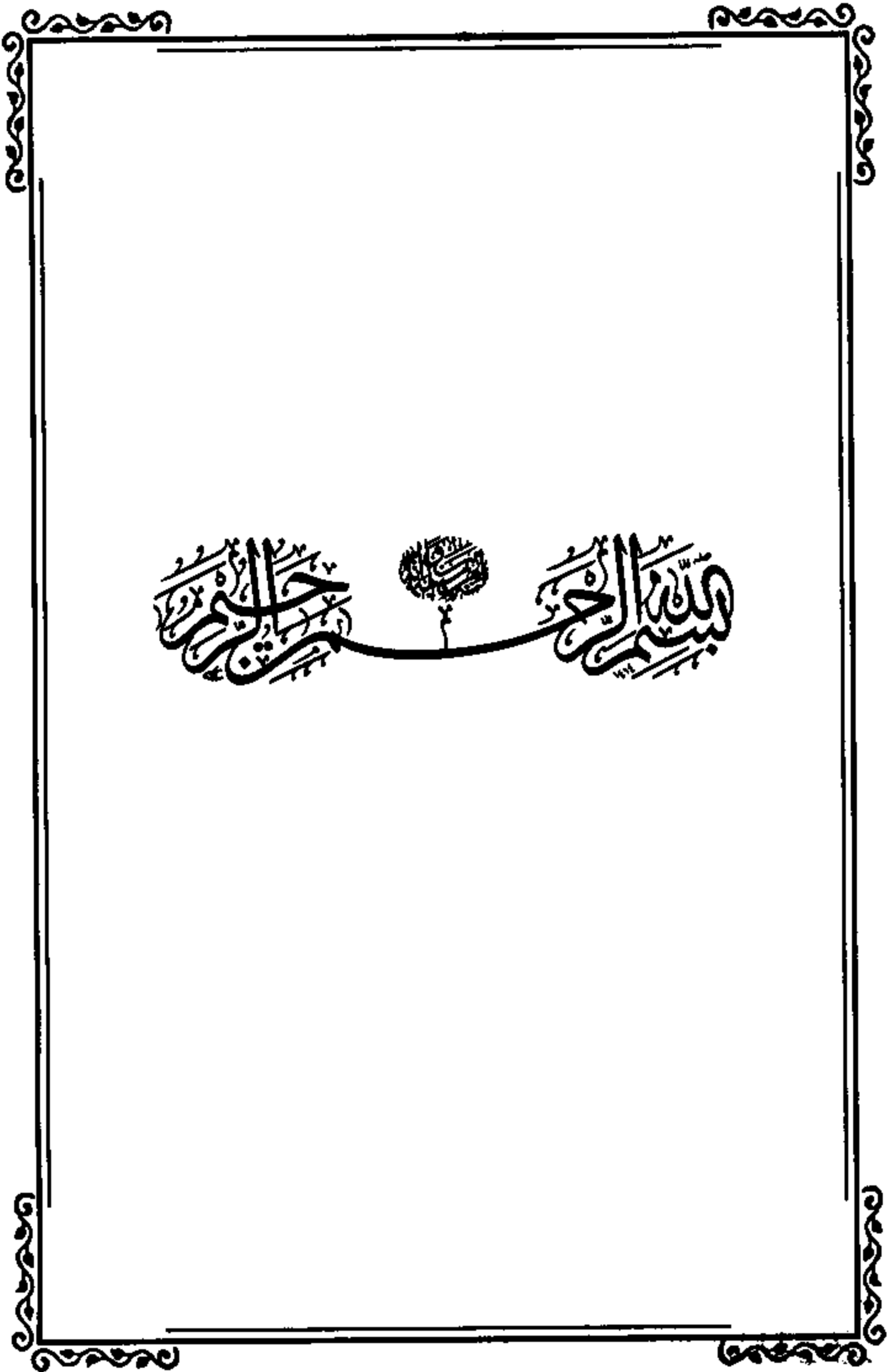
مجمع تقي العلماء ايشيما

من مؤسسه علماء الكليات الهدي

الجلد الثاني عشر



تَفْسِيرُ
مُقْتَدِيَةِ الشَّكْلِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير
مقدماتها

تأليف

السيد الشريف علي رضا شيرازي

المجلد الثاني عشر

مختص

السيد محمد منير العيسى الحارثي

مراجعة وتدقيق

مجلد تقي لاهب اشعبي

من مؤسسه دارالكتب والادب



الحائري الطهراني، السيد مير علي (١٢٧٠ - ١٣٥٣ هـ)

تفسير مقتنيات الدرر و مقتطعات الدرر

العنوان والمؤلف: تفسير مقتنيات الدرر / المؤلف السيد مير علي الحائري الطهراني

تحقيق: محمدرحيد الطبسي الحائري / مراجعة وتدقيق: محمدتقي الهاشمي /

تصحیح: حسين طه نيا

الناشر: قم. دارالكتاب الإسلامي، ٢٠١٢ م - ١٣٩١ هـ. ش

المجموعة: (١ - ١٢ مجلد) لغة الكتابة: اللغة العربية

الموضوع: تفاسير شيعية - القرن ١٤ هـ

تسلسل: ١٣٨٨ م ٢٣ ح ٩٧ BP

تسلسل ديوي: ٢٩٧/١٧٩

رقم الإيداع بالمكتبة الوطنية: ١٨٢٧٥٨٦

با مشاركت و حمایت معاونت امور فرهنگي

وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامي چاپ و منتشر گرديد

الكتاب تفسير مقتنيات الدرر (ج ١٢)

المؤلف السيد مير علي الحائري الطهراني

الناشر مؤسسة دارالكتاب الإسلامي

الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م

المطبعة ستاره

عدد المطبوع (٢٠٠٠) دورة

الترقيم الدولي للمجموعة ٩ - ٢٧٦ - ٤٦٥ - ٩٦٤ - ٩٧٨

الترقيم الدولي (ج ١٢) ٢ - ٢٨٨ - ٤٦٥ - ٩٦٤ - ٩٧٨

السعر ٩٠٠/٠٠٠ ريال

قم - ميدان المعلم - شارع سمية - رقم ٢٢ - رقم المبنى ٢٦

تليفون: ٧٧٤٤٩٧٠ - ٧٧٣٠٩٩٤ فاكس: ٧٨٣٧٣٨٣

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

مكية. عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: «من قرأ سورة القيامة شهدت أنا وجبرئيل له يوم القيامة أنه كان مؤمناً بيوم القيامة وجاء ووجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ① وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ② أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ
 يَجْمَعَ عِظَامَهُ ③ بَلْ قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ ④ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ⑤
 يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ⑥ فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ ⑦ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ⑧ وَجُمِعَ الشَّمْسُ
 وَالْقَمَرُ ⑨ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ ⑩ كَلَّا لَا وَزَرَ ⑪ إِنَّ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ
 ⑫ يُبْنُوا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ⑬ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ⑭ وَلَوْ
 أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ⑮

لَمَّا خَتَمَ اللَّهُ سُورَةَ الْمَدَّثَرِ بِذِكْرِ الْقِيَامَةِ وَأَنَّ الْكَافِرَ لَا يُؤْمِنُ بِهَا افْتَتَحَ
 هَذِهِ السُّورَةَ بِذِكْرِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا. قُرِئَ لَا أُقْسِمُ وَقُرِئَ لِأُقْسِمُ، وَمِنْ قَرَأَ لَا
 أُقْسِمُ كَانَتْ (لَا) صِلَةً كَالَّتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ آهْلَ الْكِتَابِ﴾^(١) وَمَا كَانَ
 لِتَأْكِيدِ مَدْخُولِهِ لَا يَدُلُّ عَلَى النَّفْيِ وَإِنْ كَانَ فِي الْأَصْلِ لِلنَّفْيِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

تذكرت ليلي فاعترتني صباية وكاد ضمير القلب لا يتقطع

فإن قيل: لا وما والحروف التي هي زوائد ويؤتى بها للتأكيد إنما تكون بين كلامين مثل قوله: ﴿فِيمَا خَطَبْتَهُمْ﴾^(١) و﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾^(٢) ومثل قوله: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ﴾^(٣) ولا يكاد يزداد في أول الكلام.

فالجواب أن عنوان القرآن مجاري الكلام والسورة الواحدة، والذي يدل على ذلك أنه قد يذكر الشيء في سورة ويجيء جوابه في سورة أخرى مثل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾^(٤) جاء جوابه في سورة أخرى ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٌ﴾^(٥).

فعلى كون «لا» للتأكيد فالمعنى أقسم ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ وعلى كونها بمعنى النفي ردة على المنكرين بالبعث أي ليس الأمر على ما يزعمون ثم ابتداء بالقسم فقال: ﴿أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فيكون تقدير الكلام: لا والله إن البعث حق. وأما ما قيل: من أن معنى الآية نفي الإقسام لوضوح الأمر كما عن بعض المفسرين فيأباه تعيين المقسم به.

﴿وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ والقول في لا أقسم مثل الأول والمراد بالنفس اللوامة هي النفس الواقعة بين الأمانة والمطمئنة ولها وجهان: وجه يلي النفس الأمانة تلومها على فعل المعاصي وترك المبالغة والإقدام على المخالفة ووجه يلي النفس المطمئنة فإذا نظرت إلى المطمئنة تنورت بنورانيتها وانصبغت بصبغتها تلوم أيضا نفسها على التقصيرات الواقعة منها والمحذورات الكائنة

١- سورة نوح: ٢٥.

٢- سورة آل عمران: ١٥٩.

٣- سورة النساء: ١٥٤.

٤- سورة الحجر: ٦.

٥- سورة القلم: ٢٢.

عليها فهي لا تزال لائمة قائمة على سوق لومها إلى أن تحقق بمقام الاطمينان ولذلك استحقت أن أقسم الله بها على قيام البعث والحشر.

وبالجملة فجواب القسم محذوف لدلالة قوله: ﴿أَجَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ على الجواب لأن مفاد هذه الآية بلى لبعثن، والمراد من الإنسان الجنس والإسناد إلى الكل بحسب البعض كثير، والهمزة لإنكار الواقع واستقبحه، وأن مخففة وضمير الشأن اسمها محذوف، أي أيحسب الإنسان الذي ينكر البعث أن الشأن والقصة لن نجمع عظامه البالية؟ فإن ذلك حسابان باطل فإننا نجمعها بعد تشتتها وبعد ما نسفتها الريح وطيرتها في أقطار الأرض وألفتها في البحار.

﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسْوَى بِنَاتِهِ﴾ إيجاب لما ذكر بعد النفي وهو الجمع أي نجمعها حال كوننا قادرين أن نجمع سلامياته ونضم بعضها إلى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام. جمع سلامي كحباري وهي العظام الصغار في اليد والرجل وفي الحديث: «كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس»^(١) أي على صاحبه صدقة من أي أنواع الصدقة من قول أو فعل أو مال. والبنان مفرد اللفظ مجموع المعنى وفي تأويل العظام إشارة إلى كبار الأعمال من الحسنة والسيئة، وفي البنان إلى صغار الأعمال من الحسنة والسيئة فإن الله يجمع كلا منهما بالحساب ويجازي عليها.

﴿بَلَى يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَانَهُ﴾ واللام في ﴿لِيَفْجُرَ﴾ للتأكيد مثل قوله: ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾^(٢) في أنصحكم. فأضرب سبحانه عن توبيخهم في إنكار

١- مسند أحمد حبل، ج ٢، ص ٣١٦، ورواه البخاري في صحيحه، ج ٣، ص ١٧١.

٢- سورة الأعراف: ٦١.

البعث ووبخهم بفجورهم أي يريد الإنسان ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الأوقات ويستديم عليه ويريد الحياة لا لما ينفعه بل ليتعاطى الفجور.

﴿يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أصل أيان «أي آن» وهو خبر مقدم لقوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: متى يكون؟ قيل: هذا السؤال استهزاء فالمراد بالفجور حيثئذ هو التكذيب وقيل: معناه إنه يقول: أعمل وأتوب، يستعجل بالمعصية ويسوف التوبة ويقول غد بعد غد.

﴿إِنَّا بَرَقَ الْقَمَرُ﴾ أي: شخص وتخيّر فزعاً عند معاينة الموت فلا يطرف من شدة الخوف، وقيل: لما يرى من أهوال القيامة، من برق الرجل^(١) إذا نظر إلى البرق فدهش ثم استعمل في كل حيرة وإن لم يكن هناك نظر إلى البرق. ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾ وذهب ضوءه وفيه رد لمن عبد القمر فإن القمر لو كان إلها كما زعمه العابد لدفع عن نفسه الخسوف ﴿وَجِجَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ في ذهاب ضوءهما أو المراد جمع بينهما في الطلوع من المغرب أو في الإلقاء إلى النار ليكون حسرة على من يعبدهما وجاز تكرار القمر لأنه أخبر عنه بغير الخبر الأول. ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ المنكر للقيامه ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم الواقع فيه هذه الأمور قول الأيس: ﴿أَيْنَ الْمَفْرُ﴾ أين الفرار أو أين موضع الفرار قال الزجاج: المفرّ بفتح الفاء الفرار وبالكسر موضع الفرار.

﴿كَلَّا لَا وَتَدَّ﴾ لا مهرب، مستعار من الجبل فإن الوزر محرّكة الجبل المنيع. وخبر «لا» محذوف أي لا ملجأ هناك أو في الوجود ومن بلاغات الزمخشري في عباراته: اتل على كل من وزر: ﴿كَلَّا لَا وَتَدَّ﴾^(٢).

﴿إِنَّكَ رَبُّكَ يَوْمَئِذٍ تَتَقَرَّرُ﴾ أي: إليه تعالى استقرار العباد وإلى حكمه يعود

١- من باب نصر.

٢- الكشاف، ج ٣، ص ١٦٩.

أمرهم كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِيَّاكَ لَرَجِيءٌ﴾ ... ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾^(١) يدخل من يشاء الجنة ومن يستحق النار النار.

﴿يَبُوءُ الْإِنْسَانُ بِوَمِيهِ﴾ أي: يخبر كل امرئ حال العرض والمنخبر هو الله ﴿بِمَا قَدَّمَ وَآخَرَ﴾ من حسنة أو سيئة أو بأول عمله وآخره أو بما قدم من مال تصدق به وبما أخر فخلفه. قال عبد الله الأنصاري: قدمت الذنوب بالجرأة وعقبت مالك للحسرة فقدم التوبة حتى تذهب الذنوب ولا تبقى وتصدق بما لك فيبقى.

﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ أي: إن جوارحه تشهد عليه بما عمل فهو شاهد على نفسه بشهادة جوارحه عليه وقيل: أقام جوارحه مقام نفسه ولذلك أنت والمراد من الإنسان هاهنا الجوارح وقيل: الإنسان بصير بنفسه وعمله والتاء للمبالغة.

﴿وَلَوْ أَلْفٌ مَّعَاذِيرُهُ﴾ أي: ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه للذب عن نفسه بعد شهادة الجوارح لم ينفعه ذلك وقيل: المعاذير الستور والمعنى على هذا القول: وإن أسبل^(٢) الإنسان الستور ليخفي ما يعمل فإن نفسه شاهدة عليه.

لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۖ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۗ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَالْبَعْ قُرْآنَهُ ۗ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۗ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۗ ﴿٢٠﴾ وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ ۗ ﴿٢١﴾ وَجُودٌ بِوَمِيهِ نَاصِرَةٌ ۗ ﴿٢٢﴾ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ ۗ ﴿٢٣﴾ وَجُودٌ بِوَمِيهِ بَاسِرَةٌ ۗ ﴿٢٤﴾ تَلْفُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَافِرَةٌ ۗ ﴿٢٥﴾

﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ﴾ أي: بالقرآن ﴿لِسَانَكَ﴾ مادام جبرئيل يقرء ويلقي عليك ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ بأخذه مخافة أن ينفلت وكان ~~يؤخر~~ إذا نزل عليه القرآن عجل

١- سورة العلق: ٨ و ٩.

٢- أسبل الستر: أرخاه.

بتحريك لسانه لحرصه على ضبطه.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ في صدرك بحيث لا يخفى عليك شيء من معانيه
 ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أي: إثبات قراءته في لسانك بحيث تقرأه متى شئت فالقرآن
 مصدر بمعنى القراءة كالغفران بمعنى المغفرة، والقراءة ضم الحروف
 والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل لكن لا يقال ذلك لكل جمع فلا يقال:
 قرأت القوم إذا جمعتهم.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾ أي: أتمنا قراءته عليك بلسان جبرئيل، وإسناد القراءة إلى
 نون العظمة للمبالغة في الثاني ﴿فَاتَّبَعُ قُرْآنَهُ﴾ أي: فاشرع فيه بعد فراغ جبرئيل
 منه بلا مهلة، وحاصل المعنى أنه إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي: بيان ما أشكل من معانيه وأحكامه وسمي ما
 يشرح المبهم من الكلام بيانا، وليس في الآية ما يدل على جواز تأخير البيان عن
 وقت الحاجة كما زعمه بعض وإنما يدل على تأخير البيان عن وقت الخطاب.

﴿كَلَّا﴾ أي: لا يتدبرون القرآن وما فيه من البيان ﴿بَلْ تُحِثُّونَ الْعَاطِيَةَ *
 وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: أنتم تختارون الدنيا على العقبى فتعملون للدنيا لا للآخرة
 جهلا منكم وسوء اختيار.

ثم بين سبحانه حال الناس في الآخرة فقال: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني يوم
 القيامة ﴿قَائِمَةٌ﴾ ناعمة بهجة حسنة، والنضرة طراوة البشرة وجمالها والناصر
 الغض الناعم من كل شيء. ووجوه مبتدئ وناضرة خبره وصح وقوع النكرة مبتدئ
 لأن المقام مقام تفصيل ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾ قوله: ﴿نَاطِرَةٌ﴾ خبر ثان للمبتدأ والنظر
 تقليب البصر وتوجيه البصيرة لإدراك الشيء والله منزّه عن الإدراك بالبصر.

واختلف في معنى النظر على وجهين: أحدهما: أن معناه نظر العين

والثاني: أنه الانتظار. واختلف من حمله على نظر العين على قولين:

أحدهما: أن المراد إلى ثواب ربها ناظرة أي هي ناظرة إلى نعيم الجنة حالا بعد حال فيزداد سرورها بذلك. والمراد من الوجوه أصحاب الوجوه روي ذلك عن جماعة من علماء المفسرين من الصحابة والتابعين لهم وغيرهم وحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقام المضاف كما في قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾^(١) أي: أمر ربك وقوله: ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾^(٢) أي: إلى طاعة العزيز الغفار وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾^(٣) أي: أولياء الله.

والقول الثاني: أن النظر بمعنى الرؤية أي الوجوه تنظر معاينة، روي عن الكلبي ومقاتل وعطا وغيرهم من أهل السنة. وهذا لا يجوز لأن كل منظور إليه بالعين مشار إليه بالحدقة واللحاظ، والله يتعالى عن أن يشار إليه بالعين كما يجلس عن أن يشار إليه بالأصابع وأيضا إن الرؤية بالحاسة لا تتم إلا بالمقابلة والتوجه والله يتعالى عن ذلك لأن رؤية الحاسة لا تتم إلا باتصال الشعاع بالمرئي والله منزّه عن اتصال الشعاع به. ثم إن النظر في اللغة لا يفيد الرؤية وإنما يفيد طلب الرؤية بدلالة قولهم: نظرت إلى الهلال فلم أراه، فلو أفاد النظر الرؤية لكان هذا الكلام ساقطا متناقضا ولأنا نعلم الناظر ناظرا بالضرورة ولا نعلمه رائيا بالضرورة بدلالة أنا نسأله: هل رأيت أم لا؟ ففسد القول الأول بالرؤية إرادة المعاينة.

وأما من حمل النظر في الآية على الانتظار فإنهم اختلفوا على أقوال: أحدها: أن المعنى منتظرة لثواب ربها روي ذلك عن مجاهد والحسن وسعيد ابن جبير والضحاك وهو المروي عن علي بن أبي طالب. ومن اعترض على هذا

١- سورة الفجر: ٢٢.

٢- سورة غافر: ٤٢.

٣- سورة الأحزاب: ٥٧.

أن النظر بمعنى الانتظار لا يتعدى إلى ولا يقال: انتظرت إليه وإنما يقال: انتظرته، فالجواب عنه على وجوه: منها أنه قد جاء كثيراً في كلام العرب بمعنى الانتظار معدى إلى نحو قوله:

وجوه يوم بدر ناظرات
إلى الرحمن تنتظر الفلاحاً

وكذلك الناظرة بمعنى المنتظرة مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ﴾^(١) أي: فمنتظرة واستعمل النظر بمعنى الانتظار معدى إلى كثيراً كقول الآخر:

إني إليك لما وعدت لناظر
نظر الفقير إلى الغني الموسر

ونظائره كثيرة.

ومنها: أن معنى إلى في الآية اسم لا حرف وهو واحد الألف التي هي النعم فإن في واحده أربع لغات إلى وإلا وإلى وإلى مثل جدي وسقط التنوين بالإضافة وليس لأحد أن يقول: إن هذا من قول المتأخرين وقد سبقهم الإجماع، فإننا لا نسلم ذلك لما ذكرناه من أن علياً والحسن البصري ومجاهد وغيرهم قالوا: المراد بذلك: تنتظر الثواب.

ومنها أن المعنى قطعوا آمالهم عن كل شيء سوى الله فكفى سبحانه عن الطمع بالنظر كما أن الرعية تتوقع نظر السلطان وتطمع إفضاله دون غيره. فلو قيل: إذا كان المراد بالنظر نظر العين حقيقة وبمعنى الانتظار مجازاً فكيف يحمل عليهما؟ فالجواب أنه عند المتكلمين في أصول الفقه يجوز أن يراد بلفظ واحد إذ لا تنافي بينهما وهو اختيار المرتضى ولم يجوز أبو هاشم إلّا إذا تكلم به مرتين مرة يريد النظر ومرة يريد الانتظار.

فإن قيل: المنتظر لا يكون نعيمه خالصاً فكيف يوصف أهل الجنة بالانتظار فالجواب أن المنتظر لشيء لا يحتاج إليه وهو واثق بوصوله إليه لا يهتم بذلك ولا ينغص عيشه وسروره بالانتظار وإنما يلحق المنتظر الهم إذا كان يحتاج إلى ما ينتظره في الحال ويلحقه بفوته مضرة. انتهى.

﴿وَوَجُوهٌ يُّؤْمِنُونَ﴾ الظرف متعلق بقوله: ﴿بِأَسْرَةٍ﴾ أي: شديد العبوس مظلمة وهي وجوه الكفرة والمنافقين والبسر^(١) الاستعجال بالشيء قبل أوانه وذلك بيان لحالهم قبل الانتهاء بهم إلى النار فخص لفظ البسر.

﴿تَنْظُرُونَ أَن تَمْلِكُوا بِهَا فَافِرَةً﴾ قيل: الظن هنا معناه اليقين وقيل: الظن بمعناه لا بمعنى اليقين لأنه لو كان بمعنى العلم لكان ﴿أَنْ﴾ بعده مخففة من المثقلة ولا تقع أن المصدرية بعد العلم، أي تظن بالأمارات أن تعمل بها داهية تفقر وتكسر ظهورهم فيكون حال الوجوه الراجية للأحوال السارة على الضد من حال الوجوه الظانة الفارقة لأن داهيتهم تقصم فقار الظهر ومنه سمي الفقير فان الفقير كسر فقار ظهره فجعله فقيراً أي مفقوراً، فوجوه يومئذ ناظرة للتنور بنور الفيض والجنة والإيصال بعالم السرور الدائم ووجوه كالحة بأسرة لجهامة^(٢) ظلمة ما بها من الجحيم والبعد والأهوال وسوء الجيران.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّرَاقِيَ﴾ (٣٦) ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ (٣٧) ﴿وَوَظَنَّا أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ (٣٨) ﴿وَأَلْفَتَا الْسَاقُ بِالسَّاقِ﴾ (٣٩)

﴿كَلَّا﴾ ردع عن إثارة العاجلة على الآجلة أي: ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين أيديكم من الموت الذي ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة ﴿إِذَا بَلَغَتِ النَّرَاقِيَ﴾ الضمير للنفس أو الروح وإن لم يجر له ذكر

١- بالفتح مصدر قولك بسره من باب نصر.

٢- جهم من باب كرم: جهامة، بالفتح: صار عابس الوجه.

لدلالة الكلام كقوله: ﴿مَا تَرَكَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّكَ﴾^(١) والترقي العظام المكتنفة بالخلق وكنتي بذلك عن الإسفاء^(٢) على الموت.

﴿قِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ قال من حضره من أهله: هل من راق يرقيه وطيب يشافيه ويداويه؟ فلا يجدونه والتمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من عذاب الله شيئاً. وقيل: المعنى قالت الملائكة: من يرقى بروحه، أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ عن ابن عباس وجماعة.

﴿وَلَقَدْ أَتَى الْفِرَاقُ﴾ وأيقن المحتضر حين عاين ملك الموت ونزل ما به هو الفراق من الدنيا وعبر عما حصل له من المعرفة حيثئذ بالظن لأن الإنسان لشدة حبه للحياة الدنيا مادامت روحه متعلقة ببدنه يطمع في الحياة ولا ينقطع رجاؤه. قال الرازي: هذه الآية تدل على أن الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت البدن لأن الله سمى الموت فراقاً والفراق إنما يكون إذا كانت الروح باقية فإن الفراق والوصال صفة وهي تستدعي وجود الموصوف^(٣).

﴿وَأَلْفَتْ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ التفت ساقه بساقه التواء إحداهما بالأخرى قال سعيد بن المسيب: المراد بهما ساقاه حين تلقان في أكعابه^(٤) أو المراد التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة على أن الساق مثل في الشدة^(٥)، وجه المجاز أن الإنسان إذا دهمته شدة شمر لها عن ساقيه فليل للأمر الشديد «ساق» من حيث إن ظهورها لازم لظهور ذلك الأمر وقيل: المعنى هو أن يضطرب فلا يزال يمد إحدى رجله ويرسل الأخرى فيلف إحداهما

١- سورة فاطر: ٤٥.

٢- الإسفاء في الشيء: الإسراع فيه.

٣- تفسير الرازي، ج ٣٠، ص ٢٣١.

٤- الكشاف، ج ٤، ص ١٩٣، و تفسير النسفي، ج ٤، ص ٣٠١.

٥- الكشاف، ج ٤، ص ١٩٣.

بالأخرى وحاصل المعاني أنه تتابعت عليه الشدائد فلا يخرج من شدة إلا جاءته أشد منها.

إِن رَّبِّكَ يُؤَمِّدُ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾

﴿إِن رَّبِّكَ يُؤَمِّدُ الْمَسَاقُ﴾ أي: إلى الله وإلى حكمه يساق الإنسان لا إلى غيره هنالك والمساق مصدر ميمي بمعنى السوق والألف واللام عوض عن المضاف إليه أي سوق الإنسان.

فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَنَطَّرُونَ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٣٥﴾

﴿فَلَا صَدَقَ﴾ الإنسان ما يجب تصديقه من الرسول والقرآن أي: لم يصدق ف (لا) هنا بمعنى لم وحسن دخول (لا) على الماضي تكراره كما تقول: لا قام ولا قعد. وقيل: معنى لا صدق لم يؤد زكاته وتقديم الزكاة على الصلاة مع أن دأب القرآن تقديم ذكر الصلاة مراعاة الفواصل ﴿وَلَا صَلَّى﴾ ما فرض عليه وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون ومكلفون بالفروع.

﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ كذب القرآن والرسول وأعرض عن الطاعة.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَنَطَّرُونَ﴾ يرجع إلى أهله وبيته يختال في مشيه ويتبختر افتخاراً بذلك والمط هو المد فإن المتبختر يمد خطاه والتمدد في المشي من لوازم التبخر فجعل كناية عنه فيكون أصله يتمطط أبدلت الطاء الأخيرة ياء كراهة اجتماع الأمثال أو مأخوذ من المطا وهو الظهر فإنه يلويه ويحركه في تبخره فألفه حيثئذ مبدلة من واو، وفي الحديث «إذا مشت أمتي المطيطا وخدمتهم فارس والروم كان بأسهم بينهم»^(١) والمطيطا كحميراء مد اليد في المشي.

١- معاني الأخبار، للصدوق، ص ٣٠١، و الصحاح، للجوهري، ج ٣، ص ١١٦.

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ • ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ هذا تهديد من الله مستعمل في موضع الويل مشتق من الولي والمعنى وليك المكروه والعذاب يا أبا جهل ومن تبعك، وجاءت الرواية أن رسول الله ﷺ أخذ بيد أبي جهل ثم قال له: أولى لك فأولى، فقال أبو جهل: بأي شيء تهددني؟ لا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلوا بي شيئاً وإني لأعزُّ أهل الوادي، فأنزل الله سبحانه بهذه الآية كما قال له رسول الله ﷺ. والتكرار للوعيد على الوعيد وقيل: معنى الآية وليك العذاب في الدنيا كما وقع له يوم بدر ووليك في القبر ثم أولى لك يوم القيامة فلذلك ادخل ثم أولى لك في النار.

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ نَفْسَةً مِّن مِّنِّي يَتَّقِي ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ جَعَلَ مِنهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُبْعِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ مهملاً لا يؤمر ولا ينهى أي: لا ينبغي أن يظن ذلك تقول: أسديت حاجتي وسديتها إذا أهملتها ولم تقضها ﴿أَلَمْ يَكُنْ نَفْسَةً مِّن مِّنِّي يَتَّقِي﴾ أي: كيف يظن أن يهمل وهو يرى في نفسه من تنقل الأحوال ما يمكنه أن يستدل به على أن له صانعاً حكيماً أكمل عقله وأقدره في أموره فيعلم بذلك أنه لا يجوز أن يهمله عن التكليف. ولما كان استبعادهم للإعادة استدلل سبحانه ببدء خلقه على تحقق الإعادة والبعث، ويعنى أي: يصب ويراقد في الرحم وسمي مني لذلك لما يعنى فيها من دماء القرابين^(١) وحاصل المعنى ألم يكن الإنسان في بدء خلقه ماءً قليلاً بخسة القدر واستقذار الطبع وكان خسيس القدر أولاً ثم استكمل في القدرة ثانياً حتى

صار بشراً سوياً فكيف يليق بمثل هذا أن يتمرد عن طاعة خالقه ومدبره.
﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ أي: ثم كان المني بعد أربعين يوماً قطعة دم نجاس غليظ
أحمر بعد أن كان ماءً قليلاً أبيض ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ أي: فخلق من تلك العلقة
خلقاً في الرحم وسوى صورته وأعضائه الباطنة والظاهرة في بطن أمه وسواه
إنساناً مستوياً وأكمل قوته وسواها للأفعال في جعله له جوارح وخص لكل
جارحة من جوارحه عملاً.

﴿جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ من الإنسان أو من المني الصنفين. الذكر
والأنثى بدل من الزوجين.

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾ الذي فعل هذا الفعل العجيب ﴿بِقَدْرِ عَلَنَ أَنْ يُحْيِيَ التُّوتَ﴾
فهو أهون من خلق البدء في قياس العقل لوجود الأصل، وهو عجب الذنب أو
العناصر الأصلية، قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ»
تَمَّتِ السُّورَةُ بِعَوْنِ اللَّهِ.

سُورَةُ الْإِنشَانِ

وتسمى سورة الدهر وسورة الأبرار. واختلفوا فيها فقيل: مكية كلها وقيل: مدنية كلها وقيل: إنها مدنية إلّا قوله: ﴿وَلَا تُطِغِ مِنْهُمْ عَائِثًا أَوْ كُفُورًا﴾^(١) فإنه مكّي وهو الصحيح.

قال النبي ﷺ: «ومن قرء سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريراً»^(٢) وقال أبو جعفر عليه السلام: «ومن قرء سورة هل أتى في كل غداة خميس زوجته الله من الحور العين مائة عذراء وأربعة آلاف تيب وكان مع محمد ﷺ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ① إِنَّا خَلَقْنَا
الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ② إِنَّا هَدَيْنَاهُ
السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ③ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكِينًا
وَأَغْلَلَآ وَسَعِيرًا ④ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا
كَافُورًا ⑤ حِينًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ⑥ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ
يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ⑦ وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشْكِيًا وَنِيمًا وَاسِيرًا

١- سورة الإنسان: ٢٤.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٠٦، والكشاف، ج ٤، ص ٢٠١.

﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطَعْمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا
عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿١٠﴾

قيل: الأصل «أهل أتى» لأن هل فسروه بمعنى قد وقيل: هل بمعنى الاستفهام التقريري أي أليس قد أتى عليك يا إنسان دهور ولم تكن شيئاً مذكوراً ولم تكن موجوداً فوجدت. والمراد بالإنسان آدم ﷺ وقيل: المراد به كل إنسان والألف واللام للحقيقة قيل: إنه أتى على آدم أربعون لم يكن مذكوراً لا في السماء ولا في الأرض بل كان جسداً ملقى من طين قبل أن ينفخ فيه الروح وروى العياشي بإسناده عن زرارة قال: سألت أبا جعفر ﷺ عن قوله: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ قال ﷺ: «كان شيئاً ولم يكن مذكوراً»^(١).

وقال بعض: المراد من الإنسان في الآية العلماء، لأنهم كانوا لا يذكرون فصيرهم الله بالعلم مذكورين بين الخاص والعام.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يعني ولد آدم من نطفة وهي ماء الرجل والمرأة ﴿أَمْشَاجٍ﴾ أي: أخلط من الماءين فأيهما علا ماء صاحبه كان الشبه له عن ابن عباس وجماعة، وقيل: أطوار طوراً نطفة وطوراً علقة وطوراً مضغة إلى أن صار إنساناً، وقيل: أراد اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وصفراء فهي مختلفة الألوان، وقيل: نطفة مشجت وخلطت بدم الحيض فإذا حبلت ارتفع الحيض وكما أن آدم أبوهم نفخ فيه الروح بعد مائة وعشرين سنة كذلك أولاده ينفخ فيهم الروح بعد مضي مائة وأربعين يوماً وما كان سنين في آدم كان أياماً في أولاده.

﴿تَبَتُّهُنَّ﴾ حال من فاعل ﴿خَلَقْنَا﴾ أي: مریدین اختباره وابتلاءه ليظهر أحوال بعضهم عن بعض من القبول والرد من السعادة والشقاوة ﴿فَجَعَلْنَهُ

سَبْعًا بَصِيرًا ﴿﴾ لِيَتِمَّكَنَ مِنْ اسْتِمَاعِ الْآيَاتِ التَّنْزِيلِيَّةِ وَمَشَاهِدَةِ الْآيَاتِ التَّكْوِينِيَّةِ فَهُوَ كَالْمَسَّبَبِ عَنِ إِرَادَتِهِ فَأَعْطَيْنَاهُ مَا يَصِحُّ مَعَهُ التَّكْلِيفُ وَهُوَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَسَائِرُ آلَاتِ التَّمْيِيزِ وَمَوْجِبَاتِ مَعْرِفَةِ التَّكْلِيفِ.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ وَبَيَّنَّا لَهُ الطَّرِيقَ وَأَزْحَنَّا عَنْهُ الْعِلَّةَ حَتَّى يَتِمَّكَنَ مِنْ أَدَاءِ مَا هُوَ عَلَيْهِ وَهُوَ أَدَلَّةُ الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ الَّتِي يَعْمُ جَمِيعُ الْمَكْلُفِينَ ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾ لِيَخْتَارَ إِمَّا السَّعَادَةَ وَإِنَّمَا الشَّقَاوَةَ، إِمَّا يَقْبَلُ بِحَسَنِ اخْتِيَارِهِ الشُّكْرَ لِلَّهِ وَيَعْتَرِفُ بِنِعْمِهِ وَيَقُومُ بِالْوَاجِبِ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا أَنْ يَكْفُرَ وَيَجْحَدُ نِعْمَهُ فَيَكُونُ ضَالًّا عَنِ الصَّوَابِ، فَأَيُّهُمَا اخْتَارَ جُوزِي عَلَيْهِ وَ﴿شَاكِرًا﴾ وَ﴿كَفُورًا﴾ حَالَانِ مِنْ مَفْعُولٍ ﴿هُدَيْنَاهُ﴾ وَقَرَأَ أَبُو السَّمَاكِ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ فِي ﴿إِنَّمَا﴾ وَهِيَ قِرَاءَةٌ حَسَنَةٌ وَالْمَعْنَى: أَمَّا كَوْنُهُ شَاكِرًا فَتَتَوَفَّقُنَا وَأَمَّا كَوْنُهُ كَفُورًا فَسُوءُ اخْتِيَارِهِ.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ فِي الْآخِرَةِ وَهِيَئَانَا، فَإِنَّ الِاعْتِدَادَ إِعْدَادَ الشَّيْءِ حَتَّى يَكُونَ عَتِيدًا حَاضِرًا مَتَى احْتِيجَ إِلَيْهِ ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ مِنْ أَفْرَادِ الْإِنْسَانِ الَّذِي هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴿سَلْسِلًا﴾ بِهَا يَقَادُونَ إِلَى جَهَنَّمَ، وَتَسْلُسِلُ الشَّيْءَ اضْطِرْبًا، كَأَنَّهُ تَصَوَّرَ مِنْهُ تَسْلُسِلٌ وَالسَّلْسِلَةُ بِالْفَتْحِ اتِّصَالُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ وَبِالْكَسْرِ دَائِرَةٌ مِنْ حَدِيدٍ وَنَحْوِهِ ﴿وَأَغْلَلْنَا﴾ بِهَا يَقْتَدُونَ إِهَانَةً وَتَعْذِيبًا لَا خَوْفًا مِنَ الْفِرَارِ جَمْعُ «غَلٍّ» بِالضَّمِّ وَهُوَ مَا تَطَوَّقَ بِهِ الرَّقَبَةَ لِلتَّعْذِيبِ ﴿وَسَعِيرًا﴾ نَارًا بِهَا يَحْرَقُونَ وَهَذَا حَالُ الْكَافِرِينَ بِاللَّهِ وَالْمَشْغُولِينَ عَنِ الْحَقِّ بِسَلْسَلِ التَّعْلُقَاتِ الشَّهْوِيَّةِ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا وَلذَاتِهَا الْمَحْرُومَةِ وَعَدَمِ انْقِيَادِهِمْ لِلْعِبَادَةِ. وَأَمَّا الشَّاكِرِينَ فَشَرَعَ سُبْحَانَهُ فِي بَيَانِ حَالِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ جَمْعُ بَرٍّ مِثْلَ رَبٍّ وَأَرْبَابٍ أَوْ جَمْعُ بَارٍّ مِثْلَ شَاهِدٍ وَأَشْهَادٍ وَهُوَ مِنْ بَيْرٍ خَالِقُهُ وَيَطْبِيعُهُ كَمَالُ الْإِطَاعَةِ، قِيلَ: الْبِرُّ مَنْ لَا يُؤْذِي الذَّرَّ وَلَا يَضْمُرُ الشَّرَّ. قَالَ الشَّاعِرُ:

وَلَا تُؤْذِ غَلًّا إِنْ أَرَدْتَ كَمَالِهَا فَإِنَّ لَهَا نَفْسًا تَطِيبُ كَمَالِهَا

وبرّ العبد ربّه أي: توسّع في طاعته، والبرّ خلاف البحر وتصور منه التوسّع فاشتقّ منه البرّ أي: التوسّع في فعل الخير.

وقد روى الخاصّة وجماعة من العامّة أن هذه الآية ﴿إِنَّ الْأَبْتَرَارَ يَشْرَبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكَ مَشْكُورًا﴾ نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجارية لهم تسمى فضة وهو المرويّ عن ابن عباس ومجاهد وأبي صالح وذلك أنهم قالوا: مرض الحسن والحسين عليهم السلام فعاودهما جدّهما ووجوه العرب وقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت عليّ ولديك نذرا، فنذر صوم ثلاثة أيّام إن شفاهم الله ونذرت فاطمة عليها السلام كذلك وكذلك فضة فبرئنا وليس عندهم شيء فاستقرض عليّ عليه السلام ثلاثة أصوع من شعير من يهودي وقيل: إنه أخذ ليفزل له صوفاً وجاء به إلى فاطمة عليها السلام فطحنت صاعاً منها فاخبزته وصلى عليّ عليه السلام المغرب وقربته إليهم فاتاهم مسكين يدعو لهم وسألهم فأعطوه ولم يذوقوا إلّا الماء فلما كان اليوم الثاني أخذت صاعاً فطحنته وخبزته وقدمته إلى عليّ عليه السلام فإذا بيتيم في الباب يستطعم فأعطوه ولم يذوقوا إلّا الماء فلما كان اليوم الثالث عمدت إلى الباقي فطحنته وخبزته وقدمته إلى عليّ عليه السلام فإذا أسيرٌ بالباب يستطعم فأعطوه ولم يذوقوا إلّا الماء فلما كان اليوم الرابع وقد قضا نذورهم أتى عليّ عليه السلام ومعه الحسن والحسين عليهم السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وبهما ضعف فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله ونزل جبرئيل بسورة هل أتى.

وفي رواية عطا عن ابن عباس أن عليّاً عليه السلام آجر نفسه ليستقي نخلاً بشيء من شعير ليلة حتى أصبح فلما أصبح وقبض الشعير وطحن ثلثه فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه يقال له الحريرة، فلما تمّ إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، ثمّ الليلة الثانية كذلك يتيم وثمّ الثالثة كذلك أسيرٌ من المشركين، وذكره الواحدي في تفسيره^(١).

وذكر علي بن إبراهيم أن أباه حدثه عن عبد الله بن ميمون عن الصادق عليه السلام قال: «كان عند فاطمة بنت علي شعير فجعلوه عصيدة^(١)» إلى آخر الحديث^(٢).

وفي هذا دلالة على أن السورة مدنية وقال أبو حمزة الثمالي في تفسيره: حدثني الحسن بن الحسن أبو عبد الله بن الحسن أنها مدنية نزلت في علي وفاطمة رضي الله عنهما السورة كلها حدثنا^(٣) السيد أبو المحامد مهدي بن نزار الحسيني القائني قال: أخبرني الحاكم أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال: حدثنا أبو نصر المفسر قال: حدثني عمي أبو حامد إملاء قال: حدثني الفزاري أبو يوسف يعقوب بن محمد المقرئ قال: حدثني محمد بن يزيد السلمى قال: حدثنا زيد بن أبي موسى قال: حدثني عمرو بن هارون عن عثمان بن عطا عن أبيه عن ابن عباس قال: أول ما أنزل بمكة: اقرأ باسم ربك، ثم ن والقلم، ثم المزمّل، ثم المدثر، ثم تبت، ثم إذا الشمس كورت، ثم سبح اسم ربك الأعلى ثم الليل ثم والفجر، ثم والضحى، ثم ألم نشرح، ثم والعصر، ثم والعاديات، ثم إنا أعطيناك، ثم الهاكم ثم رأيت، ثم الكافرون، ثم ألم تر، ثم قل أعوذ برب الفلق، ثم الناس، ثم التوحيد، ثم والنجم، ثم عبس، ثم إنا أنزلناه، ثم والشمس، ثم البروج، ثم والتين، ثم لإيلاف، ثم القارعة، ثم القيامة، ثم الهمزة، ثم والمرسلات، ثم ق، ثم لا أقسم، ثم الطارق، ثم ص، ثم الأعراف، ثم قل أوحى، ثم يس، ثم الفرقان، ثم الملائكة، ثم كهيعص، ثم طه، ثم الواقعة، ثم الشعراء، ثم النمل، ثم القصص، ثم بني إسرائيل، ثم يونس، ثم هود، ثم يوسف، ثم الحجر، ثم الأنعام، ثم الصافات، ثم لقمان، ثم القمر، ثم

١- بفتح العين، دقيق يلت بالسمن ويطبخ.

٢- منقول من مجمع البيان.

٣- المصدر السابق نفسه، وذهب إليه أبو حمزة الثمالي في تفسيره، ص ٤٢٠، رقم ٣٤٥.

السبا، ثم الزمر، ثم حم المؤمن، ثم حم السجدة، ثم حمعسق، ثم الزخرف، ثم الدخان، ثم الجاثية، ثم الأحقاف، ثم الذاريات، ثم الغاشية، ثم الكهف، ثم النحل، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم الأنبياء، ثم المؤمنون، ثم الم تنزيل، ثم الطور، ثم الملك، ثم الحاقة، ثم ذو المعارج، ثم عم، ثم النازعات، ثم انفطرت، ثم انشقت، ثم الروم، ثم العنكبوت، ثم المطففين. فهذه السور وهي خمس وثمانون سورة أنزلت بمكة، ثم أنزلت بالمدينة: البقرة، ثم الأنفال، ثم آل عمران، ثم الأحزاب، ثم الممتحنة، ثم النساء، ثم إذا زلزلت، ثم الحديد، ثم سورة محمد، ثم الرعد، ثم سورة الرحمن، ثم هل أتى، ثم الطلاق، ثم لم يكن، ثم الحشر، ثم إذا جاء نصر الله، ثم النور، ثم الحج، ثم المنافقون، ثم المجادلة، ثم الحجرات، ثم لم تحرم، ثم الجمعة، ثم التغابن، ثم سورة الصف، ثم سورة الفتح، ثم المائدة، ثم سورة التوبة. فهذه ثمانية وعشرون سورة، وقد رواه الأستاذ أحمد الزاهد بإسناده عن عثمان بن عطا عن أبيه عن ابن عباس في كتاب «الإيضاح» وزاد فيه: وكانت إذا نزلت سورة بمكة ثم يزيد الله فيها ما يشاء بالمدينة.

وإسناده عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن البصري أن أول ما أنزل الله من القرآن بمكة على الترتيب: اقرأ باسم ربك، ون، والمزمل - إلى قوله - : والذي نزل بالمدينة: ويل للمطففين، والبقرة، والأنفال، وآل عمران، والأحزاب، والمائدة، والممتحنة، والنساء، وإذا زلزلت، والحديد، وسورة محمد ﷺ، والرعد، والرحمن، وهل أتى، إلّا قوله: ﴿فَلَا تُطِيعُ﴾ فهذا ما أنزل بالمدينة فجميع سور القرآن مائة وأربع عشر سورة.

وبالجملة في المجالس عن الصادق وعن أبيه أن الحسينين عليهما السلام قالوا: «نحن نصوم ثلاثة أيام فالبسهما العافية فأصبحوا صياماً وفي آخره هبط جبرئيل عليه السلام قال:

يا محمد خذ ما هناك الله لك في أهل بيتك قال ﷺ: ما أخذ يا جبرئيل؟ قال: هل أتى إلى قوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكَ مَشْكُورًا﴾^(١).

وقال أكثر علماء التفسير من العامة: إنا نحن لا نشك في صحة الرواية: وأيضاً في رواية أهل البيت في «المناقب» عن أكثر المفسرين من كبارهم ما يقرب مما ذكره في «المجالس» إلا أنه ليس فيه صيام الصبيبين ﷺ وفي آخر الرواية: فرأهم النبي ﷺ جياً فنزل جبرئيل ومعه صحيفة من الذهب مرصعة بالدرّ والياقوت مملوءة من الثريد وعراق^(٢) يفوح منها رائحة المسك والكافور فجلسوا وأكلوا حتى شبعوا ولم ينقص منها لقمة واحدة وخرج الحسين ﷺ ومعه قطعة عراق فنادته يهودية يا أهل بيت الجوع من أين لكم هذه؟ أطعمنيها، فمدّ يده الحسين ﷺ ليطعمها فهبط جبرئيل وأخذها من يده ورفع الصحيفة إلى السماء فقال ﷺ: لو لا ما أراد الحسين من إطعام الجارية تلك القطعة من اللحم، ترك تلك الصحيفة في أهل بيتي يأكلون منها إلى الأبد^(٣).

﴿إِنَّ الْأَبْتَرَارَ يَشْرَبُونَ﴾ في الجنة ﴿مِنْ كَأْسٍ﴾ هي الزجاجية إذا كانت فيها خمر وتطلق أيضاً على نفس الخمر على طريق ذكر المحل وإرادة الحال وهو المراد هنا عند الأكثر حتى قيل: كل كأس في القرآن فإنما عني به الخمر ﴿كَاتٍ مِزَاجُهَا﴾ بتكوين الله ﴿كَافُورًا﴾ أي: ماء كافوراً وهو اسم عين في الجنة في المقام المحمدي وكذا سائر العيون ماؤها من بياض الكافور وبرده ورائحته، يقال: مزج الشراب أي: خلطه ومزاج البدن ما يمازجه ويخالطه من الصفراء والسوداء والبلغم والدم. والكافور اشتقاقه من الكفر وهو الستر لأنه

١- سورة الانسان: ٢٢.

٢- بضم العين: العظم بلا لحم.

٣- مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب، ج ٣، ص ١٤٨.

من شدة رائحته الطيبة يغطي الأشياء والكافور المعروف في الدنيا طيب يكون من شجر بحبال بحر الهند يظل خلقاً كثيراً وتألفه النمورة وخشبه أبيض هش^(١) وتوجد في أجوافه الكافور وهو أنواع ولونها أحمر وإنما تبيض بالتصعيد.

﴿عَيْنًا﴾ بدل من «كافوراً» ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ صفة عين وعباد الله الأبرار أي: يشربون هذا الشرب من هذه العين أو يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها مثل شربة الماء بالعسل، وإن حروف العوامل ينوب بعضها مناب بعض وحاصل المعنى: هذا الشراب من عين يشرب بها أولياء الله، قال الفراء: شربها وشرب بها سواء في المعنى كما يقولون: تكلمت بكلام حسن وكلاماً حسناً.

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي: يوصلون تلك حيث شاءوا من منازلهم وقصورهم والتفجير تشقيق الأرض لجري الماء، وأنهار الجنة تجري بغير أخطود^(٢) فإذا أراد المؤمن أن يجري نهراً خطأ خطأ فينبع الماء من ذلك الموضع فالتفجير في الآية سوق الماء حيث أرادوا والفناء في محبة الله وإطاعته يوجب الشرب من هذا الكأس بخلاف كأس النفسانية الشيطانية فإنه يشرب الحميم وخبال^(٣) جهنم وذلك لأهل الفسق في الدنيا وهي حرام. وفي الحديث «إذا تناول العبد كأس الخمر ناشد الإيمان بالله: لا تدخلها علي فإني لا أستقر أنا وهي في وعاء واحد فإن أبي العبد وشربها نفر الإيمان نفرة لا يعود إليه أربعين صباحاً فإن تاب تاب الله عليه وقص من عقله شيء لا يعود إليه أبداً»^(٤).

١- النمورة بضم النون جمع النمر. عود هش: سريع الكسر.

٢- الأخطود: الحفرة المستطيلة.

٣- الخبال بالفتح: الفساد، النقصان، السم القاتل.

٤- كنز العمال، ج ٥، ص ٣٥٦.

﴿يُوقِنَ بِالنَّذْرِ﴾ كأنه قيل: ما ذا فعلوا حتى ينالوا هذه الدرجة؟ يوفون بما أوجبوه على أنفسهم فكيف بما أوجبه الله عليهم من الصلاة والزكاة وغيرهما، والنذر إيجاب الفعل المباح على نفسه تعظيماً لله مثل أن يقول: لله عليّ من الصدقة وغيرها إن شفي مريضى أو ردّ غائبى.

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ أي: كانوا في الدنيا يخافون الله من مخالفته من يوم وهو يوم القيامة كان شره وعذابه فاشياً منتشراً في الأقطار غاية الانتشار، واستطار الفجر انتشر وهو أبلغ من طار، وأطلق الشرّ على أهوال القيامة بالنسبة إلى مستحقّيها وإنّ ليوم القيامة أموراً سارة للمؤمنين كما أنّ للكافرين أموراً ضارة.

﴿وَيَطْمَئِنُّونَ إِلَى الطَّعَامِ عَلَى حُبِّهِ﴾ قال ابن عباس: (الضمير راجع إلى الطعام أي: يطعمون على غاية شهوتهم وجوعهم وعلى أشدّ ما تكون حاجتهم إليه، وصفهم بالأثرة على أنفسهم).^(١) وقيل: الهاء كناية عن الله أي: على حبّ الله ﴿مِسْكِينًا﴾ فقيراً عاجزاً عن الكسب والدائم السكون إلى التراب ﴿وَيَتِيمًا﴾ طفلاً لا أب له ﴿وَأَيُّرًا﴾ الأسر الشدّ بالقدر^(٢) سمّي الأسير بذلك ثمّ يستعمل لكلّ مأخوذ مقيد وإن لم يكن مشدوداً بذلك والأسير كان يطلق على المأخوذ من دار الحرب من المشركين وقيل: هو المحبوس من أهل القبلة وقيل: الأسير المرأة.

﴿إِنَّمَا نَطْمِئُنُّ بِوَجْهِ اللَّهِ﴾ الوجه مجاز عن الرضى، أي: قائلين بلسان الحال أو بلسان المقال إزاحة لتوهم المنّ المبطل للصدقة وتوقع المكافئة المنقصة للأجر. ﴿لَا نُؤْتِيهِمْ مِنْكُمْ جَزَاءً﴾ على ذلك بالمال والنفس ولا نريد مقابلة وعضاً

١- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢١٦، مع اختلاف يسير.

٢- القدر بالفتح: جلد السخلة.

﴿وَلَا شُكُورًا﴾ ومدحا وتشكرا منكم بالذكر الجميل، وفي الآية أدب أدب الله العباد في خلوص العمل بأن يكون القصد خالصا لرضاه ولا يشوب بالرياء.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ أي: عذاب يوم تعبس فيه الوجوه من شدة أهواله كما روي أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران والعبس قطوب الوجه من ضيق الصدر وإن العبوس الأسد كالعباس لحدته على إيصال الضرر بالعنف على فريسته ووصف اليوم بالعبوس توسعا لما فيه من الشدة كما يقال يوم صائم وليل قائم ﴿قَطْرِيرًا﴾ القمطيرير اليوم الشديد الشر، والتف شرة بعض على بعض. قال الشاعر:

بني عمنا هل تذكرون بناءنا عليكم إذا ما كان يوم قماطر^(١)

قال الحسن: ما أشد اسمه وهو من اسمه أشداً وقيل: في معنى القمطيرير الأمر الذي يقبض الحياة ويقلص الوجوه من شدته.

فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّئَهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِبِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَدِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَائِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أَسَاوِرٌ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُرْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾

﴿فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ﴾ بسبب خوفهم وتحفظهم على القربات وقاهم شر ذلك

اليوم الشديد. والخوف من الله له فوائد عظيمة، في الحديث «قال رجل وهو لم يعمل حسنة قط ووصى لأهله إذا مات فحرقوني ثم اذروا»^(١) نصفي في البرّ ونصفي في البحر فو الله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً لا يعذبه أحدا من العالمين فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم فأمر الله البرّ فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال له: لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا ربّ وأنت أعلم، فغفر الله له بسبب خشيته»^(٢) وقوله: «لئن قدر الله بالتخفيف من القدرة أي لئن تعلقت قدرته يوم البعث بعذاب جسمه، ظنّ المسكين أنه بالفناء على الوجه المذكور يلتحق بالمحال وقدرة الله لا يتعلق بالمحال فلا يلزم منه الكفر.

﴿وَلَقَنَّهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا﴾ لقيته كذا إذا استقبلته به أي: أعطاهم بدل عبوس الفجّار وحزنهم نصرة في الوجوه وسروراً في القلوب.

﴿وَجَزَيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ أعطى كلّ واحد منهم بطريق الأجر وال عوض بسبب صبرهم في اجتناب المحرم وإيثار الأموال جنة وبستاناً يأكلون منها ما شاءوا وحريراً يتزيّنون به ويلبسونه.

﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿عَلَى الْأَرْبَابِ﴾ السرر في الحجّال من الدرّ والياقوت موضونة بقضبان^(٣) الذهب وألوان الجواهر، أي: مستقرّين عليها.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ حرّاً ولا برداً كما يرون في الدنيا لأن الحرارة غالبية في أرض العرب والبرودة في أرض العجم والروم. والزمهرير شدة البرد وازمهرّ النهار اشتدّت برده، روي عن ابن عباس أنه قال: فينما أهل الجنة إذ رأوا ضوءاً كضوء الشمس وقد أشرقت الجنان فيقول أهل الجنة يا

١- ذرا الريح التراب من باب نصر: اطارته وفرقته.

٢- الموطأ، الإمام المالك، ج ١، ص ٢٤٠، و صحيح مسلم، ج ٨، ص ٩٧.

٣- الموضوعة الدرّ المقاربة النسيج أو المنسوجة بالجواهر. القضبان جمع القضيب.

رضوان قال الله تعالى ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ فيقول لهم رضوان: ليست هذه بشمس ولا قمر ولكن هذه فاطمة وعليّ ضحكا ضحكا أشرقت الجنان من نور ضحكهما وفيهما أنزل الله ﴿هَذَا آيٌ عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكَ مَشْكُورًا﴾^(١).

﴿وَدَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلُّنَاهَا﴾ الظلال جمع ظلّ نقيض الضحّ أي: ظلال الأشجار في الجنة قربت من الأبرار من جوانبهم حتى صارت الأشجار بمنزلة المظلة عليهم وإن كان لا شمس فيها مودية لتظلمهم والمراد بيان زيادة نعيمهم وراحتهم فإن الظلّ في الدنيا للراحة.

﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا﴾ أي: سخرت ثمارها لمتناولها وسهل أخذها للقائم والقاعد والمضطجع من الذلّ بالكسر وهو ضدّ الصعوبة، والحاصل تدنو ظلالهم عليهم مذلة قطوفها لهم، وقطوف جمع «قطف» بكسر القاف بمعنى العنقود^(٢) وسمي العنقود قطفا لأنه يقطع وقت الإدراك.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: يدار على الأبرار إذا أرادوا الشرب ﴿بِقَارِيَرٍ﴾ أوعية جمع إناء وأصل أنية أنية بهمزيين ﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾ نعت لأنية ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ جمع كوب وهو الكوز العظيم المدور الرأس لا اذن له ولا عروة فيسهل الشرب منه من كلّ موضع ولا يحتاج عند تناول إلى إدارته ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ القارورة ما قرّ فيه الشراب ونحوه ﴿قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ أي: تكوّنت جامعة بين صفاء الزجاج وشفيفها ولين الفضة وبياضها يرى ما في داخلها من خارجها و«كان» تامّة وقوارير الأول حال من فاعل كانت. فإن قيل: إن القوارير إنما تتكوّن من الزجاج فكيف تكون القوارير؟

١- بناء المقالة الفاطمية، الابن طاووس، ص ٢٣٩، و تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ١٠٢.

٢- العنقود ما تراكم من حب العنب ونحوه.

قال الصادق عليه السلام: «ينفذ البصر في فضة الجنة كما ينفذ في الزجاج»^(١) قال أبو علي الفارسي: القول في ذلك أن الشيء إذا قاربه شيء واشتدت ملابسته له قيل: إنه من كذا وإن لم يكن منه في الحقيقة. وقوارير الثانية بدل من الأولى وليست بتكرار ويجوز تقدير حذف المضاف أي من صفاء الفضة^(٢). ويمكن أن يكون المراد أن القوارير أصلها من الرمل في الدنيا وأرض الجنة من فضة فقواريرها من فضة.

﴿مَذْمُومًا نَقِيرًا﴾ الضمير في ﴿مَذْمُومًا﴾ الأول للسقاة والخدم، والثاني للكاسي أي: من غير زيادة ولا نقصان وهو ألد للشارب فإن طرفي الاعتدال مذمومان لا فيض فيها ولا غيظ أي لا كثرة ولا قلة.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: إن الأبرار يسقون في الجنة بأمر الله خمراً ﴿كَانَ يَرَاهَا زَنْجَبِيلًا﴾ الزنجبيل عرق^(٣) بري في الأرض ونباته كالقصب والبردي^(٤) شبه طعمها بالزنجبيل لأن المزوج به أطيب ما يستطيب العرب أي تمزج وتخلط بماء من العين المسماة بالزنجبيل.

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ عينا بدل من زنجبيل في الجنة تسمى عند الملائكة سلسبيلاً لسلاسة انحدارها وسهولة مساغها والعين سميت بصفاتها. قيل: إن سلسبيلاً صفة لا اسم وإلا لامتنع من الصرف للعلمية والتانيث وقيل: اسم وإنما صرف لرعاية رأس الآية وهي مؤنث معنوي لا حقيقي يقال: شراب سلسل وسلسبيل سهل الورود في الحلق لعذوبته وزيدت الباء على السلسال للمبالغة على غاية السلاسة تتسلسل في الحلق.

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢١١، و تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٩٩.

٢- المصدر السابق نفسه.

٣- المراد به هنا أصل الشجر.

٤- نبات كالقصب.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ يدور على الأبرار ﴿وَالِدَانٌ﴾ فإنهم أخف في الخدمة، جمع وليد وهو من قرب عهده بالولادة ﴿مُعْتَدُونَ﴾ دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء. لا يتغيرون أبداً أو مقرطون^(١) للخدمة، أو من الخلد وهو الروح كأنهم روحانيون من اللطافة لا جسم لهم.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ يا من شأنه الرؤية ﴿حَبِيبَتِهِمْ لَوْلَا﴾ جمعه اللآلئ تلالاً الشيء لمع ﴿مَثُورًا﴾ بالثاء متفرقا لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم وتفرقتهم في مجلس الخدمة وطوافهم على المخدمين، واللؤلؤ إذا كان متشتتا يكون في المنظر أحسن من المنظوم ولو كانوا مصطفين على وتيرة واحدة لشبهوا باللؤلؤ المنظوم فلتفرقتهم شبهوا بالمتثور كما أن الحور لتجمعهن بل هن مقصورات في الخيام باللؤلؤ المكنون. وقال بعضهم: مثورا من صدفه، أي شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه وهو غير ممسوس ومثقوب لأنه أكثر ماء وصفاء. أنشأهم الله من غير ولادة وقيل: إنهم ولدان الكفار يدخلون الجنة خدماً لأهلها. وفي رواية المراد بالولدان هنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا لا حسنة لهم ولا سيئة فوضعوا هذا الموضع.

﴿وَلِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَيْبًا﴾ قيل: ليس له مفعول ملفوظ ولا منوي ولا مقدر بل المعنى أن بصرك أين ما وقع في الجنة ﴿رَأَيْتَ نَيْبًا﴾ كثيراً لا يوصف ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ واسعاً كما في الحديث: «أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه».

﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ﴾ عليهم قيل: ظرف وخبر مقدم، وثياب مبتدأ مؤخر أي: فوقهم ثياب سندس وهو الديباج الرقيق، وإضافة الثياب إلى السندس كإضافة الخاتم إلى الفضة، وقيل: عليهم حال أي: يعلوهم ثياب

١- أي: تزينوا بالقرط.

سندس، وقيل: المراد فوق خيامهم المضروبة عليهم فالمعنى أن حجالهم من الحرير والديباج وخضر جمع أخضر صفة الثياب والضمير راجع إلى الأبرار ﴿وَأَسْتَبْرَقَ﴾ أي: ثياب إستبرق عطف على الثياب بمعنى الديباج الغليظ سبق بيانه في سورة الرحمن وهو بقطع الهمزة لكونه اسما للديباج الغليظ الذي له بريق.

﴿وَحَلَّوْاْ أَسَاوِدَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ عطف على قوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ وهو ماض لفظا ومستقبل معنى أي: يحلّون ويتزيّنون بأساور جمع أسورة في جمع سوار وكان الملوك في الزمان الأوّل يتحلّون بها ويسوّرون من يكرمونه ولا ينافي هذه الآية مع ما في الكهف والحج^(١) من قوله: ﴿مِنْ أَسَاوِدَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ لإمكان الجمع بين السوارين أو على التعاقب في الأوقات تارة يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة أو التبعض بأن يكون أسورة البعض ذهباً والبعض فضة بحسب اختلاف شؤونهم ﴿وَمَقَنَّهُمْ زَبِيحًا شَرَابًا طَهُورًا﴾ من الأقدار لم يدنّسها الأيدي ولم تدسه الأرجل كخمر الدنيا ولا يصير بولاً نجساً بل يرشح عرقاً من أبدانهم له ريح كريح المسك ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل مطهر باطنه من كلّ كدورة إذ لا يكون شيء خالص من كدورة الأكوان إلّا الله فينجّ للشراب وشاربه وساقيه. قال الشاعر:

وأسكر القوم دور كأس وكان سكري من المدير^(٢)

قال بعضهم: صلّيت خلف سهل بن عبد الله العتمة^(٣) فقرأ قوله: ﴿وَمَقَنَّهُمْ زَبِيحًا شَرَابًا طَهُورًا﴾ فجعل يخرّك فمه كأنه يمصّ فلما فرغ من صلاته قيل له: أتقرأ أم تشرب؟ قال: والله لو لم أجد لذّته عند قراءته كلذّتي

١- سورة الكهف: ٣١ وسورة الحج: ٢٣.

٢- تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ١٠٥، و تفسير القرطبي، ج ١٩، ص ١٤.

٣- يعني: صلاة العشاء.

عند شربه ما قرأته.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: الذي ذكر من أنواع العطايا ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ عوضاً بمقابلة أعمالكم ﴿وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾ مرضياً مقبولاً وسعيكم وقيامكم بطاعته مرضي عنده سبحانه فكانه شكر لكم عملكم وفعلكم.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آيْمًا
أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ
وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ
يَوْمًا نَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ
تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا
نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي
رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أي: فصلناه في الإنزال آية بعد آية ولم ننزله جملة واحدة لحكمة بالغة مقتضية له ونحن نزلناه لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير على سبيل التأكيد فكانه تعالى يقول: إن هؤلاء الكفار يقولون إن ذلك كهانة وسحر فأنا الملك الحق أقول: إن ذلك وحي حق وتنزيل صدق من عندي فلا تكثرث^(١) بطعنهم.

﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بتأخير نصرك على الكافرين فإن الأمور مرهونة بأوقاتها وكل آت قريب ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ من الكفار ﴿آيْمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أي: لا تطع من يدعوك إلى إثم أو كفر، وقيل: الآثم في الآية يعني عتبة بن ربيعة والكفور يعني الوليد بن المغيرة فإنهما قالوا له ﴿يَا مُحَمَّدُ﴾: ارجع عن هذا الأمر ونحن

١- اكثرث له: بالي به.

نرضيك بالمال والتزويج وقيل: الكفور أبو جهل نهى النبي عن الصلاة وقال: لئن رأيت محمدا يصلي لأطآن عنقه فنزلت الآية^(١). وفي نهيه ﷺ عن الإطاعة فيما يدعونه إليه مع أنه ما كان يطيع أحدا منهم ولا يتصور في حقه ذلك من باب «إياك أعني واسمعي يا جاره»^(٢) والمراد الأمة وهذا الخطاب كقوله: ﴿لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾^(٣) وإشارة إلى أن الناس محتاجون إلى مواصلة الإرشاد والتنبيه وركب في طبعهم الشهوة الداعية إلى السهو والغفلة.

﴿وَأَذْكُرْ اٰتَمَّ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَجِيلاً﴾ أي: داوم على ذكره أول النهار وآخر النهار أو المعنى: دم على صلاة الفجر والظهر والمغرب.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ أي: فاسجد له في بعض الليل لأنه لم يأمره بقيام الليل كله وقيل: المراد صلاة المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلاً﴾ والمراد بالتسبيح في هذه الآية صلاة الليل كما في الحديث روي عن الرضا عليه السلام أنه سأل أحمد بن محمد عن هذه الآية قال عليه السلام: «المراد بذلك التسبيح صلاة الليل، وحاصل المعنى صل صلاة التهجد لأنه كان واجبا عليه في طائفة طويلة من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه والمراد بقوله: ﴿لَيْلًا طَوِيلاً﴾ بيان طول التسبيح فيه وليس المراد أن يتهجد في الليل ولا يتهجد في الليل القصير.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي: كفار مكة يحبون اللذات العاجلة في الدنيا فهو الحامل على كفرهم وعدم قبولهم أو أمرهم ﴿وَيَذُرُونَ﴾ يتركون ﴿وَرَاءَهُمْ﴾ أي: أمامهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلاً﴾ عسيراً شديداً لا يستعدون له وينبذونه وراء ظهورهم.

١- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٢٥.

٢- تفسير العياشي، ج ١، ص ١٠.

٣- سورة الزمر: ٦٥.

و«وراء» يستعمل في كل من أمام وخلف وفي وجه الاستعمالين أن وراء اسم للجهة المتوارية المستترة المخفية عنك واستتار جهة الخلف ظاهر وما في جهة الأمام قد يكون متواريا عنك غير مشاهد فيشبه الخلف في الاستتار فيستعار له اسم الوراء ووصف اليوم بالثقل مع أن الثقل من صفات الأعيان الجسمية لتشبه شدته وهوله وما يلزمه من العذاب استعارة تخيلية وفي الآية وعيد لأهل الدنيا والمنهمكين فيها بالظلم على أنفسهم.

﴿عَمَّنْ﴾ لا غيرنا ﴿خَلَقْتَهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ خلقناهم من نطفة وأحكامنا ربط مفاصلهم بالأعصاب ليتمكنوا بذلك من القيام والقيود والأخذ والدفع. والأسر الربط ومنه أسر الرجل^(١) إذا وثق بالقد وقيل: المراد من قوله: ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ أي: شددنا مخرج بولهم وغائطهم وأحكامنا ربطه إذا خرج الأذى انقبض وإذا يريد الإنسان الدفع استرخى ولا يسترخى قبل الإرادة من الإنسان. ﴿وَلِذَا شِئْنَا﴾ تبديلهم ﴿بِدَلْنَا أَنفُسَهُمْ﴾ أي: بدلناهم بأمنالهم بعد إهلاكهم ﴿تَبْدِيلًا﴾ بديعاً لا ريب فيه وهو البعث. والمثلية في النشأة الأخرى التركيب الأولية باعتبار إيجاد الأجزاء الأصلية وإعادتها، أو المعنى لو شئنا أهلكتناهم وآتينا بأشباهم فجعلناهم بدلاً منهم ولكن نبقئهم إتماماً للحجة.

﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ إشارة إلى السورة والآيات القريبة ﴿تَذَكُّرًا﴾ أي: عظة مذكورة في تحصيل السعادة الأبدية وإذكار بما غفلت عنه عقولهم ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ وتقرب إليه بالإطاعة والنجاة من ثقل اليوم المذكور.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: وما تشاءون شيئاً من الطاعات إلّا والله يشاؤه ويريده، وليس المراد في الآية أنه سبحانه يشاء كل ما يشاؤه العبد من المعاصي لأن الدلائل الواضحة قد دلت على أنه يتعالى عن أن يريد

القبائح وإشاعة^(١) القبيح ظلم وما لله يريد ظلماً للعباد ولا يريد بكم العسر.
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ عليم بأفعالكم حكيم في تدبير مصالحكم
﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ وجنته ممن يؤمن به ويكتابه فلا تكن ظالماً شقيماً
﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وهم الذين يصرفون مشيئتهم في مخالفة الله
فيجزئهم جهنم وهياً لهم العذاب المولم والظالمون الذين وضعوا الضلالة في
مقام الهداية والجهالة في مقام المعرفة.
تمت السورة بعون الله.

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا بِلَا خِلَافٍ إِلَّا آيَةٌ قِيلَ: أَسْتَشْنِي مِنْهَا ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾
 الْآيَةُ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَهَا كَتَبَ لَهُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَعَزَّفَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
 مُحَمَّدٍ ﷺ»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ①
 فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ②
 وَالنَّشِيرَاتِ تَشْرًا ③
 فَالْفَرِيقَاتِ فَرَقًا ④
 فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ⑤
 عُدْرًا أَوْ نُذْرًا ⑥
 إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعَ ⑦
 فَإِذَا
 النُّجُومُ طُمِسَتْ ⑧
 وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ⑨
 وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ⑩
 وَإِذَا الرَّسُلُ
 أُقِنَتْ ⑪
 لِأَيِّ يَوْمٍ أُخِّلَتْ ⑫
 لِيَوْمِ الْفَصْلِ ⑬
 وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ⑭
 وَيَوْمَ يُؤْمِرُ لِّلْمُكَذِّبِينَ ⑮

الواو للقسم ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ بمعنى الطوائف المرسلات جمع مرسلة أي:
 طائفة مرسلة باعتبار أن ملائكة كل يوم أو كل عام أو كل حادثة طائفة
 و﴿عُرْفًا﴾ بمعنى متتابعة مأخوذ من عرف الفرس وهو الشعرات المتتابعة فوق
 عنقه من باب التشبيه البليغ بأن شَبَّهت الملائكة المرسلون في تتابعهم بشعر
 عرف الفرس، وانتصابه على الحالية: أي جاريات بعضها أثر بعض كعرف

١- ثواب الاعمال، ص ١٢١، و مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٢٧.

الفرس أو العرف بمعنى المعروف والإحسان، نقيض النكير والمنكر فإنهم إن أرسلوا للرحمة فظاهر وإن أرسلوا لعذاب الكفار فذلك أيضا معروف وإحسان للأنبياء والمؤمنين. وقيل: المرسلات الرياح أرسلت متتابعة^(١) وقيل: المراد الأنبياء جاءت بالمعروف^(٢).

﴿فَالْعَصْفَ عَصْفًا﴾ فعصفت أي: الملائكة في مضيهن لأمر الله كما يعصف الرياح في هبوبها مخففاً في امتثال أوامره تعالى أو أقسم بالرياح العاصفة ﴿وَالنَّشْرَ نَشْرًا﴾ وأقسم بطوائف من الملائكة نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي أو نشرن الشرائع والأحكام في الأرض أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والإيمان ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا إلى الأنبياء وعذرا للمحققين أو نذرا للمبطلين.

﴿فَالْفَرْقَةَ فَرْقًا﴾ يعني الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وهي آيات القرآن والكتب السماوية وهي فارقة بين الهدى والضلال.

﴿فَالْمُؤْتَبَرَاتِ ذِكْرًا﴾ يعني الملائكة كأنها الحاملات للذكر الطارحات له ليأخذه من خوطب به ﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ أي: للإعذار والإنذار إما عذرا ومحوا لسيئاتهم للذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم وإما إنذاراً للذين يغفلون عن الطاعة ويرتكبون المعاصي فالملائكة عاذرين ومنذرين ﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ بدل من الذكر إما بدل البعض أو بدل الكل أي الذكر الملقى إما الترغيب في الطاعات أو الترهيب من المعاصي وقيل: «الناشرات» هي الرياح التي تأتي بالمطر تنشر السحاب نشرًا للغيث أو أنها الأمطار ينشر النبات^(٣)، كما

١- انظر: تفسير القرطبي، ج ١٩، ص ١٥٤.

٢- التبيان، ج ١٠، ص ٢٢٣، و مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٢٨.

٣- انظر: تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٤٨٩.

أنه قيل في معنى الفارقات: إنها الرياح التي تفرق السحاب وتبدده. وهذه أقسام أقسم الله بها أو المراد أقسم برب هذه الأشياء بناء على أنه لا يجوز القسم إلا بالله.

وجواب القسم ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ أي: إن الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة والفرق بين الكائن والواقع أن الواقع لا يكون إلا حادثاً تشبيهاً بالحائظ الواقع والكائن أعم منه.

ثم بين وقت وقوعه: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي: محيت آثارها ومحقت ذواتها فإن الشمس محو الأثر، والنجوم مرفوعة بالابتداء وطمست خبره أو مرفوعة بفعل يفسره ما بعده وهو الأولى لأن «إذا» فيها معنى الشرط والشرط بالفعل أولى وجواب إذا محذوف أي إذا طمست النجوم وقع ما توعدون.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ صدعت من خوف الرحمن وشققت ووقعت فيها الفروج التي نفاها، والفرج الشق.

﴿وَلِإِنَّا لَإِلْهَالُ نُفِثَتْ﴾ جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف وقلعت من مكانها أو ذهبت بسرعة وفنيت حتى لا يبقى لها أثر وتدرى وتلاشى.

﴿وَإِنَّا الرُّسُلُ أُنزِلَتْ﴾ أي: جمعت لوقتها تشهد على الأمم عين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم فيقال لهم: احضروا للشهادة فقد جاء وقتها أو بلغ الوقت الذي كانوا ينتظرونه وهو يوم القيامة، وقرأ أبو عمر «ووقئت» على الأصل الباقيون أبدلوا الواو همزة لأن الضمة من جنس الواو فيكون ثقیلاً كما أن الكسرة تستثقل على الياء والعرب تبدل الألف من الواو تقول: أسادة في وسادة ومؤرخ في مورخ.

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ مقدر بقول هو جواب لإذا في قوله: ﴿وَإِنَّا الرُّسُلُ﴾ أي: يقال: لأي يوم أخرت الأمور المتعلقة بالرسول وضرب لهم الأجل لجمعهم

وإحضارهم، وحاصل المعنى أن الرسل بعثت في أوقات مختلفة وأخرت للفرق بين المطيع والعاصي ويكونون شهداء عليهم فإن الرسل يعرفون كلًا بسماهم وشاهدون لأعمالهم.

﴿يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق ويقضي بالحقوق ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ «ما» مبتدأ ﴿أَدْرَاكَ﴾ خبره أي شيء جعلك داريا وعالما ما كنهه ولم ير أحد قبلك شدته حتى تسمع منه، ووضع الظاهر موضع الضمير لزيادة تفضيح وتهويل وأيضا «ما» خبر مقدم و﴿يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيويه لأن محط الفائدة بيان كون يوم الفصل أمراً بديعاً هائلاً.

﴿وَيْلٌ يَوْمَذِئْرٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: الويل والهلاك ثابت فيه لهم والويل في الأصل مصدر منصوب ساذ مسد فعل لا من لفظه فاصله أهلكه الله إهلاكاً أو هلك هلاكاً. وعدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه، ووضع الويل موضع الهلاك فجاز وقوعه مبتدأ مع كونه نكرة فإنه لما كان مصدراً ساذ مسد فعله المتخصص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة متخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء بها لذلك كما قالوا: سلام عليك، وقيل: الويل واد في جهنم لو أرسلت فيه الجبال لماعت^(١) من حرة^(٢).

أَلَمْ نُهِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَذِئْرٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِنَّ قَدْرَ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَذِئْرٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسًا شَهِيقَتِ

١- ماء يبيع ميعا: سال وجري.

٢- وهو قول عطاء بن يسار، تفسير ابن كثير، ج ١، ص ١٢١.

وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فَارَاتَا ﴿٢٧﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ
 تَكْذِبُونَ ﴿٢٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي تَلْحُظِ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ
 الْهَبِّ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ فِعْلَهُمْ فَيَعْدِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْ وَالْأُولَىٰ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فِكِيدُوا
 ﴿٣٩﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوْكَةٍ مِمَّا
 يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَنَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾
 وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَلُّ
 يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿أَنْتَ نَهَيْتَ الْأُولَىٰ﴾ كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن هلكوا قبل

مبعث النبي ﷺ وذلك لتكذيبهم بيوم الفصل.

﴿ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ ولم يعطف تتبعهم على نهلك فيجزم بل

استأنف، والتقدير ثم نحن نتبعهم ونجعلهم تابعين للأول في الإهلاك وليس
 الكلام معطوفاً على ما قبله لأن العطف يوجب أن يكون المعنى أهلكتنا
 الأولين ثم أتبعناهم الآخرين في الإهلاك وليس كذلك لأن إهلاك الآخرين
 لم يقع بعد فلذلك رفع تتبع واستأنف به الكلام وجه الإخبار عما سيقع في
 المستقبل بإضمار المبتداء ويؤيده قول الحسن: إن الآخرين هم الذين تقوم
 عليهم القيامة^(١).

﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ أي: نفعل فعلا مثل ذلك الفعل الذي أخبر به

فمحل الكاف النصب على أنه نعت لمصدر محذوف تقديره «فعلا بالمجرمين» أي: كل من أجرم.

﴿وَبَلَّ يَوْمَهُدٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بآيات الله والبعث فإنهم يجازون باليم العذاب. ﴿أَنْزَلَ مَخْلَقًا مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ أي: نطفة قدرة مهينة والميم في مهين أصلية والمهانة الخسة والابتدال أي خلقناكم منه ﴿فَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: الماء ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ وهو الرحم والرحم وعاء الولد والقرار موضع الاستقرار والمكين الحصين أي: جعلنا ذلك الماء في مقر حصين متمكناً سالماً من التعرض له ﴿إِنَّ قَدْرَ مَعْلُومٍ﴾ من الوقت الذي قدره للتنمية والحياة والولادة تسعة أشهر أو أقل أو أكثر.

﴿فَقَدَرْنَا﴾ أي: قدرنا خلقه وجوارحه، قرئ بالتشديد وبالتخفيف ﴿فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ﴾ أي: نحن، بمعنى المقدرون ويجوز أن يكون ﴿فَقَدَرْنَا﴾ معناه من القدرة لا من التقدير أي: قدرنا على خلقه وتصويره كيف نشاء ويعضد هذا المعنى قوله: ﴿فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ﴾.

﴿وَبَلَّ يَوْمَهُدٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ مضى تفسيره وفي برهان القرآن: كررها في هذه السورة عشر مرات لأن كل واحدة منها ذكرت عقيب آية غير الأولى فيكون تكراراً لازماً لأن بسط الكلام في الترغيب والترهيب أدعى إلى إدراك البقية وقد يجد كل أحد في نفسه من تأثير التكرار ما لا يخفاء به.

﴿أَنْزَلَ مَخْلَقًا مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ تحوزهم وتضمهم وتكفتهم كفتاً ﴿أَنْجَاءً﴾ على ظهرها في دورهم وأبنيتهم ومساكنهم ﴿وَأَمْوَاتًا﴾ في بطنها أو المعنى على الحال ونصبه على الحالية وقيل: أي من الأرض ما ينبت ومنها ما لا ينبت والكفات اسم ما يكفت ويضم ويجمع من كفت الشيء أو جمع اسم الفاعل وهو كافت مثل صيام جمع صائم فمن جعل لفظ الكفات مصدراً أو جمع

اسم الفاعل جعله عاملاً، ومن جعله اسماً لما يكفت أو جمعاً للكفت بمعنى الوعاء منعه من العمل. قال علي عليه السلام: الكفات بمعنى الوعاء.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوْسِيَ شَيْخَتَيْنِ﴾ أي: جبلاً ثوابت من رسا الشيء يرسو ثبت والجبال ثوابت على ظهر الأرض لا تزول. وشامخات صفة بعد صفة والشامخ العالي المرتفع أي طوالاً شواحق ومنه «شمخ بأنفه» عبارة عن الكبر والمعنى أن الجبال ثوابت الأصول رواسخ العروق مرتفعات الفروع، ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العاقل معطرد مثل ^(١) ﴿أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ والتنكير للتفخيم والتكثير.

﴿وَأَسْقَبْنَاكَ مَاءً قُرْآنًا﴾ عذاباً جداً ومكناكم من شربه من السماء والأرض بالعيون والأنهار والأمطار. والفرات يقال للواحد والجمع ﴿وَرَبِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ واد في جهنم الويل لهم في ذلك اليوم لأنهم كذبوا بأنعم الله وآياته.

﴿أَنْظِلُّوْا﴾ يقال يومئذ للمكذبين بطريق التوبيخ: اذهبوا والقائلون خزنة جهنم ﴿إِنَّ مَا كُنْتُمْ بِهِ مُكَذِّبُونَ﴾ في الدنيا وتقولون ليس عذاب وبعث.

﴿أَنْظِلُّوْا﴾ خصوصاً ﴿إِنَّ ظِلِّي﴾ دخان نار جهنم ﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ وذو ذوائب كما هو شأن الدخان العظيم كناية عن كون ذلك الدخان في غاية الغلظ فالتشعب من لوازمه أو يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كسرادق، ويتشعب من دخان تلك النار ثلاث شعب فتظلمهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظلّ العرش وتقف شعبة الدخان فوق رأس الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره وذلك لتضييعهم القوي الثلاث التي هي السمع والبصر والفؤاد كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلَ لِكُلِّ الشَّمْعِ وَالْأَبْصَرِ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ^(٢)

١- سورة البقرة: ١٩٧.

٢- سورة السجدة: ٩.

فرعايتها مبدء السعادات وتضييعها منشأ الشقاوات، وإنّ الإيمان عبارة عن التصديق والإقرار والعمل فجعلت كلّ شعبة من الثلاث بمقابلة واحدة من هذه الأركان يتركها واتباع القوى الثلاث من الواهمة والغضبيّة والشهويّة بأعمالها وفعلها، فإنّ لكل عمل وصفة صورة شخصيّة جسدانيّة يوم القيامة.

﴿لَا ظِلِيلٌ﴾ أي: لا يظلّ ذلك الظلّ من الحرّ، وتسمية ما يغشاهم من العذاب بالظلّ تهكّم واستهزاء بهم، ولما أو هم لفظ الظلّ من الاسترواح استدرك بقوله: لا ظليل ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ النَّارِ﴾ أي: غير مغن عن لهب النار كما يغني ظلّ الدنيا من الحرّ أي ظلّ غير ظليل ومفعول «يغني» محذوف تقديره شيئا وهذا الظلّ ظلّ النفس الخبيثة المتمرّدة عن الإيمان بظلمة كفرها ومنشعبة من الشيطانيّة والسبعيّة والبهميّة ﴿إِنَّمَا تَرَى بِشَكْرٍ كَالْقَصْرِ﴾ ثمّ وصف النار أي: يتطاير منها في الجهات شرارات كقصر من القصور في عظمتها وكالبناء العالي، ووصف به الجمع باعتبار كلّ واحد من آحاده. والقصر أيضا الحطب الجزل^(١) قال ابن عباس: هي الخشب العظام المقطّعة وكنا نعمد إلى الخشب فنقطعها قطعا كبيرا ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه ندخرها للشتاء ونسميها القصر^(٢) لكونها مقصورة ومقطوعة من الممدودة الطويلة فإذا كان حال دخانها وشررها هكذا فكيف بحال أهلها؟

﴿كَأَنَّهُ جَمَلٌ صَفَرٌ﴾ أي: كأن الشرر وردّ الضمير إلى لفظ الشرر والنار دون معناها فشبه سبحانه لونه بالجماليات الصفر أي: كأنها أيتق سود. قال الفراء: لا ترى أسود من الإبل إلّا وهو مشرب^(٣) صفرة والعرب تسمي سود

١- بالفتح، الغليظ العظيم.

٢- تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ١١٠، و تفسير البغوي، ج ٤، ص ٤٣٤.

٣- أشرب اللون: أشبعه.

الإبل صفراء، أو هو على الحقيقة من الصفرة لأن النار تكون أصلاً صفراء^(١).
أي: كل شررة كجمل أسود أو أصفر.

﴿وَبِئْسَ يَوْمَهُدٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بنار هذه صفتها، ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ ولا يؤذنون لهم فيمتدرون ﴿قِيلَ: فِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ لَا يَنْطِقُونَ بِنُطْقِ بَنَفْسِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَنْطِقُوا. وَالثَّانِي: أَنَّ فِي الْقِيَامَةِ مَوَاقِفَ فِي بَعْضِهَا يَتَكَلَّمُونَ وَيَخْتَصِمُونَ وَفِي مَوَاقِفَ يَخْتَمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ^(٢) وَقَدْ مَنَعُوا عَنِ الْإِعْتَادِ لِأَنَّهُ خِلَافُ الْوَاقِعِ إِذْ لَوْ كَانَ لَهُمْ عَذْرٌ لَمْ يَمْنَعُوا وَأَيُّ عَذْرٍ لَمَنْ جَحَدَ بِرَبِّهِ وَعَانَدَ مَعَهُ بِالْإِنكَارِ لَهُ.

﴿وَبِئْسَ يَوْمَهُدٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بهذه الأمور، ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ بين الحق والباطل ﴿جَمَعْتَكُمْ﴾ يا أمة محمد ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ من كان قبلكم إذ الفصل بين المحق والمبطل، لا بد وأن يحضروا.

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ وحيلة تدفعون بها عنكم العذاب، والخطاب من الله للكفار ﴿فَكِيدُونِ﴾ حذف ياء المتكلم اكتفاءً بالكسرة واحتالوا وتخلصوا عن عذابي إن قدرتم وهذا أمر تعجيز وتقرير لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا وكانوا يدفعون الحقوق عن أنفسهم ويبطلون حقوق الناس بضروب الحيل والمكايد والتليسات ﴿وَبِئْسَ يَوْمَهُدٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ من الشرك والتكذيب والفواحش ﴿فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ﴾ من أشجار الجنة وعيون جارية بين أيديهم في غير أخدود لأن ذلك أمتع لهم وينابيع تجري في ظلال الأشجار ﴿وَفُرُوكَةٍ﴾ جمع فاكهة وهي ثمار الأشجار ﴿مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ ويتمنون فيتناولونها لا عن جوع وامتلاء بل عن شهوة وتلذذ.

١- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٣٤.

٢- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٣٥.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: مقولاً لهم كلوا من نعم الجنة واشربوا من مائها وشرابها سائغاً رافهاً بلا داء بسبب ما كنتم تعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة خصوصاً الصيام وهذا أمر إكرام إظهاراً للرضى عنهم وتمسك القائلون بإيجاب العمل للثواب بالباء السببية والجواب أن السببية إنما هي بفضل الله ووعده لا بالذات بحيث يمتنع عدمه أو يوجب النقص أو الظلم.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ الجزاء العظيم ﴿تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَيَلْزَمُ يَوْمَئِذٍ الْكَاذِبِينَ﴾ حيث نال أعدائهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلد.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا﴾ أيها المكذبون واستلذوا بالملاذ زماناً قليلاً إلى مدة آجالكم ﴿إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ مستحقو العذاب وحرمان الثواب لأنكم آثرتم المتاع الفاني على النعيم الخالد فالأمر أمر توبيخ وتحسر وتحزين وعلل ذلك بإجرامهم دلالة على أن كل مجرم ماله هذا وليس له إلّا الأكل والتمتع أياماً قلائل ثم البقاء في الهلاك الأبدي.

﴿وَيَلْزَمُ يَوْمَئِذٍ الْكَاذِبِينَ﴾ حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: للمكذبين ﴿أَتُكْفَرُوا﴾ وتواضعوا له بقبول وحيه ورفضوا هذا الاستكبار والنخوة وصلوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ أي: لا يصلون ولا يتواضعون. قال مقاتل: نزلت الآية في ثقيف حين أمرهم الرسول بالصلاة فقالوا: لا ننحني فإن ذلك سبة^(١) (والسبة الدبر) وعار علينا، فقال ﷺ: «لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود»^(٢).

وقيل: إن المراد بذلك يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون. والركوع في اللغة حقيقة في مطلق الانحناء الحسي. وفي بعض

١- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٣٦، و الكشاف، ج ٤، ص ٢٠٥.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٣٦، و الكشاف، ج ٤، ص ٢٠٥، و كنز العمال، ج ٧، ص ٢٢٧.

التفاسير: كانوا في الجاهلية يسجدون للأصنام ولا يركعون لها فصار الركوع من أعلام صلاة المسلمين لله ﴿وَيَلِّدُ يُؤْمِرُ لِلْكَذِبِينَ﴾

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ وبأي خبر حق بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذ لم يؤمنوا بالقرآن ولم يتقادوا لمثل هذا البرهان الباهر. واستدل المعتزلة بهذه الآية على أن القرآن ليس بتقديم بقوله: ﴿حَدِيثٍ﴾ إذ الحديث ضد القديم لأن القديم والحديث لا يجتمعان في شيء واحد.

قال صاحب تفسير «روح البيان» المولى إسماعيل الحقي بأن الحديث هنا بمعنى الخبر لا بمعنى الحادث ولو سلم فيدل على حدوث الألفاظ الدالة على المعاني ولا خلاف فيه وإنما الخلاف في قدم المعنى القائم بذاته لكن المعتزلة لا يقولون: إن علم الله حادث ولكنهم يقولون: إنا لا نعني بالقرآن ولا نعرف مسمى له إلا هذه الألفاظ المركبة الواقعة لبيان أحكام المكلفين المتضمنة لهذه المعاني التي أنزلها الله على رسوله ولا شك أنها حادثة وليست بقديمة. روي أن هذه السورة نزلت في غار قرب مسجد الخيف بمعنى تسمى بغار «المرسلات».

تمت السورة بعون الله.

سُورَةُ النَّبَاِ

مكية. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة النبا سقاه الله برد الشراب يوم القيامة»^(١).
وروي عن الصادق عليه السلام: «من أدمن قراءة عم يتساءلون سنة يزور بيت الله الحرام»^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ① عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ② الَّذِي هُوَ فِيهِ تُخَالِفُونَ ③ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ④
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ⑤ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ⑥ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ⑦
وَخَلَقْنَاكَ أَزْوَاجًا ⑧ وَجَعَلْنَا نَوْمَكَ سُبًّا ⑨ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ⑩ وَجَعَلْنَا
النَّهَارَ مَعَاشًا ⑪ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَمَا سِدَادًا ⑫ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ⑬
وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَمَّاجًا ⑭ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ⑮ وَجَعَلْنَا الْفَأَقَا
⑯ إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتَنَا ⑰ يَوْمَ تُنْفَعُ فِي الصُّورِ فَنَاتُونَ أَفْوَاجًا ⑱
وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ⑲ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ⑳ إِنَّ جَهَنَّمَ
كَانَتْ مِرْصَادًا ㉑ لِلطَّالِعِينَ مَنَابًا ㉒ لِيُشِيرَ فِيهَا أَحْقَابًا ㉓ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا
بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ㉔ إِلَّا حِيمًا وَغَسَّاقًا ㉕ جَزَاءً وَفِاقًا ㉖ إِنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ㉗ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ㉘ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٣٧، والكشاف، ج ٤، ص ٢١١.

٢- انظر: ثواب الأعمال، للصدوق، ص ١٢١.

كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾
 حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
 كِذَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
 الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ
 إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اخْتِذْ إِلَى
 رَبِّهِ مَنَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
 وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿المعنى: أصله «عن ما» أدغمت النون في الميم لاشتراكهما في الغنة فصار «عما» ثم حذفت الألف كما في «لم وبم وفيم وعلام» قصدا للخفة وكثرة الاستعمال وكان أهل مكة يتساءلون عن البعث ويتحدثون بينهم ويخوضون فيه إنكاراً واستهزاءً عن النبا الخبير العظيم الذي له شأن وخطر أو لما كثر تساؤل المشركين عن شأن التوحيد والبعث قال سبحانه: ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ وهو القرآن.

وفي «الكافي» عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: «النبأ العظيم الولاية»^(١). وعن الباقر عليه السلام سئل عن تفسير هذه الآية فقال: «هي في علي عليه السلام» كان أمير المؤمنين يقول: «ما لله آية هي أكبر مني ولا لله نبي أعظم مني»^(٢). والقمي عن الرضا عليه السلام أنه سئل عنه فقال: قال أمير المؤمنين: «ما لله نبي أعظم مني، وما لله آية أكبر مني، ولقد عرض فضلي على الأمم الماضية على اختلاف ألسنتها فلم تهرَ بفضلي»^(٣).

١- الكافي، ج ١، ص ٤١٨.

٢- تفسير أبي حمزة الثمالي، ص ٧٤، و تفسير الصافي، ج ٥، ص ٢٧٣.

٣- تفسير الصافي، ج ٥، ص ٢٧٣، و تفسير القمي، ج ٢، ص ٤١.

وفي «العيون» عن الباقر عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «يا علي أنت حجة الله وأنت باب الله وأنت الطريق إلى الله وأنت النبا العظيم وأنت الصراط المستقيم وأنت المفلح الأعلى»^(١) الحديث.

وفي «الكافي» في خطبة الوسيلة لأمير المؤمنين عليه السلام قال: «إني أنا النبا العظيم والصديق الأكبر عن قليل ستعلمون ما توعدون»^(٢).

﴿الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ فمصدق به ومكذب به والجملة وصف للنبا بعد وصفه بالعظيم و﴿فِيهِ﴾ متعلق بمختلفون، قدم عليه اهتماماً به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات أي: هم راسخون في الاختلاف فمن جازم باستحالته بقوله: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ ... ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾^(٣) ومن مقر يزعم أن آلهته يشفع له كما قالوا: ﴿هَتَوَلَّاءَ شَفَعْتُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٤) ومن شك يقول: ﴿مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنْفِئُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ﴾^(٥).

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ردع كما يستفاد من كلمة ﴿كَلَّا﴾ ووعيد كما يستفاد من قوله: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ أي: ليس أمر القيامة أو أمر التوحيد والنبوة أو الولاية مما ينكر أو يشك فيه بحيث يتساءل عنه سيعلمون ما اختلفوا فيه حق مقطوع لا شك فيه.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ تكرير للردع والوعيد و﴿كَلَّا﴾ للدلالة على أن الوعيد الثاني أشد وأبلغ وقيل: ليس تكراراً فقال: بالأول سيعلمون حقيقة الأمر عند النزاع ثم في يوم القيامة وورود جهنم وما تلاقونه من فنون الدواهي والعقوبات عما قليل.

١- عيون الأخبار الرضا، ج ١، ص ٩، و تفسير الصافي، ج ٥، ص ٢٧٣.

٢- الكافي، ج ٨، ص ٣٠.

٣- سورة الجاثية: ٢٣.

٤- سورة يونس: ١٨.

٥- سورة الجاثية ٣٢.

ثم نبههم على وجه الاستدلال على صحة ذلك فقال: ﴿أَرَأَيْتُمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ الهمزة للتقرير والمهاد البساط والفراش أي: ألم نجعل الأرض بساطاً ممهوداً تنقلبون عليها كما ينقلب الرجل على بساطه ومهاداً مفعول ثان لجعل إن كان الجعل بمعنى التقدير: وحال إذا كان بمعنى الخلق وقرئ مهداً تشبيهاً بمهد الصبي.

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ للأرض لثلاً تميد بأهلها والمراد إرساؤها فيها لتسكن إذ كانت تضطرب على الماء فهو من باب التشبيه البليغ، وسادات الأولياء وخواص الأصفياء على الحقيقة هم الأوتاد بهم يمسك السماء أن تقع على الأرض وهم الأئمة المعصومون وإنهم جبال ثابتة، وبهم ثبتت أرض الوجود ولولاهم لما خلقت.

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: جعلنا خلقكم حال كونكم أصنافاً ذكراً وأنثى والزوج يقال لكل واحد من القرينين المزدوجين حيواناً أو غيره كالخف والنعل ولا يقال: للثنين زوج بل زوجان ولذا كان الصواب أن يقال: قرضته بالمقراضين وقصصته بالمقصين لأنهما اثنان لا بالمقراض وبالمقص كذا قال الحريري في درة الفواص وقال الفيروزآبادي: يقال للثنين هما زوجان وهما زوج، وزوجة للمرأة لغة رديئة لقوله تعالى: ﴿يَتَّخِذُ أَنتَ وَزَوْجَكَ الْجَنَّةَ﴾^(١) ويقال لكل ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاداً زوج ولذا فسّر بعض الآية: خلقناكم حال كونكم معروضين لأوصاف متقابلة كل واحد منها مزدوج بما يقابله كالفقر والغنى والصحة والمرض والعلم والجهل والقوة والضعف والذكورة والأنوثة والطول والقصر، فالفاضل يشتغل بالشكر والمفضول بالصبر، ويحصل منكم التناسل، ويتمتع بعضكم ببعض.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتًا﴾ والنوم استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد إليه ولذا قلّ في أهل الرياضة لقلّة الرطوبة ﴿سُبَاتًا﴾ أي: كالموت، والمسبوت الميت، وهو القطع لأنّه مقطوع عن الحركة ومنه سمّي يوم السبت لأنّ الله بدأ بخلق السماوات والأرض يوم الأحد فخلقها في ستة أيّام فقطع عمله يوم السبت فسمّي بذلك والنوم إحدى التوفيتين كما قال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾^(١) أي: ويتوفّى التي لم تمت في منامها وذلك لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع أحكام الحياة، والتنوين في ﴿سُبَاتًا﴾ للنوعيّة أي: وجعلنا نومكم نوعا من الموت وهو الموت الذي ينقطع ولا يدوم إذ لا ينقطع ضوء الروح إلّا عن ظاهر البدن وبهذا الاعتبار قيل: له أخو الموت وقد جعله سبحانه راحة لأبدانكم عن الكلال والملال.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي: غطاء وسترة يستر بظلمته وسواده يقال: لبس الثوب استتر به واستعير اللباس لكلّ ما يغطّي الإنسان عن قبيح فجعل الزوج لزوجها لباسا من حيث يمنعه عن تعاطي قبيح وكذا البعل وأيضا جعل التقوى لباسا على طريق التشبيه وكذا جعل الخوف والجوع لباسا يقولون: فلان تدرّع الفقر ولبس الجوع، وحاصل المعنى أنّ الليل يستركم بظلامه كما يستركم اللباس. قيل: الليل ستر السالكين والنهار سوق البطالين. قال الشاعر:

الليل للعاشقين ستر يا ليت أوقاتها تسدوم^(٢)

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي: حياة تبعثون فيه من نومكم ووقت معاشكم ومبتغى عيشكم.

١- سورة الزمر: ٤٢.

٢- أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين، ج ٨، ص ٩٢، و تفسير الألويسي، ج ١٦، ص ٢١٣.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا سِدَادًا﴾ أي: سبع سماوات محكمة أتقنا صنعها وأوثقنا بناءها لا يؤثر فيها مرّ الدهور وكرّ العصور. والتعبير عنها بالبناء مبنيّ على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق.

﴿وَجَعَلْنَا﴾ أنشأنا ﴿بِرَبَابًا وَهَاجًا﴾ هو الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السماوات بالبناء وهاجاً ووقاداً متلأثاً من وهجت النار إذا أضاءت أو بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحرّ أي جامعاً بين النور والحرارة.

قيل: إن الشمس والقمر خلقا في بدء أمرهما من نور العرش ويرجعان في القيامة إلى نور العرش روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: ألا أحدثكم بما سمعت من رسول الله ﷺ: «يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما؟» قال قلنا: بلى يرحمك الله. فقال: إن رسول الله ﷺ سئل عن ذلك فقال ﷺ: «إن الله تعالى لما أبرز خلقه احكاماً ولم يبق غير آدم - أي وما كان خلقه بعد - خلق شمسين من نور عرشه فأما ما كان في سابق علمه أن يدعها شمساً فإنه خلقها مثل الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها، وما كان في سابق علمه أن يطمسها ويحولها قمراً فإنه جعله دون الشمس في العظم وإنما يرى صغرهما لشدة ارتفاعهما في السماء وبسببهما من الأرض فلو ترك الشمس والقمر كما كان خلقهما في بدء أمرهما لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا يدري الأجير متى يعمل ومتى يأخذ أجره ومتى يفطر الصائم ولا تدري المرأة متى تعتد ولا يدري المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم فكان الرب أنظر بعباده وأرحم بهم فأرسل جبرئيل فأمر جناحه على وجه القمر فطمس منه الضوء وبقي فيه من النور فذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾^(١) فالسواد الذي ترونه في القمر شبه الخطوط

فيه أثر المحو^(١) قال: «فإذا قامت القيامة وقضى الله بين الناس وميز بين أهل الجنة والنار ولم يدخلوهما بعد يدعو الرب بالشمس والقمر وي جاء بهما أسودين مكورين قد وقعا في زلازل وبلايل ترعد فرائصهما من هول ذلك اليوم ومخالفة الرحمن فإذا كانا حيال العرش خرا لله ساجدين فيقولان: إلهنا قد علمت طاعتنا لك ودايتنا في عبادتك وسرعتنا للمضي بأمرك أيام الدنيا فلا تمذبتنا بعبادة المشركين إيانا، فقد علمت أننا لم ندهم إلى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الرب: صدقتما إني قد قضيت على نفسي أن الله وأعبد وإني معيدكما إلى ما أبدأكما منه فأرجعا إلى ما خلقتكما منه فيقولان: ربنا من خلقتنا؟ فيقول: خلقتكما من نور عرشي فأرجعا إليه فتلمع من كل واحد منهما بركة يكاد يخطف الأبصار نوراً فيختلطان بنور العرش فذلك قوله: ﴿بَيِّنٌ وَبَيِّنٌ﴾^(٢)»^(٣).

فإن قيل: إن نور الشمس والقمر يتصل بنور النبي وإن نورهما مخلوقان من نوره فكيف يتصل نورهما بنور العرش؟

فالجواب أن العرش والكرسي خلقا من نوره ﷺ ولو كان خلق القمرين من نور العرش فهما أيضا مخلوقان من نور النبي في الحقيقة ومتصل نورهما بنوره ﷺ فالكل نوره.

﴿وَأَنْزَلْنَا﴾ النون للعظمة ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ هي السحاب إذا عصرت وشارفت أن تعصرها الرياح فتتمطر ولم تعصرها بعد، والإنزال من المستعد لا من المنزل والواقع وإلا يلزم تحصيل الحاصل وهمزة فعل «أعصر» للحيثونية يقال: أحصد الزرع إذا حان له أن يحصد وأعصرت الجارية أي: حان لها أن تعصر الطبيعة رحمها فتحيض أو دخلت في عصر شبابها ولو لم تكن همزة

١- تاريخ الطبري، ج ١، ص ٤٤.

٢- سورة البروج: ١٣.

٣- العظمة، لابن حبان الأصبهاني، ج ٤، ص ١١٦٢.

أعصر للحينونية لكان ينبغي أن يقرء «والمعصرات» بفتح الصاد على المفعول لأن الرياح تعصرها ويجوز أن تكون المعصرات الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب فتطر ﴿مَاءً مَّجَابًا﴾ أي: منصبا بكثرة دفاعاً من الصباية، مداراً متتابعاً يتلو بعضه بعضاً يقال: ثج الماء أي سال بكثرة. قال عنه: «أفضل الحجج العج والفتح»^(١) أي: رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى.

ولا منافاة بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾^(٢) فإن ابتداء المطر إن كان من السماء يكون الإنزال منها إلى السحاب ومنه إلى الأرض وإلا فإنزاله منها باعتبار تكون بأسباب سماوية من جعلتها حرارة الشمس باعتبار السببية والله خالق الأسباب ومسببها.

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ﴾ بذلك الماء بسبب وصوله إلى الأرض واختلاطه بها وهذه اللام المصلحة عند الأشاعرة ولام الغرض عند المعتزلة ﴿حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ والحب اسم جنس يشمل ما يكون قوتا للإنسان ويقوم به بدنه كالحنطة والشعير وأمثالها ونباتا كثيرا يعتلف به كالتبن والكلاء. وتقدم ذكر الحب مع تأخره عن النبات في الإخراج والوجود لأصلته.

﴿وَجَنَّاتٍ﴾ ليتفكك بها الإنسان قال الفراء: الجنة ما فيه النخيل، والفردوس ما فيه الكروم^(٣) والجنة في الأصل هي السترة تطلق على النخل والأشجار المتكاثفة بأغصانها وتطلق على الأرض ذات الشجر ﴿أَلْفَافًا﴾ أي: ملتفة تداخل بعضها في بعض وألفاف قيل: لا واحد له كالأوزاع والأخفاف^(٤)، والأوزاع بمعنى الجماعات وقيل: واحده لف ككن وأكتان أو مفردة لفيق أو

١- تذكرة الفقهاء، ج ٧، ص ٢٧٧، و كنز العمال، ج ٥، ص ٢٣.

٢- سورة الحجر: ٢٢.

٣- تفسير السمعاني، ج ١، ص ٦٠، و رياض الساكنين، ج ٦، ص ١٢٨.

٤- يقال: إخوة أخفاف، إذا كانوا عن أم واحدة وآباء شتى.

هو جمع لفّ جمع لفاء كخضر وخضراء فتكون ألفاف جمع الجمع والمراد من هذه الآيات بيان قدرته على البعث من ذكر الدلائل الآفاقية والأنفسية والاستبعاد من إنكارهم واختلافهم في وقوعه مع هذه الشواهد.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿كَانَ﴾ في تقديره وعلمه ﴿مِيقَاتًا﴾

وميعاداً للأولين والآخرين ووقت ظهور ما وعد الله من البعث والجزاء.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ بدل من «يوم الفصل» أو عطف بيان له مفيد

لزيادة تفخيمه وتهويله وذلك الوقت واليوم زمان ممتد يقع في مبدئه النفخة

وفي بقيته الفصل. والصور القرن النوراني المعروف والنافخ إسرافيل ﴿فَتَأْتُونَ

أَفْوَاجًا﴾ خطاب عامّ والفاء فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة

الحال عليها أي: فتبعثون من قبوركم فتأتون إلى الموقف أفواجاً والفوج

الجماعة المارة المسرعة.

وسأل معاذ رسول الله ﷺ من ذلك اليوم فقال ﷺ: «يا معاذ سألت عن

أمر عظيم». ثم أرسل ﷺ عينيه وقال: «تحشر عشرة أصناف من أمّتي بعضهم على

صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون أرجلهم فوق وجوههم

يسحبون عليها وبعضهم صمّي وبعضهم بكّم وبعضهم يعضفون ألسنتهم وهي مدلات^(١)

على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقنّروهم أهل الجمع وبعضهم مقطّمة أيديهم

وأرجلهم وبعضهم مصلّبون على جنوح من نار وبعضهم أشدّ نتناً من الجيف وبعضهم

ملبسون جباباً سابغة من القطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقنات

أي التمام من الناس^(٢) وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت أي الحرام لأنه

١- أدلاه: أرخاه واسترسله.

٢- حكى أن رجلاً باع عبداً وقال للمشتري: ما فيه عيب إلا النميمة فقال: رضيت فاشتراه فمكث

الغلام أياماً ثم قال لزوجة المولى: إن زوجك لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك فخذني

الموسى واحلّقي حين ينام من قفاه شعرات حتى أسحر عليه فيحبك ثم قال للزوج: إن امرأتك

يسحت الذين والمروة ويستأصلهما وأما المنكوسون على وجوههم فأكلة الربا
 (والتنكيس تعكيس هيئة القيام على الرجل بأن تجعل الرجل أعلى والرأس أسفل) وأما
 العمي فالذين يجورون في الحكم وأما البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يعضفون
 السننهم فالعلماء والقضاة الذين خالف قولهم أعمالهم وأما الذين قطعتم أيديهم
 وأرجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم وأما المصلبون على جنوح النار فالسعاة بين الناس
 إلى السلاطين وأما الذين هم أشد نغنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات
 ويمنعون حق الله في أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والخيلاء^(١).

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ عطف على ينفخ أي: تفتح وتشق السماء من هيئة
 الله بعد أن كانت لا فطور فيها وصيغة الماضي للدلالة على التحقق ﴿فَكَانَتْ
 أَبْوَابًا﴾ ذات أبواب كثيرة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد وقيل: المراد من
 الفتح الكشف بإزالتها عن مكانها كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾^(٢) أي:
 تكشط فيصير مكانها طرقا لا يسدها شيء.

﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ والمسير هو الله بعد قلعها عن مقرها وتنسب^(٣) ثم
 يفرقها في الهواء وذلك قوله: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ السراب ما تراه نصف النهار
 وهو اللامع في المغازة كالماء وذلك لانسرابه وجريانه في مرأى العين أي:
 فصارت بتسييرها مثل السراب أي شيئا كلا شيء لانبثات جواهرها.

فللجبال حالات فأول حالاته الاندكاك كما قال: ﴿وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ

→ أخذت خليلا وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم الرجل فجاءت المرأة بالموسى فظن
 أنها تقتله فقام فقتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج فوق القتال بين القبيلتين وطلال الفساد بينهم.

١- تفسير الرازي، ج ٣١، ص ١٠، و الكشاف، ج ٤، ص ٢٠٨.

٢- سورة التكويد: ١١.

٣- أي: تحركت بسرعة.

فَذَكَّنَا ذِكَّهُ وَجِدَةً^(١) وحالتها الثانية أن تصير ﴿صَكَالِمِهِنَّ الْمَنْفُوشِ﴾^(٢) والثالثة أن تصير كالهباء وذلك بأن تبدد كما قال: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾^(٣) والرابعة أن ينسف لأنها مع الأحوال المتقدمة كانت قارة مبثوثة على الأرض فنسفت بالرياح وهو المراد من قوله: ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾^(٤) وحالته الخامسة أن تصير سراياً.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَلًا﴾ أي: إنها في حكم الله موضع رصد يرصد فيه وخزنة جهنم يرصدون الكفار ليعذبوهم فيها فالمرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه ويستعمل للمحل الذي اختص بالترغيب والجواز عليه.

﴿لِلْعَالَمِينَ مَقَابًا﴾ أي: كائنا للذين جاوزوا حدود الله مرجعاً يرجعون إليه. ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ حال كونهم مستقرين في جهنم أزماناً كثيرة لا نهاية لها ودهوراً متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر إلى غير نهاية وأصل الحقب من الترادف والتابع يقال: أحقب إذا أردف وقيل: إن الأحقاب ثلاثة وأربعون حقباً كل حقب سبعون خريفاً كل خريف سبعمئة سنة كل سنة ثلاثمئة وستون يوماً واليوم ألف سنة من أيام الدنيا كما روي عن ابن عباس. وقال بعض: الحقب الواحد سبعون ألف، اليوم منها ألف سنة من أيام الدنيا كما قال به الحسن البصري. قال الفيروزآبادي: الحقبة بالكسر من الدهر مدة لا وقت لها^(٥).

فإن قيل: إن في معنى الأحقاب ما يدل على التناهي وخروجهم منها؟

١- سورة الحاقة: ١٤.

٢- سورة القارعة: ٥.

٣- سورة الواقعة: ٦.

٤- سورة طه: ١٠٥.

٥- بحار الانوار، ج ٤٤، ص ٢٨٠، و تفسير الألويسي، ج ١٥، ص ٣١٣.

فدلالتة من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار
 كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ
 عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾^(١) وأمثالها كثيرة الدالة على الخلود الأبدي. وقيل: هذا التوقيت
 لأنواع العذاب لا لمكثهم في النار. وقيل: إنه يعني به لأهل التوحيد عن خالد
 بن معدان وروى نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله: «لا يخرج من النار من
 دخلها حتى يمكث فيها أحقاباً والحقب بضع وستون سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوماً
 كل يوم كالف سنة مما تعدون فلا يتكلم أحد أن يخرج من النار»^(٢).

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ والذوق وإن كان في
 العرف للقليل لكنه صالح للكثير لوجود الذوق في الكثير أيضاً والمراد بالبرد
 ما يروّحهم وينفّس عنهم حرّ النار وإلا فهم يذوقون في جهنم برد الزمهرير.
 وكنتي بالبرد عن الروح وبما يجد الإنسان من اللذة في الحرّ من البرد أو
 المراد من البرد النوم قاله أبو عبيدة: واستشهد «فيصدني عنها وعن قبالاتها
 البرد»^(٣) أي: النوم ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ أي: ماء إلا الحميم وهو الماء الحارّ المغيور
 ﴿وَوَسَّاقًا﴾ وهو صديد جهنم وما يسيل من جلود أهل النار وقبحهم
 والاستثناء منقطع أي لكن يذوقون الحميم والغساق وإن فسّر الغساق
 بالزمهرير فاستثناؤه من البرد والتأخير ليوافق رؤوس الآي.

وعن ابن مسعود: الغساق لون من ألوان العذاب وهو البرد الشديد حتى
 أن أهل النار إذا القوا فيه سألوا الله أن يعذبهم في النار ألف سنة لَمَّا رأوه
 أهون عليهم من عذاب الزمهرير يوماً واحداً^(٤).

١- سورة النساء: ٤٠.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٤٤.

٣- التبيان، ج ١٠، ص ٢٤٤.

٤- تفسير القرطبي، ج ١٩، ص ١٣٨.

وقال شهر بن حوشب: الغساق واد في النار فيه ثلاثمائة وثلاثون شعباً في كل شعب ثلاثمائة وثلاثون بيتاً، وفي كل بيت أربع زوايا في كل زاوية شجاع كأعظم ما خلق الله من الخلق في رأس كل شجاع سم^(١)، قال ابن مسعود: لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصي الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصي الدنيا لحزنوا^(٢).

أقول: وأما ما قاله بعض حكماء الإسلام من أن الكفار بعد مضي الأحقاب ينقطع عنهم العذاب فألفوا العذاب وتعودوا به ولم يتألموا منه ويؤول أمرهم إلى أن يتلذذوا بالنار حتى لو هب عليهم نسيم الجنة استكروهه وتعذبوا به كالجمل يتألم من الورد ويحصل لهم حالة جسم السمندري أو أن النار يحرق الكفار في عوض شرك يوم من أيام الدنيا ألف سنة من سني الآخرة ثم بعد مرور الأحقاب ينقطع العذاب عنهم.

فذلك بمعزل عن القبول ومن قال به كذب بالقرآن بل كذب بجميع الكتب السماوية والأنبياء مثل عبد الكريم الجيلاني في كتابه المسمى «إنسان الكامل» وابن العربي والبسطامي وأمثالهم ممن أظهروا الباطل في صورة الحق وقالوا: إن الآيات التي يدل على خلودهم في النار بحيث يتألمون بالتعذيب إنما يدل على الزمان الطويل لا على التألم وإنما يعذبون مدة طويلة ثم هم خالدون إلا أنهم غير معذبين وتكلفوا في ظاهر القرآن والنصوص بالتأويلات القبيحة المستحسنة الظاهرة مثل أنه سبحانه تمدح بالعمو والمغفرة ولم يتمدح بالتعذيب وقالوا: صورة العذاب دائمة ولكنهم بعد أحقاب من العذاب يتنعمون من العذاب كما قال ابن العربي: (يميت فتجري فيهم تلك السموم الشديدة حتى يتخذروا بذلك فيحصل لهم أعظم

١- تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ١١٦.

٢- تفسير البغوي، ج ٤، ص ٤٣٨، و شرح مسند أبي حنيفة، للقاري، ص ٥٦٠.

اللذة والنعيم) ولو كان الأمر كما زعموا فلم يتمنون الموت بقولهم: ﴿يَكْفُرُ بِكَ الْيَاقِينُ
مَلِيئًا رِيًّا﴾^(١) فيجابون ﴿إِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾

فالحجة في الآيات الإحالة على العرف في فهم الآيات والنصوص وأنهم لا يخاطبون بما لا يعرفون فإنهم لا يعرفون في قوله: ﴿خَلَّيْنِ فِيهَا أَيْدِيًا﴾،
﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌّ﴾، ﴿لَا يُقَرَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾^(٢) إلا عدم انقطاع
العذاب ومعلوم بالضرورة أنه ما ورد من الأنبياء ولا من الأئمة مثل هذه التأويلات
في مثل هذه الآيات أبدا فلا بد أن يضرب بالحائط هذه التأويلات الفاسدة.

﴿جَزَاءً وَفَاءً﴾ أي: جوزوا بذلك جزاءً وفاقاً لأعمالهم وعقائدهم
ووافقها وفاقاً لأنهم أتوا بمعصية عظيمة فعوقبوا عقاباً عظيماً ﴿وَمَزَاجًا سَيِّئًا
سَيِّئًا مِثْلَهَا﴾^(٣) لأن الكفار كان من نياتهم الاستمرار على الكفر ولو عمروا
عمر الدنيا بل عمر الآخرة.

ثم علل استحقاقهم بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ينكرون
الآخرة ولا يخافون أن يحاسبوا بأعمالهم ويقدمون في كل ما اشتتت نفوسهم
ويستعمل الرجاء في الخوف قال الهذلي: (إذا لسعت النحل لم يرج لسعها)^(٤)
﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ وقد أنكروا آياتنا ورسلنا كذاباً أي تكديباً مفرطاً.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ أي: وكل شيء من أعمالهم حفظناه
حال كونه مكتوباً عليهم والإحصاء والكتابة في الضبط معنى متقارب ويجوز
أن يكون من باب الاحتباك^(٥)، حذف الفعل الثاني بقريظة الأول ومصدر الأول

١- سورة الزخرف: ٧٧.

٢- سورة الزخرف: ٧٥.

٣- سورة الشورى: ٤٠.

٤- مجمع البيان، ج ٥، ص ١٥٩، والكشاف، ج ٣، ص ١٩٧، و التبيان، ج ٣، ص ٣١٥.

٥- الاحتباك احتزام الثوب بالإزار.

بقرينة الثاني والتقدير أي: أحصيناه إحصاء وكتبناه كتاباً.

﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ والفاء في فذوقوا جزائية دالة على أن الأمر بالذوق مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وأن كل عذاب يأتي بعد الوقت الأول فهو زائد عليه ويزود العذاب ويتجدد غير الأول إلى ما لا نهاية.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ شروع في بيان محاسن أحوال المؤمنين أي: إن للذين يتقون الكفر والكبائر فوزاً وظفراً بمباغيهم أو موضع فوز، فالمفاز على الأول مصدر ميمي وعلى الثاني اسم مكان.

﴿حَتَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ بدل من «مفاز» بدل الاشتغال إذا كان مصدراً ميمياً لأن الفوز يدل عليه دلالة التزامية، وبدل البعض إذا كان اسم مكان والحديقة الروضة ذات الأشجار والماء تكون محوطة سميت تشبيهاً بحديقة العين في الهيئة من التحوط وحصول الماء فيها.

﴿وَكَوَائِبَ﴾ جمع كاعبة كعبت المرأة ظهر ثديها وبدت للارتفاع ونهدت ﴿أَرْبَابًا﴾ مستويات في السن، لدات في الميلاد، تشبيهاً في التساوي بالترائب التي هي ضلوع الصدر قيل: إنهن في سن ست عشر لكونها نصف سن الرجال لأن سن أهل الجنة في ثلاث وثلاثين ويدل على هذا المعنى وصفهن بالكعوب وهذه الكيفية في الثدي يحصل في هذا السن من البنات.

﴿وَأَسَا دِهَاقًا﴾ أي: مملوءة بالخمير ﴿دِهَاقًا﴾ أي: مدهقة مبالغة في امتلائها يقال: أدهق الحوض ودهقه ملاء.

﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: المتقون ﴿فِيهَا﴾ في الحدائق ﴿لَفَوْا وَلَا كَذَابًا﴾ لا ينطقون بلغو وهو من الكلام ما يطرح لعدم الفائدة فيه ولا يكذب بعضهم بعضاً بخلاف مجالس الدنيا من الشرب ولا يكذب بعضهم كلام الآخر بخلاف المصاحبين في الدنيا.

﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: فعل بالمتقين ما فعل جزاء من الله على تصديقهم بالله وبرسوله وعملوا بكتابه ﴿عَطَاءً﴾ أي: أعطاهم الله إعطاء ﴿حِسَابًا﴾ أي: كافيا على قدر ما يشتهون أو على مقابلة صحة حسابهم مع الله في الدنيا بما وعد سبحانه لهم من عشرة وسبعمائة والمضاعفة وهو داخل في الحساب والتقدير، والحساب بمعنى التقدير والقدر، فيكون المعنى عطاء بحساب. والعطاء يستعمل في موضع الفضل لا في موضع الاستحقاق والفضل موهبة من الله يختص بها من يشاء. ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ بدل من ربك أي رب كل شيء وخالقه ﴿الرَّحْمَنُ﴾ مفيض الجود والرحمة بقدر استعداد المرحوم، وهو بالجر صفة للرب أو المعنى ربهم المعطي إياهم ذلك العطاء الجزيل هو الرحمن ﴿لَا يَلْمُوكَ إِنَّمَا يُخِيبُونَ﴾ استيناف مقرر لبيان غاية العظمة واستقلاله من الجزاء والعطاء من غير أن يكون لأحد قدرة عليه وبيان نفي قدرتهم على أن يخاطبوه بشيء من نقص العذاب وزيادة في الثواب من غير إذنه مثل قوله: ﴿لَا تَكْفُرْ إِلَّا بِأَنفُسِكُمْ﴾^(١) ومثل قوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾^(٢).

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ الظاهر أن الروح من جنس الملائكة لكنه أعظم منهم خلقاً ورتبةً وشرفاً لتسميته بالروح والروح أعظم من قواه التابعة له في الإنسان فكذلك في الملائكة وفسر بعض الروح بجبرئيل إذ هو مشهور بروح الأمين وروح القدس، لكن هذا القول ضعيف لأن هذه النسبة إلى جبرئيل لأنه حامل الوحي الذي هو كالروح في الأحياء وقد اتفقوا على أن إسرافيل أعظم من جبرئيل قيل: إن

١- سورة يونس: ١٠٦.

٢- سورة الجن: ٢٧.

الروح خلق من خلق الله على صورة بني آدم وليسوا بناس وليسوا بملائكة يقومون صفًا والملائكة صفًا هؤلاء جند وهؤلاء جند وقيل: إن الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقاً أعظم منه فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفًا وقامت الملائكة كلهم صفًا فيكون عظم خلقه مثل صف الملائكة جميعاً عن ابن مسعود وابن عباس وقيل: المراد أن أرواح الناس يقوم مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أن ترد الأرواح إلى الأجساد ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ فإذا اذن لهم قالوا (لا إله إلا الله) وهذا قول الصواب أو من قال في الدنيا قول الحق وكان يقول: (لا إله إلا الله)، وهم أهل التوحيد.

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى يوم قيامهم ﴿الْيَوْمَ الْحَقُّ﴾ الثابت المتحقق لا محالة لأنه متحقق علمًا ووقوعاً وروى معاوية بن عمارة عن الصادق عليه السلام قال: سئل عن هذه الآية فقال: «نحن والله المأمون لهم يوم القيامة والقاتلون»، قال: جعلت فداك ما تقولون؟ قال: «لمجد ربنا وفضلنا على نبينا ونشفع لشيعتنا فلا يردنا ربنا»^(١) ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَهًا رَبًّا﴾ أي: فعلى هذا البيان من عمل عملاً صالحاً يؤوب به إلى ربه فقد أزيلت العلة وأوضحت السبل.

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ﴾ بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده والقوارع الواردة في القرآن ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ وهو عذاب يوم القيامة وقربه لتحقق إثباته حتماً^(٢) ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَنْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ تشية أصلها يدان سقطت النون بالإضافة أي: عذاباً كائناً يوم ينظر المرء ويشاهد ما قدمه من خير أو شر لأن كل أحد يرى عمله مثبتاً في صحيفة فيرجوا المؤمن ثواب الله على صالح

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٤٨.

٢- سورة النازعات: ٤٦.

عمله ويخاف العقاب على سيئته.

وأما الكافر ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْبِغُنِي﴾ والمنادى محذوف أي: يا قوم، أو يكون لمحض التحسر من غير قصد إلى خطاب ﴿كُتُّ تَرَابًا﴾ في الدنيا ولم أخلق ولم أبعث قيل: يحشر الله الحيوان فيقتصر للجماة من القرناء نطحتها^(١) لقصاص المقابلة لا قصاص التكليف ثم يرده ترابا فيتمنى الكافر حاله. وقيل: الكافر في الآية إبليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن طِينٍ﴾^(٢) ويقول: ﴿يَلْبِغُنِي كُتُّ تَرَابًا﴾ وقيل: هو تراب سجدة المؤمن تنطفئ به عنه النار وتراب قدمه عند قيامه في الصلاة فيتمنى الكافر أن يكون تراب قدمه.

روى ابي بن كعب قال رسول الله ﷺ: «تعلّموا سورة النبا وسورة ق وسورة والنجم وسورة والسماء ذات البروج وسورة والسماء والطارق فإنكم لو تعلمون ما فيهن لمطلن ما أتم عليه وقرنتم إلى الله بهن إن الله يغفر بهن كل ذنب إلا الشرك به»^(٣). قال ﷺ: لما قيل له ﷺ: لقد أسرع الشيب إليك يا رسول الله؟ قال: «شيبني هود والواقعة والمرسلات وعم وإذا الشمس كورت»^(٤) واستحضار معاني هذه السور يشيب الإنسان من الهم ويذيب من الخوف والغم لأن الشحم والهم لا ينعقد. تمت السورة بعون الله.

١- الجماة: الكبش لا قرن له خلاف القرناء.

٢- سورة الأعراف: ١١.

٣- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤١١.

٤- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٧٣، وكنز العمال، ج ١، ص ٥٧٣.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

مكية. قال النبي ﷺ: «ومن قرأ هذه السورة لم يكن حسبه وحسابه يوم القيامة إلا كقدر صلاة مكتوبة حتى يدخل الجنة»^(١). وقال أبو عبد الله: «ومن قرأها لم يمت إلا وريان ولم يبعثه الله إلا ريان، ولم يدخل الجنة إلا ريان».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ①
وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ②
وَالسَّيِّحَاتِ مَسْبَحًا ③
فَالسَّيِّغَاتِ ④
فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ⑤
يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ⑥
تَتَّبِعُهَا الرَّاغِبَةُ ⑦
قُلُوبٌ ⑧
يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ⑨
أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ⑩
يَقُولُونَ أَوْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ⑪
أَوْذَا كُنَّا عِظْمًا تَخِرَّةً ⑫
قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ⑬
فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ⑭
فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ⑮

المعنى: النزاع جذب الشيء من مقرة بشدة والفرق مصدر بمعنى الإغراق بحذف الزوائد وهو مفعول للنزاعات يعني مفعول مطلق له لأنه نوع من النزاع. والإغراق في النزاع التوغل فيه إلى أقصى درجاته يقال: أغرق النازع في

١- تفسير نورالثقلين، للحويزي، ج ٥، ص ٤٩٧، و تخريج الأحاديث والآثار، ج ٤، ص ١٥١، و مستدرک الوسائل، ج ٤، ص ٣٥٥.
٤. مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٥٠، و المصباح، للكفعمي، ص ٤٤٩.

القوس إذا بلغ غاية المدة حتى انتهى إلى المنصل، أقسم الله بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من الكفار من أجسادهم إغراقاً في النزع كما ينزع السهم الكثير الشعب من الصوف المبلول وكما يسلخ جلد الحيوان وهو حيّ وكما يضرب الإنسان ألف ضربة بالسيف بل أشدّ، والمراد من التأنيث باعتبار الطوائف من أعوان ملك الموت من الملائكة وإلا لكان أن يقال: والنازعين والناشطين. وهم يطعنون الكفار بحربة مسمومة بسم جهنم والميت يظن أن بطنه قد ملئ شوكاً وكان نفسه يخرج من ثقب إبرة وكان السماء انطبقت على الأرض وهو بينهما فإذا نزعت نفس الكافر وهي ترعد أشبه شيء بالزبيق على قدر النحلة وعلى صورة عمله تأخذها الزبانية ويعذبونها في القبر وفي سجّين وفي الآية بيان كيفية قبض أرواح الكفار بالشدة بشهادة مدلول اللفظ.

﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ قسم آخر بطريق العطف والنشط ضد معنى النزع وجذب الشيء من مقره برفق ولين أقسم الله بالملائكة التي تنشط أرواح المؤمنين وتخرجها من أبدانهم بالرفق يقال: انشطت العقدة حللتها، ويقال: نشطتها عقدتها وكما تنشط الشعرة من السمن والقطرة من السقاء، ونفس المؤمن وإن كان يجذب من أطراف البنان ورؤوس الأصابع أيضاً لكن إحساسه بالألم ليس كما يحس الكافر وأيضاً حين يجذبونها يدعونها أحياناً حتى تستريح بخلاق جذب أرواح الكفار وربما يتعرض الشيطان للمؤمن الضعيف العمل واليقين إذا بلغ الروح التراقي فيأتيه في صورة أبيه وأمه وأخيه ويأمره باليهودية أو النصرانية.

حكى أن إبليس تمثّل للنبي ﷺ يوماً ويده قارورة ماء فقال: أبيعك بإيمان الناس حالة النزع فبكى النبي ﷺ فأوحى الله إليه: «إني أحفظ عبادي في تلك الحالة من كيد». فإذا أخذوا روح المؤمن يلقونها في حرير الجنة وهي على قدر النحلة وعلى

صورة عمله فيخرجون بها إلى الهواء ويهتتون له أسباب التنقم في قبره وفي عليين». **﴿وَأَلْتَشِطَّتْ﴾** إشارة إلى كيفية قبض أرواح المؤمنين بمدلول اللفظ من نشط العقال من يد البصير إذا حلّ، أو المعنى تنشط أرواح المؤمنين للخروج لأنه ما من مؤمن يحضره الموت إلا عرضت عليه الجنة قبل أن يموت فيرى موضعه فيها وأزواجه من الحور العين نفسه تنشط أن تخرج عن ابن عباس. وقيل: المراد نشط أرواح الكفار بين الجلد والظفر حتى تخرج من أجوافهم بالكرب والغم عن علي عليه السلام. وقيل: المراد أنها النجوم تنشط وتذهب من أفق إلى أفق كما قيل هذا المعنى في النازعات بأن المراد من النازعات أيضاً هذا المعنى تطلع في أفق وتنزع وتغيب عن أفق.

فإن قيل: إذا كان روح المؤمن في النزاع تنزع بالسهولة كما شرح وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ روحه الطيب ببعض شدة حتى قال: «واكرباه» وقال: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات»^(١). «اللهم أعني على سكرات الموت»^(٢) وكان يدخل يده الشريفة في قدح فيه ماء ثم يمسح وجهه المنور بالماء، ولما رآته فاطمة عليها السلام يغشاه الكرب قالت وا كرب أبناه! فقال: «ليس على أهلك كرب بعد اليوم»^(٣) فإذا كان أمر النبي حين انتقاله هكذا فما الوجه فيما ذكر من الرفق؟ فالجواب روي بأنه طلب من الله أن يحمل عليه بعض صعوبة الموت تخفيفاً عن أمته فإنه بالمؤمنين رؤوف رحيم وأيضاً يحتمل أن يبتليه الله بذلك ليدعو الله في أن يجعل الموت لأُمَّته سهلاً يسيراً وفيه تسلية أمته إذا وقع لأحد منهم شيء من ذلك الكرب عند الموت وأيضاً راحة الكملين في الشدة لأنها

١- صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٤٢، و كنز العمال، ج ١٥، ص ٥٥٧.

٢- الدعوات، للراوندي، ص ٢٥٠.

٣- السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٤٦٩.

من باب الترقّي في الدرجات على أنّ مزاجه الشريف أعدل الأمزجة فاحسن بالآلم أكثر من غيره إذ الخفيف على الأخفّ ثقيل.

﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْعًا﴾ قسم آخر على العطف والسبح المرّ السريع في الماء أو في الهواء أقسم الله بطوائف الملائكة التي تسبح وتسرع في مضيتها من السماء إلى الأرض مسرعين مشبهين في سرعة نزولهم بمن يسبح في الماء كما يقال للفرس الجواد سابح. وقيل: إنها النجوم تسبح في فللكها. وقيل: هي خيل الغزاة تسبح في عدوها. وقيل: هي السفن تسبح في الماء.

﴿قَالَتِ بَقِيَّتُ سَبَقًا﴾ قيل: إنها الملائكة لأنها سبقت ابن آدم بالخير والإيمان والعمل الصالح. وقيل: إنها تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء وقيل: إنها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة عن عليّ عليه السلام وقيل: إنها أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقاً إلى رحمة الله. وقيل: النجوم تسبق بعضها بعضاً في السير وقيل: إنها الخيل تسبق بعضها بعضاً في العدو.

﴿قَالَتِ الْمُدْرِيَّتُ أَمْرًا﴾ قيل: إنها الملائكة تدبّر أمر العباد من السنة إلى السنة عن عليّ عليه السلام وقيل: المراد جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت يدبّرون أمر الدنيا فأما جبرئيل فموكّل بالرياح وأما ميكائيل فموكّل بالقطر والنبات وأما ملك الموت فموكّل بقبض الأنفس وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم. وقيل: إنها الأفلاك يقع فيها أمر الله فيجري بها القضاء في الدنيا.

وبالجملة أقسم الله بهذه الأشياء أو بربّ هذه الأشياء التي عدّها وهذا ترك الظاهر بغير دليل ولله أن يقسم بما شاء من خلقه وليس لخلقه أن يقسموا إلّا به وجواب القسم محذوف والتقدير ﴿تُبَشِّرُنَّ﴾ لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ منصوب ومتعلق بالجواب المحذوف وهو لتبعثن والمراد الراجفة الواقعة التي ترجف عندها الأجرام الساكنة كالارض والجبال أي تتزلزل زلزلة عظيمة وهي النفخة الاولى وفيه إشعار بأن تغير السفلي مقدم على تغير العلوي وإن لم يكن مقطوعاً.

﴿تَتَّبِعَهَا الرَّادِفَةُ﴾ أي: الواقعة التي تردف الاولى وتجيء بعد الاولى أي لتبعثن يوم الرجفة حال كون النفخة الثانية تلو الاولى والبعث يكون عند النفخة الثانية وبين النفختين أربعون سنة والمراد بيان تهويل اليوم في كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الاولى حي إلا مات وفي الثانية مئت إلا بعث وقام.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ﴾ مبتدأ وتنكيره يقوم مقام الوصف المخصص وإن لم يذكر النوع المقابل أو يفيد التكثير كما في شرّ أهرّ ذا ناب أي قلوب كثيرة أو عاصية ﴿وَأَجْفَةٌ﴾ مضطربة من سوء أعمالهم وقلقة من الخوف ﴿أَبْصَرُهَا﴾ أي: أبصار أصحابها ﴿خَشِيعَةً﴾ ذليلة وأسند الخشوع إليها مجازاً لأن أثره يظهر فيها.

﴿يَقُولُونَ﴾ أي: هم كانوا يقولون ﴿أَوَّانًا لَمَرَّةٍ وَّوَدُونَ﴾ هل نحن معاودون بعد موتنا ﴿فِي لُحَاظِرِنَا﴾ والحاصل أن مشركي قريش ومنكري البعث في الدنيا إذا قيل: لهم إنكم مبعوثون من بعد الموت يقولون أنردّ إلى أوّل حالنا وابتداء أمرنا فنصير أحياء كما كنا؟ والحافرة عند العرب اسم لأوّل الشيء وابتدأوه وقيل: الحافرة بمعنى المحفورة أي: أنردّ من قبورنا بعد موتنا أحياء؟ ﴿أَيُّ ذَا كُنَّا عِظْمًا نَّخْرَةً﴾ أي: إذا صرنا عظاماً بالية نردّ ونبعث مع كونها أبعد شيء من الحياة فهو تأكيد لإنكارهم البعث وذلك أنهم ظنوا أن من فساد البدن وتفرّق أجزائه يلزم فساد ما هو الإنسان حقيقة وليس كذلك ولو سلم

أن الإنسان هو هذا الهيكل المخصوص فلا نسلم امتناع إعادة المعدوم فإن الله قادر على كل ما أراد فيقدر على جمع الأجزاء العنصرية وإعادة الحياة إليها لأنها متميزة في علمه وإن كانت غير متميزة في علم الخلق ومستهلكة كالماء مع اللبن فإنهما وإن امتزجا لكن أحدهما متميز عن الآخر في علم الله مثل أنه ما كان فكان كذلك فيكون فليس كون الثاني بأبعد من الأول.

﴿قَالُوا يَلَيْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أي: إن كان الأمر على ما يقوله محمد من أنا نبعث ونعاقب فذلك البعث والرجوع بعد الموت لنا ﴿كِرَّةٌ﴾ ذات خسران أو خاسرة أصحابها وكان ذلك القول منهم في الدنيا على سبيل الاستهزاء لأنهم كانوا استحالوا وقوعه. فأجاب الله بقوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَجِدَةٌ﴾ أي: لا تحسبوا تلك الكرة صعبة بل هي هينة وإنما هي صيحة حاصلة لا تكرر يسمعونها وهم في بطون الأرض عبر سبحانه الكرة بالزجرة مع أن الزجرة سبب لحصول الكرة تنبيهاً على كمال اتصالها بها كأنها عينها.

﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ أي: فاجزوا الحصول بالساهرة وحضروا الموقف عقيب الزجرة. والساهرة الأرض البيضاء المستوية خالية عن الماء والكلاء قيل لها «ساهرة» لأن سالكها لا ينام فيها خوف الهلكة وقال ابن عباس: (إن الساهرة أرض من فضة لم يعص الله عليها قط خلقها حيثئذ). وقيل: المراد من الساهرة أرض الشام قرب بيت المقدس اسمها ساهرة ويكون الجمع هناك عند ما يبذل الله الأرض غير الأرض وهي عرصة القيامة.

هَلْ أُنْتِكَ حَدِيثٌ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَتْهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبُنَا ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَوْ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ آيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَتْسَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي

ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِمَن يَخْشَى ۞ (٢٦)

﴿هَلْ أُنْتِكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ كلام مستأنف وارد لتسلية الرسول عن تكذيب قومه بأنه يصيبهم مثل ما أصاب من كان أقوى منهم كأنه سبحانه قال: ﴿هَلْ أُنْتِكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ قبل هذا أم أنا أخبرك به؟ أو يكون ﴿هَلْ أُنْتِكَ﴾ أي أليس قد أتاك حكاية موسى مع فرعون فيقتضي أن لا تتحزن على إصرار قومك في إنكارهم للبعث.

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ﴾ ظرف للحديث أي حين ناداه الله ودعاه مثل قوله: يا فلان ووقع النداء في الوادي المبارك المطهر وكان الوادي في حدود الأرض المقدسة المطهرة عن الشرك ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ اسم الوادي وقيل: طوى بالتقديس مرتين لأنه الموضع الذي كلم الله موسى. قرئ «طوى» منوتاً وغير منون.

﴿أَذْهَبَ إِيَّكَ فِرْعَوْنَ﴾ قال الله لموسى: اذهب إلى فرعون ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ تعليل للأمر أي طغى على الخالق بكفره وطغى على الخلق بأن استعبدهم وجاوز الحد وساء المعاملة معهما ﴿فَقُلْ﴾ بعد ما أتته: ﴿هَلْ لَكَ رَغْبَةٌ وَتَوَجَّهَ﴾ ﴿إِلَىٰ أَن تَزُكَّى﴾ بحذف إحدى التاءين أي تتطهر من دنس الكفر والظفيران. ولك خبر عن مبتدئ محذوف أي هل رغبة لك حاصلة في أن تصلح ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وأدلك إلى معرفة خالقك وأرشدك إلى طريق الحق ﴿فَنَخْسَى﴾ وتخافه فيما نهاك عنه.

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ وفي الكلام تقدير وحذف أي أتاه ودعاه فأراه الآية وهي العصا أو اليد ﴿فَكَذَّبَ﴾ بأنها من الله وجحد نبوته فسمى معجزته الكبيرة وهي قلب العصى حية سحراً ﴿وَعَصَى﴾ الله بالتمرد حيث اجترأ على إنكار رب العالمين وعصى موسى فيما أمره به.

﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾ اللعين عن الطاعة وكلمة ﴿ثُمَّ﴾ تفيد التراخي الزماني إذا

السعي في إبطال أمر موسى يقتضي مهلة فانصرف اللعين عن المجلس وولى دبره ﴿يَتَوَلَّى﴾ ويجتهد في معارضة الآية عنادا لا اعتقادا بأنها يمكن معارضتها تعليلا بالباطل ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ فجمع السحرة وجمع ما يكاد به من آلات السحر ونادى بنفسه في المقام الذي اجتمع الناس فيه ﴿قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ لا ربَّ فوقي ولا أعلى مني يلي أمركم.

قال أهل التحقيق: ما أشقى الإنسان حيث ادعى الربوبية وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ وإبليس تبرأ من هذا الكلام وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾^(١).

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ النكال بمعنى التعذيب كالسلام بمعنى التسليم ومصدر مؤكد والمعنى نكل الله نكال الآخرة والأولى وهو الإحراق في الآخرة والإغراق في الدنيا ولما لم يكن صادقا في دعواه افتضح في الدنيا والآخرة. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً﴾ وفيما ذكر من قصة فرعون لاعتباراً وعظة ﴿لِمَن يَخْشَى﴾ من ربه وخالفه فلا يتمرد على الله ولا على أنبيائه والعاقل من اتعظ بغيره.

أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْفُسِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُرُزَّتِ السَّجِدَاتُ لِلَّذِينَ يُنظَرُونَ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ مُنْتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ بَرُوزِهَا لَمَّا يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ خطاب للمنكرين للبعث بناءً على صعوبة الأمر بزعمهم بطريق التوبيخ والمراد من الشدة الصعوبة لا الصلابة ﴿أَوِ اتَّقَاءُ﴾ أم خلق السماء بلا مادة على عظيمها وانطوائها على البدائع التي تحار العقول في ملاحظة أدناها والقادر على الأصعب الأعسر كيف لا يقدر على حشركم وهو الأسهل ﴿بَنَاهَا﴾ استيناف وتفصيل لكيفية خلقها وتم الكلام عند قوله: ﴿أَوِ اتَّقَاءُ﴾ وابتدأ بقوله: ﴿بَنَاهَا﴾ واستعمل البناء في موضع السقف والبناء وإن كان تستعمل في أسافل البناء لكنه استعمل في السقف وهو من أعالي البناء لكونه بعيداً عن الاختلال والانحلال كالبناء.

﴿رَفَعَ سَكَّهَا فَتَوَّهَهَا﴾ أي: جعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها إلى سمت العلو رفيعاً مسيرة خمسمائة عام والسمك الارتفاع وهو مقابل العمق ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام: «يا داعم»^(١) المسموكت»^(٢) والتسوية جعل أحد الشيتين على مقدار الآخر فسواها بلا تفاوت وفطور أو أحكمها.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي أظلم ليلاً ﴿وَأَفْرَجَ نَهَارَهَا﴾ أي أبرز نهارها، وأضاف الليل والنهار إلى السماء لأن منها منشأ الظلام والضياء.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ المعنى إن الأرض بعد خلق السماء بسطها وإن كانت الأرض خلقت قبل السماء وكانت ربوة مجتمعة فبسطها وقيل: معنى ﴿بَعْدَ﴾ مع، أي: مع ذلك دحاهما مثل قوله: ﴿عُتِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْبِرٌ﴾^(٣) أي: مع ذلك وقيل: بعد في الآية بمعنى: قبل، مثل قوله: ﴿بَعْدَ الذِّكْرِ﴾^(٤) أي: قبل القرآن ولو أن البعد على معناه الأصلي من التأخر لكان الكلام

١- دعم الشيء - من باب منع - أسنده لثلا يعيل.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٥٩.

٣- سورة القلم: ١٣.

٤- سورة الأنعام: ٦٨.

صحيحاً فإن الدحو وقع بعد خلق الأرض والسموات.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾ بأن فَجَّرَ منها العيون ﴿وَمَرَعَهَا﴾ أي: رعيها بالكسر بمعنى الكلاء وهو في الأصل موضع الرعي بالفتح ونسب الماء والمرعى إلى الأرض من حيث إنهما مظهران منها.

﴿وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا﴾ منصوب بفعل مضمر يفسره ﴿أَرْسَاهَا﴾ أي: أثبتها وأثبت بها الأرض أن تميد بها.

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ مفعول له بمعنى تمتيعاً والأنعام جمع نعم بفتحتين وهي المال الراعية بمعنى المواشي أي: فعل ذلك تمتيعاً ومنفعة لكم ولمواشيكم بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَهَا﴾ من جوامع الكلم حيث ذكر شيئين دالين على جميع ما أخرج من الأرض قوتاً ومتاعاً من الحب والشجر والعنب والملح والنار وغيرها لأن كلها من الماء والأرض.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ كل شيء أكثر حتى علا وغلب فقد طم والكبرى تأنيث الأكبر بمعنى عظيم لا من الكبير بمعنى أسن والمراد بيان حال معادهم بعد ذكر حال معاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل والمعنى فإذا جاء وقت طلوع وقوع الداهية العظمى التي تطم على سائر الدواهي وتعلو على الخلائق وهي يوم القيامة قيل: هي النفخة الثانية وقيل: إن ذلك حين يساق أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ أي: تجيء الطامة في يوم يتذكر الإنسان ما عمله من خير أو شر بأن يشاهده مدوناً في صحيفة أعماله ﴿وَيُرَى الْجَحِيمُ﴾ وظهرت ظهوراً بيناً بعد أن كانوا يسمعون بها والمراد جهنم ﴿لِيَمُنَّ بِرَبِّهِ﴾ كأنها من كان على ما يفيد كلمة من، فإنه من ألفاظ العموم. فرآها الخلق مكشوفاً عنها الغطاء يروى أنها تنلظى فرآها كل ذي بصر مؤمن وكافر وقوله: ﴿وَيُرَى الْجَحِيمُ﴾

الْجَنِيمِ لِلْغَاوِينَ ﴿١﴾ لا ينافي أن يراها المؤمن حين يمرّون عليها مجاوزين الصراط وقيل للكافرين لأن المؤمن يقول: أين النار التي توعدنا بها؟ فيقال: مررتموها وهي خامدة.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ وجاوز الحد في العصيان وتمرد عن الطاعة ﴿وَوَآثَرَ الْحَبْوَ الدُّنْيَا﴾ الفانية وقدمها واختارها ولم يستعد للآخرة بالإيمان والطاعة ﴿فَإِنَّ الْجَنِيمَ﴾ الموصوفة ﴿بِئْسَ الْمَأْوَى﴾ لا غيرها ولا يخرج منها. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي: مقامه بين يدي مالك أمره لعلمه بالمبدأ والمعاد.

والمقام إما مصدر ميمي بمعنى القيام أو اسم مكان بمعنى موضع القيام ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ عن الميل إليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها وزخارفها علما منه بورخامة عاقبتها، وفي الحديث «إن أخوف ما أتخوف على امتي الهوى وطول الأمل أما الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة» قال أصحاب السلوك: الهوى عبارة عن الشهوات الست المذكورة في قوله: ﴿رَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْوَيْسِكَةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾^(٢) وقد أدرجها الله في أمر واحد وهو الهوى في الآية وقلما يخلص إنسان من الهوى ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ أي: نهى عن جميع الهوى على أن اللام للاستغراق وإلا فلا معنى للحصر لأن المؤمن الفاسق قد يدخل النار أولاً ثم يدخل الجنة فلا يصح في حقه الحصر اللهم إلا أن يقال: معنى الحصر أن الجنة هي المقام الذي لا يخرج عنه من دخل فيه.

﴿بَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ يسألون منك يا محمد أي: أن وقت

١- سورة الشعراء: ٩١.

٢- سورة آل عمران: ١٤.

يقيمها الله ويشبها والمرسى مصدر مبتدأ وأيان خبره بتقدير المضاف والتقدير: متى وقت إقامتها وإرسالها. وكانوا يقولون بطريق الاستهزاء.

﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَا﴾ رد وإنكار لسؤالهم وأصل ﴿فِيمَ﴾ فيما والذكرى بمعنى الذكر أي: في أي شيء أنت من ذكرها لهم لأن ذلك فرع علمك به وأنى لك ذلك العلم وهو مما استأثره بعلمه علما الغيوب و﴿أَنْتَ﴾ مبتدأ و«فيما» خبره قدم عليه ﴿إِنَّكَ رَبُّكَ مُنْتَهَى﴾ أي: انتهاء علمها إليه تعالى ليس لأحد يعلم هذا العلم كائنا من كان فلا شيء يسألونك عنها.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا﴾ أي: وظيفتك الإنذار لمن يخاف قيامها وأنت مأمور ببيان أهوالها لا تعيين وقتها وما أنت إلا منذر من يخشاها وهو من قصر الصفة على الموصوف وتخصيص من يخشى مع أنه مبعوث إلى من يخشى ومن لا يخشى لأنهم المتفنعون به ولا يؤثر الإنذار إلا فيهم كقوله: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعَبِيدِ﴾^(١) والجمهور على قراءة منذر بغير التنوين من إضافة الصفة إلى معمولها لأن الأصل في الأسماء الإضافة وقرئ منوتاً ﴿كَانْتُمْ يَوْمَ يَوْمِكُمْ﴾ أي: المنكرين وذلك لأنهم ما كانوا من أهل الخشية يوم يرون القيامة ﴿لَا يَلْبِثُونَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾ أي: صغرت الدنيا في أعينهم حتى كأنهم لم يقيموا بها إلا مقدار عشية أو مقدار ضحى تلك العشيّة أو المعنى أنهم يوم يرون القيامة يحسبون أنهم ما مكثوا في الدنيا إلا قدر آخر نهار أو أوله.

تمت السورة بعون الله.

سُورَةُ عَبَسَ

مكية. وتسمى سورة السفارة. عن النبي ﷺ: «ومن قرء سورة عبس جاء يوم القيامة وجهه ضاحكاً مستبشرة»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ① أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ② وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي ③ أَوْ يَذَّكَّرُ ④ فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَى ⑤ أَمَا مِنْ أَسْتَفَى ⑥ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ⑦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبِي ⑧ وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى ⑨ وَهُوَ يَخْشَى ⑩ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَى ⑪ كَلَّا إِنَّهَا نَذِيرَةٌ ⑫ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ⑬ فِي مِصْحَفٍ مُكْرَمٍ ⑭ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ⑮ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ⑯ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ⑰ قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ⑱ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ ⑲ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقْتَهُ فَقَدَرْتَهُ ⑳ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ ㉑ ثُمَّ أَمَانَةً فَأَقْبَرْتَهُ ㉒ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرْتَهُ ㉓ كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ㉔

﴿عَبَسَ﴾ أي: بسر وقبض وجهه.

القمي: نزلت الآية في عثمان وعبد الله بن أم مكتوم الأعمى وكان ابن أم مكتوم مؤذناً لرسول الله ﷺ وجاء إلى رسول الله ﷺ وعنده أصحابه وعثمان عنده فقدمه رسول الله ﷺ على عثمان فعبس عثمان وجهه وتولى عنه فأنزل

اللَّهُ عَبَسَ ﴿رَوَّكَ﴾ يعني عثمان ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾^(١).

وعن الصادق عليه السلام: «نزلت في رجل من بني أمية كان عند النبي ﷺ فجاء ابن أم مكتوم فلما رآه تقدّر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه فحكى الله ذلك وأنكره عليه»^(٢). قال الطبرسي في المجمع: نزلت الآيات في عبد الله ابن أم مكتوم وهو عبد الله ابن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وذلك أنه أتى رسول الله وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعبّاس بن عبد المطلّب وإبيّنا وأميّة ابني خلف يدعوهم إلى الله ويرجو إسلامهم فقال عبد الله: يا رسول الله أقرّنتني وعلمّني ممّا علمك الله فجعل يناديه ويكرّر النداء ولا يدري أنه مشغول مقبل على غيره حتّى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد إنّما أتباعه العميان والعبيد وهذا الأمر يوجب الإعراض للمدعوين وهو ﷺ يرجو إسلامهم فأعرض ﷺ عنه وأقبل على القوم يكلمهم فنزلت الآيات فكان رسول الله بعد ذلك يكرمه وإذا رآه قال: «مرحبا بمن عابني ربّي فيه»، ويقول له: «هل لك من حاجة؟» واستخلفه مرتين في غزوتين على المدينة.

قال المرتضى علم الهدى: ليس في الآية دلالة على توجّه الخطاب إلى النبي بل ظاهر الآية خبر محض لم يصرّح بالمنخبر عنه وفيها ما يدلّ على أن المعنى بها غيره لأنّ العبس ليس من صفات النبي مع الأعداء المباينين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين ثمّ الوصف بأنّه يتصدّى للأغنياء ويتلهّى عن الفقراء لا يشبه أخلاقه الكريمة مع أنّ الله وصفه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣)

١- تفسير القمي، ج ٢، ص ٤٠٤، و تفسير الصافي، ج ٥، ص ٢٨٤.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٦٦، و تفسير الصافي، ج ١، ص ٤٨٦.

٣- سورة القلم: ٤.

فقوله: ﴿عَسَ وَتَوَلَّى﴾ المراد به غيره كما روي عن الصادق عليه السلام أنها نزلت في رجل من بني أمية كما ذكر أولاً^(١).

قال الفيض قدس سره: وأما ما اشتهر من تنزيل هذه الآيات في النبي دون عثمان فيأباه سياق مثل هذه المعاتبات الغير اللائقة بمنصبه وكذا ما ظهر بعدها إلى آخر السورة كما لا يخفى على المتأمل بأساليب الكلام ويشبه أن يكون مختلقات أهل النفاق^(٢) والحشوية الذين من عادتهم الافتراء على الأنبياء ونسبة السوء إليهم في بعض الأمور وذلك لغرض مخصوص وهو أن ما نسب إلى بعض ولاة أمورهم وما صدر من القبائح عنهم وصح صدوره لا يكون قادحاً في إمارتهم ولذا ينسبون بعض الأمور إلى أعظم الأنبياء خلطاً للمبحث.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِي﴾ لعل هذا الأعمى يتزكى ويتطهر بالعمل الصالح أي: وأي شيء جعلك دارياً ويطلعك على باطن أمره ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ بتشديدين أصله يتذكر وقوله: ﴿يَزَكِي﴾ من باب التحلية عن الآثام وقوله: ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ من باب التحلية بالطاعات ولذا دخلت كلمة التريدي وعطف على ﴿يَزَكِي﴾ وداخل معه في حكم الترجي.

قال الفيض: ثم خاطب عثمان فقال: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنَّى لَهُ تَصَدَّى﴾ وأو بالإقبال عليه وهذا المعنى يصح على ما فسره بعض الحشوية من أن المخاطب النبي ﷺ لكن الصحيح ما قاله الفيض. والتصدي أن يقابل الشيء مقابلة، الصدى الصوت الراجع من الجبل وقيل: التصدي التعرض للشيء على آخر كتعرض الصديان للماء أي: العطشان وقيل: أصل تصدى تصدد من الصدد وهو ما استقبلك فابدل أحد الأمثال حرف علة، أما إذا كان المتصدي

١- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٦٥ و ٢٦٦.

٢- تفسير الصافي، ج ٥، ص ٢٨٥.

عثمان كما قاله جماعة منهم الفيض فمعنى الآية أنت إذا جاءك غنيّ تصدّي له وترفعه ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزُكِّيَ﴾ أي: لا تبال أزيكياً كان أو غير زكيّ.

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ يعني عبد الله بن أمّ مكتوم ﴿وَهُوَ يَجْتَنِي﴾ الله ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلْمِزِي﴾ أي: تشتغل عنه بغيره وقراءة الصادق عليه السلام تصدّي وتلهي بضمّ التاء.

﴿كَلَّا﴾ ردع عن معاودة مثله ﴿إِنَّمَا نَذِيرٌ﴾ أي: آيات القرآن موعظة

للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ أي: حفظه ولم ينسه واتعظ بالقرآن ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾

أي: كائنة في صحف وكتب متسخة من اللوح المحفوظ مكرّمة عند الله

ويجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف أي: وهي في صحف ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ في

السماء السابعة أو مرفوعة المقدار والذكر بأنها في المشهور موضوعة في بيت

العزة في السماء الدنيا ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ منزّهة عن مساس الشياطين.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ كبة من الملائكة جمع سافر من السفر وهو الكتب إذ

في الكتابة معنى السفر أي: الكشف والتوضيح والكتاب السافر لأنه يكشف

ويبين الشيء وسمي السفر بفتحيتين سفيراً لأنه يكشف ويكشف عن أخلاق

المرء ولعلّ إضافة التطهير إلى الكتب لطهارة من يمستها من الملائكة قال

القرظي في قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(١) هؤلاء السفارة الكرام ﴿كَرَامٍ﴾

عند الله ﴿بَرَزَةٍ﴾ أتقياء لتقدّسها عن المواد ونزاهة جواهرها عن التعلّقات

مطيعون للأمر.

﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ﴾ دعاء عليه بأشنع الدعوات فإنّ القتل غاية شدائد الدنيا

وفسر بعض القتل باللعن ﴿وَمَا أَكْفَرُ مِنْهُ﴾ أي: ما أشدّ كفره بالله مع كثرة إحسانه

إليه. وفي الآية تعجيب من الله لخلقه وهو منزّه عن العجب أي اعجبوا من كفره.

﴿مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ خلقه من شيء مهين حقير ﴿مِنْ تُطْفِئُ خَلْقَهُ فَقَدَرَهُ﴾

وهيأه لما يصلح له من الأعضاء والأشكال ومن كان أصله من هذا الشيء المهين القدر كيف يليق به التجبر والكفر والكبر.

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ أي: سهل مخرجه بعد أن خلقه أطواراً إلى أن أخرجته من بطن أمه بأن فتح فم الرحم قبل الولادة وجعله ينقلب ويصير رجله من فوق ورأسه من تحت ولو لا ذلك لا يمكنها أن تلد وقيل: المراد يسر له سبيل الخير والشر وخيره ومكته من فعل الخير واجتناب الشر.

﴿ثُمَّ أَنَاَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ فقبض روحه بعد انقضاء أجله فجعله في قبر يوارى فيه تكرامة له ولم يدعه مطروحا على وجه الأرض كسائر الحيوان والهم كيف يدفن يقال: أقبرته جعلت له مكاناً يقبر ويدفن فيه وعدة الإمامة من النعم بالنسبة إلى المطيع فإنه بالموت يتخلص من سجن الدنيا وهو تحفة ووصلة إلى الحياة الأبدية والنعيم السرمديّة وإنما كان مفتاح كل بلاء بالنسبة إلى العاصي والكافر من سيئات أعماله وسوء اعتقاده أو ذكره للتخويف والتذكير وهو أيضاً نعمة.

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ وأحياه وبعثه وفي تعليق النشر بالمشية إيذان بأن وقته وحصوله تابع لمشيته غير متعين لكم وحاصل المعنى أنه متى حان حين بعثه ونشره أنشره من قبره وهذا إذا كان لائقاً لقبره مثل أن المشرك إذا دفن بمكة تنقله الملائكة إلى موضع لائق به. وفي الحديث: «من مات من أمتي يعمل عمل قوم لوط نقله الله إليهم ثم يحشر معهم»^(١) وفي حديث آخر «من مات وهو يعمل عمل قوم لوط سار به قبره حتى يصير معهم ويحشر يوم القيامة معهم».

﴿كَلَّا لَمَّا يَقُضِ مَا أَمَرُهُ﴾ ردع للإنسان عما هو عليه وقيل: معناه حقاً و﴿لَمَّا﴾ بمعنى لم وليس فيه معنى التوقع وما في ﴿لَمَّا﴾ صلة دخلت للتأكيد

كقوله: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾^(١) وما في ﴿مَا أَمَرَهُ﴾ موصولة وعائده محذوف والتقدير ما أمره به والمعنى لم يقض الإنسان ما أمره الله به من الإيمان والطاعة ولم يؤدِّ حقه كما ينبغي قيل: هو على العموم في الكافر والمؤمن لم يعبدوه حقَّ عبادته أو المراد الجنس لكن لا على الإطلاق بل على أن مصداق الحكم بعدم القضاء بعض أفرادهم وقد أسند إلى الكل بحكم المجانسة أو يكون بطريق رفع إيجاب الكلّي دون السلب الكلّي مع أن جمع الأفراد يقتضي أن لا يتخلف أصلاً.

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢١﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبَا وَقَضَا ﴿٢٨﴾ وَزَيَّنَّاهَا وَأَمَّا كَلِمَاتُ الْأَمْثَلِ ﴿٢٩﴾ وَحَدَّائِقُ عُلبًا ﴿٣٠﴾ وَنَكِيعَةٌ وَأَبَا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَّكَزْ وَلَآتَمِيزًا ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَغْشَى السَّمَاءَ دُخَانٌ مِّنْ أَثَرِ النَّفْثِ بِأَيْسَرَ النَّفْثِ لَا يَصْعَدُ فِيهَا شَيْءٌ سِوَى الْمَاءِ وَالْحَمِيقِ ﴿٣٤﴾ وَتُجَارَى السَّمَاءَ سَاقِطَةً أَمْزَاجًا مَّخْتَلِفًا ﴿٣٥﴾ وَتُجَارَى السَّمَاءَ سَاقِطَةً أَمْزَاجًا مَّخْتَلِفًا ﴿٣٦﴾ وَتُجَارَى السَّمَاءَ سَاقِطَةً أَمْزَاجًا مَّخْتَلِفًا ﴿٣٧﴾ وَتُجَارَى السَّمَاءَ سَاقِطَةً أَمْزَاجًا مَّخْتَلِفًا ﴿٣٨﴾ وَتُجَارَى السَّمَاءَ سَاقِطَةً أَمْزَاجًا مَّخْتَلِفًا ﴿٣٩﴾ وَتُجَارَى السَّمَاءَ سَاقِطَةً أَمْزَاجًا مَّخْتَلِفًا ﴿٤٠﴾ وَتُجَارَى السَّمَاءَ سَاقِطَةً أَمْزَاجًا مَّخْتَلِفًا ﴿٤١﴾ وَتُجَارَى السَّمَاءَ سَاقِطَةً أَمْزَاجًا مَّخْتَلِفًا ﴿٤٢﴾ وَتُجَارَى السَّمَاءَ سَاقِطَةً أَمْزَاجًا مَّخْتَلِفًا ﴿٤٣﴾ وَتُجَارَى السَّمَاءَ سَاقِطَةً أَمْزَاجًا مَّخْتَلِفًا ﴿٤٤﴾

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد ذكر النعم المتعلقة بحدوثه أي فلينظر الإنسان إلى طعامه الذي عليه يدور أمر معاشه كيف دبّرناه. وفي الحديث «إن مطعم ابن آدم جعله الله مثلاً للدنيا»^(٢) وإن تأمله^(٣) وأبزاره العطرة إلى ماذا يصير ويؤول.

﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ﴾ أنزلناه من السحاب وافياً وهو الغيث، بدل اشتمال من طعامه لأن الماء سبب لحدوث الطعام والعائد محذوف أي صببنا له ﴿صَبًّا﴾

١- سورة آل عمران: ١٥٩.

٢- تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ١٣٣، وكنز العمال، ج ٣، ص ٢١٣.

٣- التأمل ما يطيب به الأظعمة.

عجيباً ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ ﴾ بالنبات ولما كان الشق بعد الصب أورد كلمة «ثم» ﴿ شَقًّا ﴾ بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغيراً وكبيراً وهينة.

﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا ﴾ في الأرض المشقوقة ﴿ حَبًّا ﴾ والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما وهو جنس الحبة فيشمل القليل والكثير ﴿ وَعَبْأًا ﴾ والمراد شجرة العنب المشقوقة من الأرض ﴿ وَقَضْبًا ﴾ والقضب قيل: من النبات ما يقضب ويقطع مرة بعد اخرى في السنة وهو رطب ويؤكل رطباً كالنعناع والكراث والبطيخ والبادنجان والدباء والخيار وعن ابن عباس أنه الرطب التي تقضب من النخل لمناسبته بالعنب وقيل: هي نبات يقال له القصاصة، وبالفارسية «اسپست» وفي زماننا يقولون «اسپرس» وقيل: هو الفت وهو حب الغاسول وهو الإثنان وقيل: هو حب يابس أسود يدفن فيلتن قشره ويطحن ويخبز بفتاته أعراب طي ولعله البلوط والأقرب ما فسره ابن عباس.

﴿ وَزَيْتُونًا ﴾ والمراد شجرته ويعمر ثلاثة آلاف سنة خصه بالذكر لكثرة فوائده خصوصا في بلاد العرب فإنهم يتفعمون به أكلا وادهانا واستضاءة وتطهرا فإنه يجعل في الصابون ﴿ وَتَمَلًّا ﴾ وهو شجر التمر وهو كثير النفع وفي العجوة دفع بعض السموم والسحر ﴿ وَحَدَائِقَ غُلَبًا ﴾ وهي الروضة ذات الشجر. والغلب جمع الأغلب كحمر جمع أحمر مستعار من قولهم: أسد أغلب أي غليظ العنق فالمعنى حدائق عظاما لتكاثفها وكثرة أشجارها وأنها ذات أشجار غلاظ وقيل: الغلب من الشجر التي لا تثمر كالارز والعرعر والورداء والثمار.

﴿ وَفَلَكَهًّ وَأَبًا ﴾ أي: فاكهة كثيرة غير ما ذكر وأبأ أي مرعى من أبه إذا قصده لأنه يقصد جزه للدواب أو المعنى من أب لكذا إذا تهيأ له لأنه متهيئ للرعي وأبان ذلك هو الزمان المتهيأ لذلك الفعل وقيل: الأب الفاكهة اليابسة

تُوبَ وتعدّ للشتاء وفي الحديث «خلقتُم من سبع ورزقتُم من سبع فاسجدوا لله على سبع»^(١) أراد بقوله خلقتُم من سبع أي التارات: من نطفة ثمّ من علقة إلخ، وبقوله: رزقتُم من سبع قوله: ﴿جَبًا * وَعَبَابًا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَبًا﴾ والحدائق خارجة عن السبع لأنها منابت المذكورة وبقوله: فاسجدوا على سبع، الأعضاء السبعة وهي الوجه واليدان والركبتان والرجلان.

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ : ﴿مَتَاعًا﴾ مفعول له أي: فعل ذلك تمتيعاً لكم ولمواشيكم فإنّ بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم ونفعه أيضاً راجع لهم. ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ﴾ شروع في أحوال معادهم أثر ذكر معاشهم والفاء للترتيب وبيان فناء هذه النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وجواب «إذا» محذوف يدلّ عليه «يوم يفر» والصاخة هي الداهية العظيمة التي يصخّ لها الخلائق من صخّ لحديثه إذا استمع لأنّ الناس يصخّون لها في قبورهم وهي الصيحة التي تصمّ الأذان لشدة وقعها أو هي مأخوذة من صخّه بالحجر إذا صكّه فيكون الصاخة حقيقة في النفخة والصيحة.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأَخِيهِ * وَأَخِيهِ * وَمَنْجِيهِ، وَبَيْنِي﴾ والصاحبة الزوجة لعلمهم بأنهم لا يعنون عنه شيئاً وهذه الآية تشمل النساء كما يشمل الرجال ولكنها خرجت مخرج كلام العرب حيث تدرج النساء في الرجال. ولا ينفع ذلك اليوم مال ولا بنون قال النبي ﷺ: «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال ﷺ: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بغفرانه»^(٢).

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَاقٌّ يُقْبَلُ﴾ استئناف وارد لبيان سبب الفرار أي: الهمّ الذي حصل لهم بسبب ذلك اليوم قد ملأ صدره بحيث لم يبق فيه متسعاً

١- تفسير السمرقندي، ج ٣، ص ٥٢٦، و تفسير القرطبي، ج ١٩، ص ٢٢٣.

٢- كنز العمال، ج ٣، ص ٤٣.

فصار كالغني الذي ملك شيئاً كثيراً فاشتغل به والفرار حذراً من مطالباتهم بالتبعات مثل أن يقول الإنسان: ما واسيتني بمالك، والأبوان يقولان: قصرت في برتنا، والصاحبة تقول: أطعمتني الحرام، والبنون: لم ما أرشدتنا وما علمتنا. قال ابن عباس: مثل قابيل من أخيه هابيل ونوح من ابنه ولوط من امرأته^(١)، أو لأن المرء يفرّ من أقربائه لثلاً يروا ما هو عليه من سوء الحال. وبالجملة ففي ذلك اليوم: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ تُفِيرَةً﴾ ﴿وَجُودٌ﴾ مبتداء وإن كانت نكرة لكونها في حيز التنوين ومفيدة و﴿تُفِيرَةً﴾ خبره، مضيئة متهللة بنور أعمالهم من أسفر الصبح إذا أضاء وأشرق قال ابن عباس: إن ذلك من قيام الليل ﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ بما تشاهد من النعيم والبهجة الدائمة والفراغة من الحساب ضاحكة من مسرة العين مستبشرة من مسرة القلب. ﴿وَوُجُودٌ يُؤْمِرُ عَلَيْهَا غَبْرَةٌ﴾ أي: كدورة وهي غبرة الذلّ ﴿تَرْفَعُهَا﴾ وتعلوها وتغشاها ﴿فَقَرَةٌ﴾ سواد وظلمة كالمدخان ووجه الزنجي، وهذه الظلمة من الكذب في الدنيا ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ﴾ أي: أولئك الموصوفون هم الجامعون بين الكفر والفجور، أو الكفرة في حقوق الله الفجرة في حقوق العباد.

واستدلّت الخوارج بهذه الآية على أن من ليس بمؤمن لا بد وأن يكون كافراً فإن الله قسم الوجوه بهذين القسمين، قال الطبرسي: ولا تعلق لهم به لأنه سبحانه ذكر هنا قسمين من الوجوه متقابلين: وجوه المؤمنين، ووجوه الكفار ولم يذكر وجوه الفساق من أهل الصلاة فيمكن أن يكون لها صفة أخرى بأن يكون عليها غبرة لا تغشاها قتره أو يكون عليها لون آخر^(٢).

تمت السورة بعون الله.

١- تفسير القرطبي، ج ١٩، ص ٢٢٥.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٧٢.

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

مكية. من قرأها أعاده الله من أن يفضحه حين تنشر صحيفته. روي أنه عليه السلام قال: «شيبتني هود والواقعة والمرسلات وهم وإذا الشمس كورت»^(١) والمعنى أنه لو كان أمر يشيب منه لشاب من هذه السورة إذا قرأها وفهم معانيها. وقد روي أن علياً عليه السلام لما غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد في لحيته الشريفة شعرات بيض^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③
وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥
وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّتَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ⑨
وَإِذَا الصُّعُفُ نُسِرَتْ ⑩ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ وَإِذَا الْجَبَعِيمُ سُيِّرَتْ ⑫
وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنْفِثَتْ ⑬ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⑭

ورفع الشمس على أنه فاعل لفعل مقدر يفسره المذكور تقديره إذا كورت الشمس كورت ولا يجوز إظهاره لأن ما بعده يفسره وإنما احتيج إلى إضمار فعل لأن ﴿إِذَا﴾ فيها معنى الشرط والشرط مختص بالفعل وعند البعض الرفع على

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٧٣، وكنز العمال، ج ١، ص ٥٧٣.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٧٣، و التبيان، ج ١٠، ص ٢٨٩.

الابتداء والأول أولى وجواب ﴿وَإِذَا﴾ علمت نفس ما أحضرت.
 والتكوير التلغيف على وجه الاستدارة والمراد إمّا رفعها وإزالتها عن
 مقرّها فإن الثوب إذا أريد رفعه عن مكانه ويجعل في مكان يلفّ ويطوى
 فتكويرها عبارة وكناية عن رفعها وإمّا المراد لفّ ضوئها المنبسط فاللفّ على
 هذا مجاز عن إعدام ضوئها وفي الحديث إنّ الشمس والقمر نوران مكوّران
 في النار يوم القيامة. ولعلّ نورائيهما يتصل بالعرش وحرارتهما يتصل إلى
 جهنّم. فإن قيل: وما ذنبهما؟ فالسؤال ساقط لأنهما جمادان فالتقاؤهما في النار
 لا يكون سبباً لمضرّتهما بل سبب لازدياد الحرّ في جهنّم أو ليعذب بهما عبّاد
 الأنوار لا ليعذبهما في النار وسبيلهما سبيل الملائكة الموكّلين بالعذاب كما
 قيل: إنّ السماء إذا طويت واحدة بعد واحدة يرمى بكواكبها في النار.

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ أي: تساقطت وتناثرت يقال: انكدر الطائر من
 الهوى إذا نقض فإن السماء تمطر يومئذ نجومها فلا يبقى نجم إلّا وقع على
 وجه الأرض يوم القيامة على ما روي عن ابن عباس أنّ النجوم في قناديل
 معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بأيدي ملائكة
 من نور فإذا مات من في السماوات ومن في الأرض تساقطت تلك الكواكب
 من أيديهم^(١) لأنه مات من يمسكها وقيل: المعنى تغيّرت من الكدورة والأول
 أولى لأنه سبحانه يقول: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾^(٢).

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ عن وجه الأرض وأبعدت عن أماكنها بالرجفة
 وتسير الجبال لا بالاختيار كسير الإنسان بل بالقهر والتسخير.
 ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ والعشار جمع عُشراء وهي الناقة التي أتى على

١- تفسير الرازي، ج ٣١، ص ٦٧.

٢- سورة الانفطار: ٢.

حملها عشرة أشهر وهي أنفس أموال العرب تركت بلا راع وعطلت وقيل: المراد من العشار السحاب تعطل فلا تمطر وهذا يمكن على وجه المثل يعني: إن هول يوم القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها وتركها مهملة واشتغل بنفسه أو أن المراد مبادي ظهور الساعة فحينئذ يمكن وجود العشراء في المبادي فلا يكون تمثيلاً بل حقيقة.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي: جمعت من كل جانب واختلطت بعضها ببعض وبالناس مع نفرة بعضها عن بعض وعن الناس وذلك الجمع من هول ذلك اليوم وقيل: بعثت للقصاص وإظهاراً للعدل قال قتادة: يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فإذا قضي بينها ردت تراباً فلا يبقى منها إلّا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته أو صوته كالطاوس والبلبل ونحوهما^(١).

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أي: أحميت أو المعنى ملئت بتفجير بعضها إلى بعض حتى تعود بحراً واحداً مختلطاً عذبها بملحها فتعم الأرض كلها من سجر التنور إذا ملأه بالحطب ليحميه. ووجه الإحماء أن جهنم في قعر البحار إلّا أنها الآن مطبقة لا يصل أثر حرارتها إلى ما فوقها من البحار لتعسر ارتفاع أهل الأرض بها فإذا انتهت مدة الدنيا يرفع الحجاب فيصل تأثير الحرارة إلى البحار فتسخن فتسير حميماً لأهل النار وقيل: المعنى أوقدت فصارت نارا تضطرم قاله ابن عباس: وقيل: يبست وذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة وقيل: ملئت من القيح والصديد الذي يسيل من أبدان أهل النار في النار لكن المراد بحار جهنم لا بحار الدنيا لأن بحور الدنيا قد فنيت والذين فسروا التسجير بالامتلاء وتفجير بعضها إلى بعض حتى صارت كالبحر الواحد قالوا: بسبب أن الجبال تندك وتتفرق أجزاءها وتصير كالتراب الهائل فلا جرم تنصب

أجزاءها في أسافلها فتمتلئ المواضع الغائرة من الأرض مستويا مع البحار^(١).
 ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أي: قرنت الأرواح بالأجساد بأن ردت إليها أو
 قرنت كل نفس بشكلها وبمن كان في طبقتها في الخير والشر فيضم الصالح
 إلى الصالح والفاجر إلى الفاجر أو قرنت بكتابها وبعملها فالنفوس المتمردة
 زُوِّجت بأعمالها السيئة والمطمئنة بأعمالها الحسنة أو نفوس المؤمنين بالحوار
 ونفوس الكفرة بالشياطين.

﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ﴾ أي: المدفونة حياً وهي موءودة إذا دفنها في
 القبر وهي حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الإملاق أو لحوق العار بهم
 لأجلهن وكانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله فالحقوا البنات به فهو أحق بهن.
 قال الزمخشري في «الكشاف»: كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن
 يستحيها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية وإن
 أراد قتلها تركها حتى كانت سداسية وبلغت ست سنين فيقول لأمها: طيبيها
 وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمامها وقد حفر لها بئراً في الصحراء فيبلغ بها
 البئر فيقول لها: انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى
 يستوي البئر الأرض وقيل: كانت الحامل إذا قربت حفرت حفرة فتمنخت
 على رأس الحفرة فإذا ولدت بتاً رمت بها في الحفرة وإن ولدت ابناً حبسته^(٢).
 ومعنى ﴿سُئِلَتْ﴾ أي: طولب قاتلها بالحجة في قتلها وسئل عن سبب
 قتلها كأنه قيل: إن الموءودة تسأل قاتلها بأي ذنب قتلتني؟ والمراد أن المقتولة
 مسؤول عنها. قال ابن عباس: إن أطفال المشركين لا يعذبون واحتج بهذه
 الآية فإنه ثبت بها أن التعذيب لا يستحق إلا بالذنب^(١).

١- تفسير الرازي، ج ٣١، ص ٦٨.

٢- الكشاف، ج ٤، ص ٢٢٢.

١- المصدر السابق نفسه.

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُزِّلَتْ﴾ أي: صحف الأعمال فإنها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب فيقف على ما فيها فيقول: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيْنَاهَا﴾^(١) وعن مرثد بن وادعة: إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فيقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية مكتوب فيها، ويقع صحيفة الكافر في يده مكتوب فيها في سموم وحميم وهي صحف غير صحف الأعمال^(٢) فعلى هذا هذه الصحف غير صحف مثاقيل الذرّ والخردل والأعمال.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ قلعت وأزيلت بحيث ظهر ما وراءها وهو الجنة والعرش كما يكشط الإهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به ومنه انكشط روعه أي: زال.

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أي: أوقدت للكافرين إيقاداً شديداً وإسعار النار زيادة لهيبتها لا حدوثها ابتداء وبه يندفع احتجاج من قال: النار غير مخلوقة الآن لأنها تدلّ على أنّ تسعّرها معلق بيوم القيامة لأنه يحصل فيه الزيادة والاشتداد ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ الإزلاف التقريب أي: قربت للمتقين ليدخلوها لقوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾^(٣) ولعلّ المعنى من تقريب الجنة تقريب أهل الجنة إليها لا أنها تزول عن مواضعها فالمراد حينئذ من التقريب التعكيس للمبالغة مثل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾^(٤) حيث تعرض النار عليهم تحقيراً وإهانة فقلب مبالغة لتحقيرهم شأننا والمتقين لتجليلهم وتفخيمهم عزة ورفعة.

١- سورة الكهف: ٥٠.

٢- الكشاف، ج ٤، ص ٢٢٣.

٣- سورة ق: ٣١.

٤- سورة الأحقاف: ٢١.

قال ابي بن كعب: ست آيات تظهر قبل القيامة بينما الناس في أسواقهم والميزان في أيديهم واللقمة في أفواههم إذ ذهب ضوء الشمس فيبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم فيبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت الأرض واضطربت وفزعت الجن إلى الإنس واختلطت الدواب والطيور والوحوش وماج بعضهم في بعض فحينئذ تقول الجن للإنس: نحن ناتيكم بالخبر فينطلقون إلى البحر فإذا هو نار تتأجج وتلهب قال: فيبينما هم كذلك إذ صدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا فيبينما هم كذلك إذ جاءتهم الرياح فأماتتهم.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُ﴾ أي: علمت كل نفس من النفوس ما أخفيتها مثل قوله: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾^(١) والمراد من الحضور إما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها وإما حضور نفس العمل لأن الأعمال في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح على كفيات وهيآت مخصوصة فإن كانت صالحة تشاهدها على صور أحسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا وإن كانت سيئة تشاهدها على ما هي عليه هاهنا.

فَلَا أُقِيمُ بِالْخَيْسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَإِن تَذَهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

ثم أكد سبحانه الأمور المذكورة بالقسم أي: فاقسم و«لا» زائدة مؤكدة أو ردّ لقول سابق من الكفار أي: ليس الأمر كما تزعمون أيها الكفرة ثم أقسم بالخنس، جمع خانس و﴿الْكَنَسِ﴾ جمع كانس وأصلها الستر والشيطان خناس لأن اللعين يخنس إذا ذكر الله ويذهب ويستتر وكناس الطير والظبي هو بيت يختفي فيه والكواكب تكنس في بروجها تختنس بالنهار وتبدو بالليل، والخنوس الرجوع إلى الخلف ويقال للشيطان خناس لأنه يضع خرطومه على قلب العبد فإذا ذكر الله استتر وإذا غفل العبد رجع إلى الوسوسة.

والمعنى: أقسم بالكواكب الرواجع، والجواري صفة لها لأنها تجري في أفلاكها وتتوارى في بروجها وتكنس في غروبها فهذا خنوسها وكنوسها وقيل: المراد بالكواكب الرواجع ما عدا النيرين من الدراري الخمسة وهي: المريخ ويسمى بهرام، وزحل ويسمى كيوان، وعطارد ويسمى الكاتب، والزهرة وتسمى ناهيد والمشتري ويسمى رويس وبرجيس. وما من نجم يقطع المجرة غير الخمسة وقيل هي بقرة الوحش أو الظباء عن ابن مسعود.

﴿وَأَلَيْلٍ إِذَا عَتَمَسَ﴾ أي: أدبر ظلامه لأن إقبال الصبح يكون بإدبار الليل وعسفس يفسر بأدبر أو أقبل فإنه من الأضداد ولكن علي عليه السلام فسره بأدبر بظلامه و﴿وَأَلَيْلٍ﴾ عطف على الخنس.

﴿وَأَلصَّبِحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ عطف عليه أيضا والعامل في ﴿إِذَا﴾ معنى القسم وإذا وما بعدها في موضع الحال أقسم الله بالليل مدبراً وبالصبح مضيئاً ومشرقاً وجعل تنفس الصبح عبارة عن طلوعه وانبساطه بحيث زال معه عسعة الليل وهي الغبرة الحاصلة في آخر الليل، والتنفس في الأصل ريح مخصوص يروح القلب بالتنفس بهبويه على القلب مثل نفس الحيوان، شبه بإقبال الصبح من الروح والنسيم بذلك الريح المسمى بالنفس وأطلق اسم

النفس عليه استعارة فجعل الصبح متنفساً بذلك لأن النفس بالمعنى المذكور لازم له فهو كناية متفرعة على الاستعارة.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هذا جواب القسم أي: إن القرآن قول رسول كريم على ربه وهو جبرئيل وإنما أضافه إلى جبرئيل لأن الله أمر جبرئيل أن ائت محمداً وقل له كذا فقال له من جهة الله فأنزله جبرئيل على لسانه فسمعه محمد فإسناده إليه باعتبار السببية الظاهرة في الإنزال، ويدل على أن المراد بالرسول هو جبرئيل ما بعده من ذكر قوته، ووصفه بالرسول لأنه رسول عن الله إلى الأنبياء، ووصفه بكريم لأنه عزيز عظيم عند الله وعند الناس لأنه يجيء بأفضل العطايا وهو المعرفة والهداية وهذه الآية نزلت في معرض الرد والإنكار لمقالة الكفار الذين قالوا: إن محمداً يقوله ويتقوله فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ شديدة كما رفع قري قوم لوط القرى الأربع من الماء الأسود من سبع طبقات بقوادمه حتى سمع أهل السماء نباح الكلب وأصوات الديكة ثم قلبها وفي كل مدينة أربعمئة ألف مقاتل سوى الذاري، وصاح صيحة بقوم صالح فأصبحوا جاثمين، وإنه يهبط من السماء إلى الأرض ويصعد في أسرع من الطرف، وإنه رأى شيطانا يقال له الأبيض صاحب الأنبياء فدفعه دفعة رفيقة وقع من مكة إلى أقصى جبل الهند، وكذا رآه يكلم عيسى عليه السلام على بعض الأرض المقدسة فنفخه نفخة واحدة ألقاه إلى أقصى جبل الهند. وقيل: المراد من القوة في أداء طاعة الله وترك الإخلال بها من الخلق إلى آخر زمان التكليف.

﴿جِدَّةٍ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أي: الله، أي عنده تعالى ذا مكانة رفيعة من المنزلة والتشريف لا عندية مكان.

﴿مَطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ﴾ فيما بين الملائكة المقربين يصدر عن أمره ويرجعون إلى رأيه لعلمهم بمنزلته عند الله، ومن طاعتهم أنهم فتحوا أبواب السماء ليلة المعراج بقوله لرسول الله، وطاعة جبرئيل فريضة على أهل السماوات كما أن طاعة محمد فريضة على أهل الأرض أي مطاع هناك أي في السماوات أمين على الوحي وقرئ: «ثم» بضم الثاء فيكون للتراخي تعظيماً لوصف الأمانة وتفضيلاً لها على سائر الأوصاف فيكون على طريق الترقى من صفاته الفاضلة إلى ما هو أفضل وأعظم وهو الأمانة.

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ يا أهل مكة وهو رسول الله عطف على جواب القسم ﴿يَسْجُدُونَ﴾ كما تقولون، ونسبة التصاحب لأنه كان بين أظهرهم في مدة متطاولة وقد جربوا عقله وأمانته فوجدوه أكمل منهم وهم لقبوه بالأمين الصادق ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْتَمِينِ﴾ أي: وباللّه رأى رسول الله جبرئيل وأبصره في ناحية السماء، والمبين من أبان اللازم بمعنى اللازم أي بمطلع الشمس من ناحية المشرق، والمراد بالأفق هنا حيث تطلع الشمس استدلالاً بوصفه بالمبين فإن نفس الأفق لا مدخل له في تبيين الأشياء وظهورها وإنما يكون له مدخل في ذلك من حيث كونه مطلعاً لكوكب منير يبين الأشياء والكوكب المبين هو الشمس، وإسناد الإبانة إلى مطلعها باعتبار سببيتها لها.

روي أن رسول الله ﷺ سأل جبرئيل أن يتراءى له في صورته التي خلقه الله عليها فقال جبرئيل: «وما ذلك إلّٰي». فاذن له فأتاه عليها وذلك في جبل حراء في أوائل البعثة فرآه رسول الله قد ملأ الآفاق بكلكلة رجلاه في الأرض ورأسه في السماء، جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب وله ستمائة جناح من الزبرجد فغشي عليه ﷺ فتحوّل جبرئيل في صورة بني آدم وضمّه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه فقيل لرسول الله: ما رأيناك مذ

بعثت أحسن منك اليوم فقال ﷺ: «جامي جبرئيل في صورته فعلق بي هنا من حسنه» وما رآه أحد من الأنبياء غيره في صورته فهو من خصائصه.

واعلم أن وقوع الغشيان إنما هو من كمال العلم والاطلاع بقدره الله حين الرؤية كما غشي على جبرئيل ليلة الإسراء حين رأى الرفرف ولم يغش على رسول، الله وقال ﷺ: «علمت فضل جبرئيل في العلم»^(١) فكانه ﷺ أشار إلى فضل نفسه أيضا لما غشي عليه برؤية جبرئيل على صورته الأصلية.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ أي: هو ﷺ ليس على وحي الله بمتهم فإن أحواله شاهدة بالصدق والأمانة، وقرئ بالضاد فالمعنى أنه ﷺ ليس ببخيل فيما يؤدي عن الله أن يعلمه كما علمه الله فيكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلواناً وأجرةً ويسأل تعليمه فلا يعلمه إلا بالأجرة.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ أي: قول بعض المسترقة للسمع، دلّ عليه توصيفه بالرجيم لأنه بمعنى المرمي بالشهب، أو المراد المرجوم باللعن وهذا ردّ لقولهم كانوا يقولون: إن الشيطان يلقي إليه كما يلقي إلى الكهنة^(٢).

﴿فَأَن تَذَهَبُونَ﴾ استضلال فيما يقولون في أمر القرآن و«أين» ظرف مكان مبهم منصوب بتذهبون، أي فأي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة الحقّة وهو طريق القرآن؟ ﴿إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ «إن» نافية والضمير راجع إلى القرآن أي ما هو إلا عطية وتذكير لهم ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ﴾ أيها المكلفون بالإيمان وهو بدل من «العالمين» بدل البعض ﴿أَن يَسْتَقِيمَ﴾ مفعول «شاء» أي: لمن شاء منكم الاستقامة.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ عن الكاظم عليه السلام: «إن الله جعل

١- الفتحاح المكية، ج ٣، ص ٣.

٢- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٨١.

قلوب الأئمة موردا لإراداته فإذا شاء الله شاعوه^(١)، أي: وما تشاؤون الاستقامة على الحق إلا أن يشاء الله ذلك من حيث خلقكم لها وكلفكم بها وطلب منكم الإيمان وقيل: إن الآية خطاب للكفار والمراد لا تشاؤون الإسلام إلا أن يشاء الله أن يجبركم ويلجئكم إليه ولكنه لا يفعل لأنه يريد منكم أن تؤمنوا اختيارا لتستحقوا الثواب ولا يريد أن يحملكم عليه جبرا، عن أبي مسلم.

تمت السورة بعون الله.

١- تفسير القمي، ج ٢، ص ٤٠٩، و تفسير الصافي، ج ٥، ص ٢٩٤.

سورة الإنفطارة

مكية. قال ابي عن النبي ﷺ: «من قرأها أضاء الله من الأجر بعدد كل قبر حسنة وبعدد كل قطرات ماء حسنة وأصلح الله شأنه يوم القيامة ومن قرأ هاتين السورتين: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ وجعلهما نصب عييه في صلاة الفريضة والنافلة لم يحجبه من الله حجاب ولم يحجزه من الله حاجز ولم يزل ينظر إلى الله وينظر الله إليه حتى يفرغ من حساب الناس»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَرَّتْ ② وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ③
وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ④ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ⑤ بَيِّنَاتٍ لِّلْإِنسَانِ مَّا
غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ⑥ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ ⑦ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا
شَاءَ رَكَّبَكَ ⑧ كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالذِّينِ ⑨ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ⑩ كِرَامًا
كَبِيرِينَ ⑪ يَعْلَمُونَ مَّا تَفْعَلُونَ ⑫ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ⑬ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي
جَحِيمٍ ⑭ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الذِّينِ ⑮ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ⑯ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الذِّينِ ⑰ ثُمَّ مَّا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الذِّينِ ⑱ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا
وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ⑲

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ وانفطارها وتقطعها لزوال بنيتها. وإعراجه كإعراج
 ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انثَرَتْ﴾ أي: تساقطت من مواضعها سوداء
 متفرقة كما تتساقط اللثالي إذا انقطع السلك. وهذان من أشراط الساعة فإن السماء
 في هذا العالم كالسقف ومن أراد تخريب بناء فإنه يبدأ أولاً بتخريب السقف.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ فتح بعضها إلى بعض بزوال المانع بحصول الزلزلة
 واستواء الأرض وصارت البحار وهي سبعة: بحر الروم وبحر الصقالبة وبحر
 جرجان وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الصين وبحر الهند بحراً واحداً
 فيصب ذلك البحر في جوف الحوت الذي عليه الأرضون السبع كما في
 كشف الأسرار، وقيل: معناه ذهب ماؤها ودخل في البحار المحيطة لأنه
 أصل الكل إذ منه يتفرع الباقي.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ قلب ترابها وأخرج موتاها أو بحثت عن الموتى
 فأخرجوا منها، وبعثت المتاع وبعثته أي جعلت أسفله أعلاه، فيجعل أسفل
 القبور أعلاها، وبعث وبعثت مركبان من البعث والبحث مع راء ضممت إليهما
 مثل تركيب الرباعي والخماسي نحو هلل وبسمل إذا قال: (لا إله إلا الله)،
 و(بسم الله).

﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ أي: كل نفس برة أو فاجرة ﴿مَّا
 قَدَّمَتْ﴾ في حياتها من عمل خير أو شرّ و﴿نَفْسٌ﴾ هنا اسم الجنس و﴿مَّا﴾
 من ألقاظ العموم ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ من سنة حسنة أو سيئة يعمل بعده قال
 النبي ﷺ: «وَأَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى الضَّلَالَةِ فَاتَّبِعْ فَلَهُ مَعْلُ أَوْزَارٍ مِّنْ اتَّبَعَهُ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ
 مِّنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ، وَكَذَلِكَ أَيُّمَا دَعَا إِلَى الْهُدَى فَاتَّبِعْ فَلَهُ مَعْلُ أَوْزَارٍ مِّنْ اتَّبَعَهُ إِلَّا أَنَّهُ
 لَا يَنْقُصُ مِّنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» وهذا العلم التفصيلي يحصل عند قراءة الكتب
 والمحاسبة وأما العلم الإجمالي بالسعادة والشقاوة فيحصل من أوّل الأمر لأن

المطيع يرى بتأثير السعادة والمعاصي كذلك.

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ﴾ يعم جميع العصاة ولا خصوص له بالكفار وقيل: يريد امية بن خلف وقيل: نزلت في الوليد بن مغيرة أو الأسود بن كلداء الجمحي قصد النبي في بطحاء مكة فلم يتمكن منه، ولكن اللفظ عام يصلح له ولغيره، وفي زهرة الرياض أن الأسود ضرب على يافوخ رسول الله ﷺ فأخذه رسول الله وضربه على الأرض فقال له: يا محمد الأمان الأمان مني الجفاء ومنك الكرم فإني لا أؤذيك أبداً فتركه رسول الله.

﴿مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمُ﴾ : ﴿مَا﴾ استفهامية في موضع الابتداء و﴿غَرَّكَ﴾ خبره، والمعنى أي شيء خدعك وجرأك على عصيانه وأمنك من عقابه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي؟ والتعرض بلفظ ﴿الكَرِيمُ﴾ للإيدان بأنه ليس مما يصلح أن يكون مدار الإغرار حسبما يغويه الشيطان بأن يقول له: افعل ما شئت فإن ربك كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فإنه قياس عقيم وتمنية باطل بل هو مما يوجب المبالغة في الإقبال على الإيمان والطاعة ولهذا لما قرأها رسول الله قال: «غره جهله»^(١) فظهر أن كرم الكريم لا يقتضي الاغترار به بل الحذر عن مخالفته من حيث إن أعمال الظالم ينافي كونه كريماً بالنسبة إلى المظلوم وكذا التسوية بين الموالي والمعادي، فإذا كان محض الكرم لا يقتضي الاغترار به فكيف إذا انضم إليه صفة القهر ولله الأسماء المتقابلة ولذا قال سبحانه: ﴿تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ * وَأَنَّ عَدَايَ هُوَ الْمَدَائِبُ الْآلِيَةُ^(٢).

وقيل: للفضيل بن عياض ما ذا تقول إن أقامك ربك يوم القيامة وقال لك:

١- مجمع البيان، ج ٦، ص ١٥٠، و سنن ابن ماجه، للقزويني، ج ١، ص ٧٥.

٢- سورة الحجر: ٤٩، ٥٠.

﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ؟ قال أقول: غررتني ستورك المرخاة. قال الزمخشري: قول الفضيل ليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروونهم من أئمتهم إنما قال: ﴿بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ليلقن عبده الجواب حتى يقول: غررتي كرمك الكريم^(١).

﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ صفة ثانية مقررة للربوبية مبيّنة للكرم لأن الخلق إعطاء الوجود وهو خير من العدم، منبهة على أن من قدر على الخلق وما يليه بدءا قدر عليه إعادة ﴿فَسَوِّكَ﴾ أي: جعل أعضائك سوية معدة لمنافعها كالبطش لليد والمشي للرجل والتكلم للسان إلى غير ذلك ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ وعدل بعض تلك الأعضاء ببعض بحيث لم تتفاوت مثل أن تكون إحدى اليدين أو الرجلين أو الأذنين أطول من الأخرى، أو تكون إحدى العينين أدمع من الأخرى. قال أهل التشريح: إنه تعالى ركّب جانبي هذه الجثة على التساوي حتى أنه لا تفاوت بين نصفيه لا في العظام ولا في أشكالها ولا في الأوردة والأعصاب^(٢)، فكلّ ما في أحد الجانبين مساو لما في الجانب الآخر فيكون المعنى: فصرفك عن الخلقة المكرومة كما قال: ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٣) وقرئ «فعدلك» بالتشديد.

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ الجار متعلق بركبك، و﴿مَّا﴾ مزيدة لتعميم النكرة والعائد محذوف والمعنى ركّبك في أي: صورة شاءها واقتضتها حكمته من القصر والطول والذكورة والأنوثة كما في الحديث: «إِنَّ النُّطْفَةَ إِذَا اسْتَقَرَّتْ فِي الرَّحْمِ أَحْضَرَهَا اللَّهُ كُلَّ نَسَبٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ آدَمَ وَصَوَّرَهَا فِي أَيِّ شَيْءٍ شَاءَ»^(٤).

١- الكشاف، ج ٤، ص ٢٢٨.

٢- تفسير الرازي، ج ٣١، ص ٨٠.

٣- سورة التين: ٤.

٤- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٨٧، وكنز العمال، ج ٢، ص ٤٥.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ أي: ارتدعوا عن الكفر والعصيان ثم قال بعد الردع بطريق الاعتراض: وأنتم لا ترتدعون بل تجرؤون حيث تكذبون بالجزاء والبعث أو المعنى تكذبون بدين الإسلام ولا تصدقون ثواباً ولا عقاباً.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ حال من فاعل ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ وأتى بلفظ الجمع في «حافظين» باعتبار كثرة المخاطبين أو باعتبار أن لكل واحد منهم جمعاً من الملائكة اثنان بالليل واثنان بالنهار حافظين لأعمالكم.

﴿كِرَامًا كَبِيرِينَ﴾ كرام حيث يُسارعون إلى كتب الحسنات ويتوقفون في كتب السيئات رجاء أن يتوب فيكتبون الذنب والتوبة معاً ﴿يَقْلَمُونَ مَا تَفَعَّلُونَ﴾ لحضورهم من الأفعال الصادرة عنكم قليلاً وكثيراً لتجاوزوا بذلك.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ وهو الجنة والأبرار أولياء الله المطيعون في الدنيا الذين برؤا وصدقوا في إيمانهم بأداء الفرائض جمع برّ بالفتح وهو بمعنى الصادق والمطيع والمحسن، وأحسن الحسنات لا إله إلا الله ثم برّ الوالدين ثم البرّ للمؤمنين.

﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ والفجور شقّ ستر الديانة، في النار وعذابها، والتنوين للتهويل، ونعيم الطاعة والمعرفة تقابله جحيم الغفلة والمعصية.

﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ صلا النار قاسى حرّها وباشره والتصق ببدنه، فيصلونها يوم الجزاء ﴿وَمَا هُمْ﴾ أي: الفجار ﴿عَنْهَا﴾ عن الجحيم ﴿بِغَائِبِينَ﴾ طرفة عين وقيل: المعنى وما كانوا غائبين قبل ذلك عن النار غائبين بالكلفة بل كانوا يجدون سمومها وحرّها في قبورهم كما قال ﷺ: «القبر روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النيران»^(١).

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ خطاب لكل من يتأتى منه الدراية و«ما» مبتدء و﴿أَدْرَاكَ﴾

خبر أي: أي شيء جعلك داريا وعالما ما يوم الدين في الهول والفضاعة فإنه خارج عن دائرة دراية الخلق لأنهم على أي صورة يصورونها فهو فوقها وأضعافها.

﴿ثُمَّ مَا أَوْرَثَكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ تكرر بسم المفيدة للترقي في الرتبة للتأكيد وزيادة التخويف وأتى بالظاهر عن الضمير تأكيداً لفخامته. ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ ويوم مرفوع المحلّ على أنه خبر مبتدئ محذوف وحركته الفتح لإضافته إلى غير متمكّن والتقدير هو يوم لا تملك نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئاً من الأشياء أو منصوب بإضمار اذكر.

﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ﴾ كنه يوم إذ لا تملك نفس ﴿لِلَّهِ﴾ وحده فإن الأمر والحكم من شأن الملك المطاع والخلق تحت سطوات ربوبيته ولا يزاحمه أحد. تمت السورة بعون الله.

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

مكية. وقبل بعضها وهي ثمان آيات منها مدنية وهي ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ إلى آخر السورة. قال النبي ﷺ «ومن قرأها سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة»^(١). وعن الصادق عليه السلام: «من كانت قراءته في الفريضة أعطاه الله الأمن من النار يوم القيامة ولا تراه ولا يراها»^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ④ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ⑤ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ⑥ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ⑦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ⑧ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ⑨ قَدْ يَوْمَهُدٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ⑩ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ⑪ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ⑫ إِذَا نُتِلَّ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ⑬ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ⑭ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَهُدٍ لَّمَّحْجُورُونَ ⑮ ثُمَّ لَأَنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ⑯ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ⑰

﴿وَيْلٌ﴾ شدة الشر أو الهلاك والعذاب الأليم قال ابن كيسان: هو كلمة

١- جوامع الجامع، ج ٣، ص ٧٤٣، و الكشاف، ج ٤، ص ٢٣٣.

٢- ثواب الاعمال، ص ١٢٢، و مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٨٩.

كلّ مكروب واقع في البليّة فقولك «ويل لك» عبارة عن استحقاق المخاطب لنزول البلاء الموجب له وهو مبتدء وإن كان نكرة فقد وقع موقع الدعاء ﴿الْمُطَفِّينَ﴾ الباخسين حقوق الناس في المكيال والميزان والتطفيف تنقيص الشيء مقداراً قليلاً على وجه الخفية، وطفّف الكيل قلل نصيب المكيل له في إيفائه واستيفائه.

قال رسول الله ﷺ: «خمس بخمس: فما نقص المهد قومٌ إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت الفاحشة فيهم إلا فشا الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا الثبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر»^(١)، وكان أهل المدينة يطففون قبل هجرة النبي إليهم فلما نزلت الآية أحسنوا الكيل فهم أوفى الناس كيلاً إلى اليوم.

وعن مالك بن دينار أنه دخل على جار له وقد احتضر فقال: يا مالك جبلان من نار بين يديّ اكلف الصعود عليهما، فسألت أهله فقالوا: كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت أحدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال: ما يزداد الأمر عليّ إلا عظماً.

﴿الَّذِينَ إِذَا كَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ أي: من الناس ويريدون أن يشتروا منهم والاكتيال الأخذ بالكيل ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ أي: يأخذون الوافي وتبديل كلمة «من» بعلی لتضمنين الاكتيال معنى الاستيلاء أو للإشارة إلى أنه اکتیال مضرّ بهم والمراد من الاستيفاء الأخذ الوافر لا أخذ الوافي من غير نقص، بل كانوا يأخذون الزائد بأيّ وجه يتيسر لهم من وجوه الحيل بكبس الكيل وتحريك المكيال والاحتیال في ملأته وألسنة الموازين.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ﴾ أي: إذا كالوا للناس بالكيل أو وزنوا بالميزان

المبيع لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ وينقصون حقوقهم. قال بعض السالكين: إن من يحسن العبادة على رؤية الناس ويسيء إذا خلا^(١) فهو داخل في المطففين فضلا عن المرائين.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ﴾ أي: ألا يعلمون هؤلاء المطففون؟ و﴿أَلَا﴾ هذه ليست للتنبية بل الهمزة الاستفهامية الإنكارية داخلة على أذلاء النافية، ويجوز أن يكون للتحضيض على الظن.

﴿أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ لا يقادر قدر عظم ما فيه من الأهوال، ومحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فإن من يظن ذلك وإن كان ظنا ضعيفا في حدّ الشكّ والوهم لا يتجاسر على أمثال تلك القبائح فذكر الظن إذا لم يكن بمعنى العلم في الآية للمبالغة في المنع عن التطفيف وإلّا فالمؤمن لا يكفي له الظن في أمر البعث والمحاسبة بل لا بدّ من الاعتقاد الجازم.

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: لأمر ربّ العالمين، روي أنهم يقومون بين يدي الله أربعين عاماً وفي رواية ثلاثمائة سنة، وعرق أحدهم إلى أنصاف أذنيه لا يأتيهم خبر ولا يؤمر فيهم بأمر وهذا في حقّ الكافر وأمّا في حقّ المؤمن فيكون المكث كقدر انصرافهم من صلاة مفروضة. وقال أعرابي لعبد الملك بن مروان: إنك قد سمعت ما قال الله في المطففين؟ وأراد بذلك أن المطفّف قد توجه عليه الوعيد العظيم في أخذ القليل فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال الناس بلا كيل ولا وزن^(٢).

﴿كَلَّا﴾ ردع عمّا كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث أو بمعنى حقاً فحينئذ يكون متصلاً بما بعده ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لِيَّ سِتِّينَ﴾ الكتاب بمعنى

١- تفسير السلسي، ج ٢، ص ٣٨٠.

٢- تفسير الرازي، ج ٣١، ص ٨٩ و الكشاف، ج ٤، ص ٢٣١.

المكتوب كاللباس بمعنى الملبوس أو على حاله بمعنى الكتابة واللام للتأكيد وسجّين علم لكتاب جامع هو ديوان الشرّ وفيه ثبت أعمالهم من الفجور والمعاصي وقيل: المعنى إنه كتب في كتابهم أنهم يكونون في سجّين وهي في الأرض السابعة السفلى وعن البراء بن عازب قال: قال رسول الله: «سجّين أسفل سبع أرضين»^(١).

قال كعب الأحبار: إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فيأبى السماء أن تقبلها ثم تهبط بها إلى الأرض فتدخل سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سجّين وهو موضع جند إبليس^(٢) وقيل: إن سجّين جبّ في جهنّم مفتوح والفلق جبّ في جهنّم مغطى ويكون لفظ السجّين من السجّن الذي هو الشدة على وزن فَعِيل مبالغة المسجون.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَحْجُبُونَ﴾ أي: بحيث لا يبلغه دراية أحد ﴿يَكْتُبُ مَرْقُومًا﴾ الرقم الخطّ الغليظ الجليّ أي هو كتاب بيّن الكتابة بحيث كلّ من نظر إليه يطلع على ما فيه بلا إمعان توجه، مشتمل على علامة دالة على شقاوة صاحبه وكونه من أصحاب النار.

﴿قَالَ يَوْمِئِذٍ﴾ أي: الويل يوم يقوم الناس واعطي ذلك الكتاب المرقوم لهم حاصل ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾ والويل كلمة جامعة لجميع أقسام العذاب والمحن ﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ صفة دامة للمكذّبين ومفسرة تكذيبهم بأنهم كذبوا يوم القيامة ﴿وَمَا يَكْتُوبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ أي: متجاوز عن الحق إلى الباطل كثير الإثم والمعاصي، منهمك في الشهوات بحيث حملته على الإنكار بيوم الجزاء. ثم وصف سبحانه المعتدي بقوله: ﴿إِنَّا نُنَالُ عَلَيْهِمُ النَّاطِقَةَ﴾ بتصديق

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٩٢، و تفسير الرازي، ج ٣١، ص ٩٢.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٩٢، و تفسير البغوي، ج ٤، ص ٤٥٩.

ذلك اليوم ووقوعه لا محالة وهي القرآن ﴿قَالَ﴾ من فرط إعراضه عن الحق وجهله ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: حكايات الأولين وأباطيلهم والأساطير جمع أسطورة وهي الحديث الذي لا نظام له.

﴿كَلَّا﴾ ردع للمعتدي عن ذلك القول الباطل وتكذيبه ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قرأ حفص عن عاصم ﴿بَلْ﴾ بإظهار اللام مع سكتة عليها خفيفة بدون القطع وابتدئ ﴿رَانَ﴾ وقرأ الباقر بإدغام اللام في الراء و﴿مَا﴾ موصولة والعائد محذوف ومعنى الآية: ليس في آياتنا ما يصح أن يقال في شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونه من الكفر والعصيان حتى صارت كالصدأ^(١) من المرأة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال عليه السلام: «إِنَّ الْعَبْدَ كُلَّمَا أَذْنَبَ ذَنْبًا حَصَلَ فِي قَلْبِهِ نَكْتَةٌ سَوْدَاءَ حَتَّى يَسْوَدَّ قَلْبُهُ»^(٢) ولذلك قالوا ما قالوا.

والرين صدأ يعلو الشيء الجلي، وران ذنبه على قلبه غلب، وران فيه النوم رسخ فيه. وقيل: الرين الحجاب الغليظ الحائل بين القلب وعالم القدس والغيب بالمعجمة دون الرين وهو الصدأ فإن الصدأ حجاب رقيق يزول بالتصفية قال الصادق عليه السلام: «يصدأ القلب إذا ذكره بآلاء الله انجلي عنه». قال أبو مسلم: ترك النظر في العواقب وكثرة المعاصي يقوي الدواعي في الإعراض عن التوبة.

قال أبو القاسم البلخي: وفي الآية دلالة على صحة ما يقوله أهل العدل في تفسير الطبع والختم على القلوب والإضلال، لأنه تعالى أخبر أن أعمالهم السيئة وما كانوا يكسبونه من القبيح ران على قلوبهم، فحينئذ أضلهم أعمالهم التي اكتسبوها وهم سببوا وأوجبوا الختم والطبع على قلوبهم فلما اختاروا هذا

١- الصدأ محركة ستر تحتجب به المرأة.

٢- تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ١٥٣، و تفسير البيضاوي، ج ٥، ص ٤٦٥.

الأمر الفاسد أجرى الله الطبع والختم بما اختاروه.

﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر عن الكسب الرائي الموقع في الرين ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُورُونَ﴾ أي: إن الموصوفين يوم القيامة عن رحمة ربهم مدفوعون وممنوعون غير مقبولين، عن علي عليه السلام.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ أي: بعد أن منعوا من الثواب لازموا الجحيم بكونهم فيها لا يغيبون عنها ثم يقال لهم توبيخا وتفريعا من جهة الزبانية: ﴿هَذَا﴾ العذاب وهو مبتدأ خبره ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْتَبُونَ﴾ فذوقوه.

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَرْآجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثَوَابَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع عن الكسب الرائن أي: لا يؤمنون بالعذاب والقيامة ومتصل بما قبله وقيل: معناه حقاً ويتصل بما بعده ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ أي: الأعمال المكتوبة لهم ﴿إِنْفِي عِلِّيِّينَ﴾ فعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين. عليون منقول من جمع عليّ على وزن فَعِيلٍ من العلوّ للمبالغة، علوٌّ على علوِّ مضاعف، وجمع بالواو والنون

تشبيها بمن يعقل لتفخيم شأنه وهي مراتب عالية محفوفة بالجلالة غير محدود العدد سمي بذلك لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة ومرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون وقيل: في سدرة المنتهى وهي التي ينتهي إليها كل شيء من أمر الله وقيل: هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيها.

روي أن الملائكة لتصعد بعمل العبد فإذا انتهوا إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى إليهم إنكم الحفظة على عبيدي وأنا الرقيب على ما في قلبه وإنه أخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وإنها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله أوحى الله إليهم أنتم الحفظة على عبيدي وأنا الرقيب على قلبه وإنه لم يخلص في عمله فاجعلوه في سجين وفي الحديث إشارة إلى أن الحفظة لا يطلعون على الإخلاص والرياء إلا باطلاع الله.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هَيِّئُونَ﴾ أي: هو خارج عن دائرة دراية الخلق ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ مسطور بين الكتابة يقرأ بلا تكلف تشهد وتنطق بسعادة صاحبه. ولما كان عليون علماً منقولاً من الجمع حكم عليه بالمفرد بقوله: ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ ولكن أعرب إعراب الجمع ﴿يَشْهَدُونَ﴾ الملائكة ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾ عند الله أي يحفظونه ويحضرونه فيحضر ذلك الكتاب المرقوم الملائكة المقربون الذين هم في عليين إذا صعد به إلى عليين.

﴿إِنَّ الْأَشْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ وملاذ من النعمة في الجنة ﴿عَلَى الْأَرْشَادِ﴾ على الأسرة في الحجال ولا تطلق الأريكة على السرير إلا عند كونه في حجلة وهو بيت العروس يزين بالثياب والأسرة والستور ﴿يَنْظُرُونَ﴾ إلى ما شاءوا مدة أعينهم إليه من رغائب مناظر الجنة وكذا إلى أعدائهم يعذبون في النار.

﴿تَتَرَفُّ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةٌ النَّعِيمِ﴾ وهو ثاني الأوصاف والمراد من بهجة

النعيم ماؤه ورونقه أي إذا رأيتهم عرفت أنهم أهل النعمة بسبب ما يرى في وجوههم من القرائن كالضحك والاستبشار كما في وجوه الأغنياء وأهل الترفه.

﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ وهو ثالث الأوصاف أي: شرباً كائناً من صافي الخمر خالصاً عن كدورة الخمار وتغيير النكهة وإيراث الصداع ﴿مَمْحُوتٍ﴾ * خِتْمُهُ مِسْكٌ أي: ما يختم به الطيب المعروف بدلا عن الطين وقيل: ختام الشيء خاتمته أي أن الشارب إذا رفع فاه من آخر شربه وجد رائحة كرائحة المسك ووجد رائحة المسك لكونه ممزوجاً به كالأشربة الممسكة.

﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ الرحيق خاصة دون غيره من النعيم المكدر السريع الفناء ﴿فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُنْتَفِسُونَ﴾ وليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله. والأمر للتحضيض وأصل التنافس التغالب في الشيء النفيس الذي يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه. قال علماء السلوك: المنافسة مجاهدة النفس في التشبيه بالأفاضل واللحوق بهم من غير إدخال ضرر على غيره^(١) وتعلق القلب بالله وطيران الضمير إليه والحركة عند ذكره والتباعد من الناس والانس عند الوحدة والبكاء على ما سلف وحلاوة سماع الذكر والتدبير في القرآن والتعرض للمناجاة.

﴿وَمِنْ زَبَابٍ﴾ عطف على ﴿خِتْمُهُ﴾ صفة أخرى لرحيق وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته أي يخرج بذلك الرحيق من ماء تسنيم، التسنيم علم لعين تجري من جنة عدن لأهله تأتيهم من فوق فيكون من علو المكان. روي أنها تجري في الهواء متسنمة فتصب في أوانيهم فإذا امتلأت أمسك الماء حتى لا يقع منه قطرة على الأرض فلا يحتاجون إلى الاستسقاء^(٢).

١- مفردات غريب القرآن، ص ٥١٠، للراغب الأصفهاني.

٢- تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ١٥٧، و تفسير القرطبي، ج ١٩، ص ٢٦٦.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ نصب ﴿عَيْنًا﴾ على المدح والاختصاص بتقدير «أعني» يشرب بها المقربون قرباً معنوياً روحانياً يشربون ماءها صرفاً ولكن تمزج لسائر أهل الجنة وهم أصحاب اليمين. والباء مزيدة أو بمعنى «من». وبالجملة الخالص الغير الممزوج للخواص والممزوج لمن دونهم، ونعم ما قال عمر بن الفارض في ميميته:

عليك بها صرفاً فإن شئت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

والعدل بمعنى العدول والظلم بالفتح هو ماء الأسنان وبريقها وبالضم هو الجور أي إن لم تقدر على شربها خالصاً فامزجها بزالال فم المحبة وبريقه ولا تعدل فإن العدول عن ظلم الحبيب ورشحة زلاله هو الظلم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَتَمُّوا﴾ كانوا ذوي جرم وذنوب ولا ذنب أكبر من الكفر وأذى المؤمنين لإيمانهم مثل رؤساء قريش وأكابر المجرمين كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأمثالهم ﴿كَانُوا﴾ في الدنيا ﴿مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إيماناً صادقاً ﴿يَضْحَكُونَ﴾ ويستهزئون بفقراء المؤمنين كعمار وصهيب وخبّاب وبلال وغيرهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل.

﴿وَإِذَا مَرُّوا﴾ أي: فقراء المؤمنين ﴿بِهِمْ﴾ أي: بالمشركين في أنديتهم أو بالعكس ﴿يَتَفَامَرُونَ﴾ ويغمز بعضهم بعضاً ويشيرون بأعينهم ويعيبونهم ويقولون انظروا إلى هؤلاء يتعبون أنفسهم ويتركون اللذات لما يرجونه من المشوبات وأمر البعث والجزاء لا يقين به وإنه بعيد كل البعد.

﴿وَإِذَا أَنْقَلَبُوا﴾ من مجالسهم ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ وأصحابهم الجهلة الضالة التابعة لهم، والانقلاب التحول والرجوع ﴿أَنْقَلَبُوا﴾ حال كونهم ﴿فَكِهِينَ﴾ متلذذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي: المجرمين المؤمنين ﴿قَالُوا﴾ مشيرين إلى المؤمنين

بالتحقير ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ لَءَاثُونَ﴾ أي: نسبوا المسلمين إلى الضلال بطريق التأكيد وقالوا: تركوا دين آبائهم القديم ودخلوا في الدين الحادث أو المعنى تركوا التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا ندري هل له وجود أو لا.

﴿وَمَا أَرْسَلُوا﴾ أي: المجرمون ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: على المسلمين ﴿حَافِظِينَ﴾ حال من واو «قالوا» أي: قالوا ذلك والحال أنهم ما أرسلوا من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم أمورهم ويهيمنون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وإنما أمروا بإصلاح أنفسهم وحاصل المعنى أنه لم يرسل هؤلاء الكفار على المؤمنين حفظة ولو اشتغلوا بما كلفوا كان ذلك أولى بهم.

﴿فَالْيَوْمَ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: المعهودون من الفقراء ﴿يَضْحَكُونَ﴾ كما ضحك الكفار منهم في الدنيا وذلك أنه يفتح للكفار باب إلى الجنة ويقال لهم: اخرجوا إليها فإذا وصلوا إليها اغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرات فيضحك منهم المؤمنون حتى يروهم أذلاء مغلولين ﴿عَلَىٰ الْأَرَآئِكِ﴾ على السرر والحجال ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ناظرين إلى سوء حال الكفار.

﴿هَلْ تُؤْتَىٰ بِالْكَفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ كلام مستأنف من قبل الله أو من قبل الملائكة و﴿تُؤْتَىٰ﴾ عبر بالماضي لتحققه، والإثابة المجازاة استعمل في المكافاة بالشر وأكثر استعمالها في المحبوب نحو ﴿فَأْتَيْنَاهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتُوا﴾^(١) وقد يستعمل في المكروه نحو ﴿فَأْتَيْنَاكُمْ غَمًّا يَفْسُورًا﴾^(٢) على الاستعارة لكن التثويب التعويض كما قال صاحب القاموس، فحينئذ التعويض يكون بالاستحقاق فيكون مضحوكاً منهم. وإهانة الأعداء تعظيم للأولياء.

تمت السورة بعون الله.

١- سورة المائدة: ٨٨.

٢- سورة آل عمران: ١٥٣.

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

مكية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ⑤ بِتَأْيِهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَمَلَقَيْهِ ⑥ فَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتْبَهُ بِيَمِينِهِ ⑦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑧ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑨ وَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتْبَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ⑩ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ⑪ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ⑫ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑬ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ ⑭ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ⑮ فَلَا أُقْسِمُ بِالسَّفَاقِ ⑯ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ⑰ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ⑱ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ⑲ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ⑳ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ㉑ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ㉒ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ㉓ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ㉔ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ㉕

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ إعرابه كإعراب ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾^(١) أي: انصدعت،

وانشقاقها من علامت القيامة لنزول الملائكة بالأوامر الإلهية أو للسقوط والانتفاض

ولهول القيامة، وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: «تنشق من المجرة»^(١) وهي بفتح الميم باب السماء أي البياض المستطيل في وسط السماء سميت بذلك لأنها كآثر المجر تنشق السماء من ذلك المكان.

﴿وَأَذَّتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي: استمعت وانقادت لتأثير قدرته حين تعلقت قدرته بانشقاقها انقياد المطواع إذا ورد عليه أمر الأمر المطاع فهو استعارة تمثيلية على المجاز المرسل يعني إذا اطلق الإذن في حق نحو السماء مما ليس في شأنه الاستماع والقبول يكون استعارة تمثيلية نحو قوله: ﴿أَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٢) ﴿وَحُقَّتْ﴾ من قولهم: هو محقوق بكذا وحقيق به أي: شأنها ذلك بالنسبة إلى الأمر القاهر أي: أهل وحق أن لا يتخلف عن القدرة ﴿وَحُقَّتْ﴾ جملة معترضة مؤكدة لما قبلها لا معطوفة عليها.

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي: بسطت بإزالة جبالها وأكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت كالصحيفة الملساء وقيل: زيدت سعة وبسطة من أحد وعشرين جزءاً إلى تسعة وتسعين جزء لوقوف الخلائق عليها للحساب وإلا لم تسعهم. من مده إذا كان بمعنى أمده أي زاده. وفي الحديث: «إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مداً لأديم الكافور» لأن الأديم إذا زال كل انثناء فيه واستوى، وعكاظ كفراب سوق بين نخيلة والطائف بصحراء كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً تجتمع قبائل العرب فيتعاكفون أي: يتفاحرون ويتناشدون.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ أي: رمت الأرض ما في جوفها من الموتى والكنوز إلى ظاهرها ويكون إخراج الكنوز عند خروج الدجال لا يوم القيامة وإخراج

١- كنز العمال، ج ٢، ص ٥٤٨، و تفسير الصافي، ج ٥، ص ٣٠٤.

٢- سورة فصلت: ١١.

الموتى عند البعث ويوم القيامة وقت متسع وهو من أشرط الساعة ﴿وَوَعَلَّتْ﴾ عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شيء منه كأنها تكلفت في ذلك أقصى جهدها كما يقال: تكرم الكريم وترحم الرحيم إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي: انقادت الأرض في الإلقاء والتخلي وهي حاقّة بذلك الانقياد، ذكره مرتين لأن الأول بالنسبة إلى السماء والثاني بالنسبة إلى الأرض فليس بتكرار، وجواب «إذا» محذوف للدلالة وتقديره إذا وقعت هذه الأمور كان من الأهوال ما يقصر العبارة عن بيانه أو التقدير يرى حينئذ الإنسان ثواب عمله وعقاب عمله.

﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ﴾ جنس الإنسان الشامل للمؤمن والكافر كأنه قال: يا فلان ويا فلانة ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ الكدح جهد النفس في العمل والكدّ فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده إذا خدشه والمعنى أنك جاهد ومجدّد وساع باجتهاد ومشقّة إلى لقاء ربك وهو الموت أي: ساع إليه في عملك ﴿فَمَلَّئِيهِ﴾ أي: ملاق جزاء عملك وصائر إليه وإلى حكمه حيث لا حكم إلّا حكمه ولا مفرّ لك منه، وحاصل المعنى أن جدك إلى مباشرة الأعمال في الدنيا هو في الحقيقة سعي إلى لقاء جزائها في العقبى فعليك أن تبشر بما ينجيك في العقبى لا ما يرديك فإن كلّ عامل سيقدم إلى ما أسلف.

ثم قسم أحوال الخلق فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ﴾ أي: من يؤتى والماضي لتحققه، كتابه المكتوب فيه أعماله التي كدح في كسبها ﴿فَسَوْفَ يَحْسَبُ﴾ يوم القيامة ﴿حِسَابًا يَسِيرًا﴾ سهلاً لا مناقشة واعتراض فيه كما يناقش أصحاب الشمال، وهو المؤمن السعيد، والحساب اليسير حطّ الأوزار عنه إمّا بالتوبة أو بالعمو والإثابة على الحسنات وذلك لإيمانه ومن نوقش في المحاسبة عذب وفي الحديث «ثلاث من كنّ فيه حاسبه الله حساباً يسيراً وأدخله

الله الجنة برحمته. قالوا: وما هي يا رسول الله؟

قال: «تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك»^(١) ﴿وَسَقَلِبُ﴾ من مقام الحساب اليسير ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ وفريق المؤمنين وأهل السعادة ﴿مَسْرُورًا﴾ مبتهجا بكونه من أهل النجاة قائلا: ﴿هَاتُمُ أَقْرَمُوا كِنْيَةً﴾^(٢).

﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْقَىٰ كِنَيْتَهُ﴾ أي: يؤتى كتاب عمله ﴿وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ أي: بشماله من وراء ظهره ظرف متعلق لاوتي، قال الكلبي: يغلّ يمينه ثم تلوي يده اليسرى من ورائه فيعطى كتابه بشماله ولا منافاة بين هذه وما في ﴿الْحَاقَّةُ﴾^(٣) حيث قال: ﴿بِشَمَالِهِ﴾ لأنه يمكن أن يكون بعضهم يعطى بشماله وبعضهم من وراء ظهره ويحتمل أن من اوتى كتابه وراء ظهره هم الذين اوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فإذا كان يوم القيامة قيل له: خذ من وراء ظهرك من الموضع الذي نبذته فيه في حياتك الدنيا.

فإن قيل: إن ملك اليمين أي شيء يكتب للكافر ولم يكن له حسنة يكتبها؟ فالجواب أنه يأمر ويأذن صاحب الشمال يكتب سيئاته ويكون هو شاهدا على ذلك وإن لم يكتب.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ حكى سبحانه ما يحلّ به أي: بعد ما قرء كتابه «يدعو» هلاكا ويقول: وا ثوراه وا هلاكاه! ﴿وَيَقْلَنَ سَمِيرًا﴾ يدخلها ويقاسي حرها وعذابها من غير حائل ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ بيان للعلة. كان في الدنيا في أهله وعشيرته مترفا بطرا مستبشرا لا يخطر بباله أمور الآخرة ولا كان مصدقا بها قارعا من هم الآخرة بخلاف المؤمن فإنه كان له نائحة في

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٠٥، و كنز العمال، ج ١٥، ص ٨٠٩.

٢- سورة الحاقة: ١٩.

٣- سورة الحاقة: ٢٥.

قلبه من الحزن والخوف من التقصير.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ﴾ وهو تعليل لسروره في الدنيا أي: إن هذا الكافر ظنَّ في الدنيا ﴿أَنَّ لَنْ يَحُورَ﴾ «أن» مخففة، لن يرجع إلى حال الحياة في الآخرة للجزاء، والحدور الرجوع، وحر إلى أهلك أي ارجع ومنه الحديث «أعود بالله من الحور بعد الكور»^(١) أي الرجوع عن الحالة الجميلة، والحوار القصار لرجعة الثوب إلى البياض.

﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ إيجاب لما بعد «لن» أي: بلى ليحورن البتة وليس الأمر كما يظن فإن الذي خلقه كان به وبأعماله الموجبة للجزاء عالماً بحيث لا تخفى عليه خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه حتماً.

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ مرّ تفسيره في سورة ﴿لَا أَقْسِمُ بِبَوْمِ الظُّلُمَةِ﴾^(٢) الشفق هي الحمرة التي تشاهد في أفق المغرب بعد الغروب وبغيوبتها يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العشاء عند أهل السنة أو المراد من الشفق البياض الذي يليها لكن مناسبة الشفق بمعنى البياض أكثر وهو من الشفقة التي هي عبارة عن رقة القلب ولا شك أن ضوء الشمس يأخذ في الرقة والضعف من غيبتها إلى أن يستولي سواد الليل على الآفاق وعن عكرمة ومجاهد الشفق هو النهار فعلى هذا يقع القسم بالليل والنهار اللذين أحدهما معاش والآخر سكن وبهما قوام أمور الخلق وقيل: الشفق اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس.

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ الوسط جمع المتفرق وأقسم سبحانه بالليل وما جمعه وضمه ومستره بظلمته و«ما» عبارة عما يجتمع بالليل ويأوي إلى مكانه

١- الكافي، ج ٨، ص ٣٥٨، و مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٧٥.

٢- سورة القيامة: ١.

من الدواب والحشرات والهوام والسباع لأنه إذا كان الليل أقبل كل شيء إلى ماواه أو المراد بما جمعه الليل من العباد المتجهدين.

﴿وَأَلْقَمِرَ إِذَا أَسَقَ﴾ أي: استوى وكمل نوره وهو ليالي البدر يقال: أمور متسقة أي: مجتمعة على الصلاح ومنظمة.

﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ هذا جواب القسم قرئ «التركين» بفتح الباء أي: لتركين يا محمد (صلى الله عليك) درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في رفعة المنزلة والقربة عند الله، ويضم الباء فالخطاب للناس أي: حالا بعد حال منزلاً بعد منزل وأمرأ بعد أمر في القيامة والأحوال تتغير بكم فتصيرون على غير الحال التي كنتم عليها في الدنيا.

﴿عَنْ﴾ بمعنى «بعد» كما قال سبحانه: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَالِيَيْنَ﴾^(١) أي: بعد قليل. قال الشاعر التغلبي:

قرباً مريط النعامه مني لقت حرب وائل عن حيال^(٢)

أي: بعد حيال وقيل: المراد شدة بعد شدة حياة ثم موت ثم بعث ثم جزاء وقيل: المراد اختلاف أحوالكم في الدنيا شدة بعد رخاء وفقراً بعد غنى وغنى بعد فقر وصحة بعد السقم وسقماً بعد الصحة وقيل: نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم خلقاً آخر جنيناً ووليداً ورضيعاً وفطيماً ويافعاً ثم ناشئاً ثم مترعراً ثم خروراً ثم مراهقاً ثم محتتماً ثم بالغاً ثم أمرد ثم طاراً ثم باقلاً ثم مسيطراً ثم مترحماً ثم مختلطاً ثم صملاً ثم ملتجياً ثم مستويماً ثم مصعداً ثم مجتمعاً، والحاصل أنكم لتعبرن بكم الأحوال حالا بعد حال.

وإذا كان هكذا أمركم وانقلاب أطواركم في الدنيا أو في الآخرة وكل

١- سورة المؤمنون: ٤٠.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٠٧، ولسان العرب، ج ١٢، ص ٥٨٩.

هذه الأمور دالة على خالقكم ومصوركم ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فأي شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين وما يمنعهم عن الإيمان بخالقهم مع تعاضد موجباته ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقاً على ما قبلها أي أي مانع لهم حال عدم سجودهم واستكانتهم عند قراءة النبي ﷺ أو واحد من أصحابه وأئمة القرآن لا يخضعون له؟ فإنهم من أهل اللسان فيجب عليهم أن يجزموا بإعجازه وصحته عند سماعه ويكونه كلاماً إلهياً ويعلموا بذلك صدق محمد في دعوى النبوة فيطيعوه ويصلون لله. وبعض فسروا بأن المراد بالسجود في الآية الصلاة ويجوز أن يراد به نفس السجود عند تلاوة آية السجدة على أن يكون المراد بالقرآن آية السجدة بخصوصها لا مطلق القرآن كما روي أنه ﷺ قرء ذات يوم ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾^(١) فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر استهزاء.

عند أهل السنة هذه الآية الثالثة عشر من أربع عشرة سجدة تجب عندها السجدة.

﴿بِئْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ بالقرآن الناطق ولذلك لا يخضعون عند تلاوته ﴿وَأَنَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ بما يضمرونه في قلوبهم من الكفر والحسد فيجازيهم على ذلك في الدنيا والآخرة. أوعيت الشيء أي: جعلته في وعاء ثم استعير لمعنى الحفظ.

﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أي: الذين كفروا ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مولم غاية الإيلام وهو استهزاء وتهكم بهم ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ استثناء منقطع من الضمير المنصوب في ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ والمستثنى المؤمنون أي: لكن الذين آمنوا إيماناً صادقاً

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الطاعات ﴿لَكُمْ﴾ في الآخرة ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْتُونٍ﴾ غير مقطوع بل متصل دائم، من منه منا أي قطعه قطعاً أو المعنى بغير منة تكدر. وفي قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ و﴿لَا يَسْجُدُونَ﴾ دلالة على الاختيار وبطلان مذهب الجبر ويدل على أن الكفر والإيمان فعلهم لأن الحكيم لا يقول: مالك لا تؤمن ولا تسجد؟ لمن يعلم أنه لا يقدر على الإيمان والسجود. تمت السورة بعون الله.

سُورَةُ الْبُرُوجِ

مكية. قال النبي ﷺ: «ومن قرأها أعطاه الله الأجر بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَلَمَّآ ذَاتِ الْبُرُوجِ ① وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ② وَشَاهِدٍ وَمَشْهُورِ ③ قِيلَ أَصْحَابُ
 الْأَخْدُودِ ④ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ⑤ إِذْ هُرِّعَتْهَا فُجُودٌ ⑥ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ
 بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ⑦ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ⑧
 الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ⑨ إِنَّ الَّذِينَ
 فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ
 ⑩ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ⑪ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ⑫ إِنَّهُ هُوَ بَدِيءُ وَيُّدُ ⑬ وَهُوَ
 الْغَفُورُ الْوَدُودُ ⑭ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ⑮ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ⑯ هَلْ أَنْتَكَ حَدِيثُ
 الْجُنُودِ ⑰ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ⑱ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ⑲ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ
 مُخِيطٌ ⑳ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ㉑ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ㉒

﴿وَأَلَمَّآ﴾ كل جرم علوي فهو سماء فيدخل في هذا التعريف العرش

﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ والمراد من البروج الاثنا عشر التي في الفلك وهي المنازل العالية والمراد هنا من البروج منازل الشمس والقمر والكواكب وشبهت منازلها بالقصور التي تنزل فيها الاكابر والاشراف لأن البرج معناه القصر ويشتمل على المحاسن يقال: تبرجت المرأة أي تشبهت بالبرج في إظهار المحاسن.

قال السهيلي: أسماء البروج: الحمل وبه يبدأ وفي شهر هذا البرج يدخل في أواخره نيسان أي في ثلث آخره وكان مولد النبي ﷺ في نيسان عند طلوع الغفر بفتح الغين المعجمة، منزل للقمر ثلاثة أنجم صغار والغفر يطلع في ذلك الشهر أول الليل لأن وقته النطح وهو الشرطان بالمعجمة والفتحتين وهما نجمان من الحمل قرنا الحمل، وإلى الحمل أيضاً يضاف البطين كزبير منزل للقمر ثلاثة كواكب صغار كأنها أثنافي وهو بطن الحمل.

وبالجمل فبعد الحمل من البروج الثور، ثم الجوزاء ويقال لها: النسر والجبار والتوأمان، وهامة الجوزاء الهقعة وهي ثلاثة كواكب فوق منكبي الجوزاء كالأثنافي إذا طلعت مع الفجر اشتدَّ حرَّ الصيف، ثم السرطان، ثم الأسد، ثم السنبله، ثم الميزان، ثم العقرب وكوكبان نيران في قرني العقرب وبين الزبانيين من العقرب وبين وركي الأسد ورجليه وهما السماك يطلع الغفر الذي به مولد الأنبياء وفيه قالوا: (خير المنازل في الأبد بين الزباني والأسد)^(١) لأنه يليه من الأسد ذنبه ولا ضرر فيه ومن العقرب زبانياها ولا ضرر فيهما وإنما يضرّ بذنباها إذا شالته أي رفعته وهو الشولة في المنازل وكوكبان نيران ينير لهما القمر يقال لهما: حمة العقرب، ثم القوس، ثم الجدي، ثم الدلو، ثم رشاء الدلو وهو الحوت.

وجعل الله الشهور على عدد هذه البروج فقال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ

عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا^(١) وَالْفصول الأربَع في هذه الشهور من الربيع والصيف والخريف والشتاء. والبروج الاثنا عشر منقسمة إلى هذه المنازل الثمانية والعشرين والشمس تسير في تمام هذه البروج في كل سنة والقمر في كل شهر وقد تعلقت بها منافع ومصالح للعباد فأقسم الله تعالى بها إظهاراً لقدرها.

من «مجمع البحرين» عن ابن عباس قال: (قال رسول الله ﷺ: «ذكر الله عبادة وذكرى عبادة وذكر علي عبادة وذكر الأئمة عبادة، والذي بعني بالنبوة إن وصيتي لأفضل الأوصياء ومن ولده الأئمة الهداة بعدي بهم يحبس الله العذاب عن أهل الأرض وبهم يمسك السماء أن تقع على الأرض وبهم يمسك الجبال أن تميد بهم وبهم يسقي خلقه الفيث وبهم يخرج النبات أولئك أولياء الله حقاً وخلفاؤه صدقاً عندهم عتة الشهور وعدة قباه موسى بن عمران». ثم تلا ﷺ هذه الآية: والسماء ذات البروج^(٢)، ثم قال: «يا ابن عباس إن الله يقسم بالسماء ذات البروج ويعني بها السماء وبروجها» قلت: يا رسول الله فما ذا؟ قال ﷺ: «أما السماء فأنا وأما البروج فالأئمة بعدي أولهم علي وأخروهم المهدي»^(٣) صلى الله عليهم.

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ أي: يوم القيامة أقسم الله به تنبيها على قدره وعظمه أيضاً من حيث كونه يوم الفصل وتفرد الحكم له تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ فيه أقوال:

أحدها: أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة كما قال ابن عباس وجماعة وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله وروي ذلك عن النبي وسمي يوم الجمعة «شاهداً» لأنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه وفي الحديث «ما طلعت الشمس على يوم ولا غربت عن يوم أفضل منه وفيه ساعة لا

١- سورة التوبة: ٣٧.

٢- سورة البروج: ١.

٣- مجمع البيان، للطريحي، ج ١، ص ١٧٧.

يوافقها من يدعو فيها الله بخير إلا استجاب له ولا استعاذ من شر إلا أعاده منه»^(١).
ويوم عرفة مشهود يشهد الناس فيه موسم الحج وتشهده الملائكة.

وثانيها: أن الشاهد يوم النحر والمشهود يوم عرفة.

وثالثها: أن الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة قال سبحانه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢) وقال: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾^(٣) وقيل: الشاهد الله والمشهود لا إله إلا الله لقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(٤) وقيل أقوال أخر لا حاجة في الإطالة.

﴿قِيلَ اصْحَبِ الْأَخْدُودِ﴾ جواب القسم بحذف اللام المؤكدة أي: لقد قتل وأهلك بغضب الله ولعته ولعنوا بتحريقهم الناس في الدنيا أو في الآخرة والمراد بهم الكافرون الذين حفروا الأخدود وعذبوا المؤمنين بالنار، ويحتمل أن يكون إخباراً عن المسلمين الذين عذبوا بالنار في الأخدود فبكون أن المؤمنين قتلوا بالإحراق في النار ذكرهم الله بحسن بصيرتهم وصبرهم على دينهم ولا يعطون التقيّة بالرجوع عن الإيمان لتصلبهم في الدين.

وقيل: إن الجملة دعائية دالة على الجواب لا خبرية وسوق الكلام يفيد معنى وهو أن كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود لأن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على الصبر من أذى المشركين وما يلقون منهم ويعلموا أن هؤلاء عند الله بمنزلة أولئك ويقال فيهم ما قد قيل فيهم^(٥).
والأخدود الخد في الأرض وهو شقّ مستطيل كالنهر غامض عميق القرار.

١- الحدائق الناظرة، للبحراني، ج ٩، ص ٣٥٣.

٢- سورة المزمل: ١٥.

٣- سورة يونس: ١٠٤.

٤- سورة آل عمران: ١٨.

٥- انظر: تفسير أبي السعود، ج ٩، ص ١٣٥.

وأصحاب الأخدود كانوا ثلاثة وهم أنطيانوس الرومي بالشام^(١) وبنخت نصر بفارس^(٢) ويوسف ذو نواس الحميري بنجران موضع باليمن، شق كل واحد منهم شقاً عظيماً في الأرض كان طوله أربعين ذراعاً وعرضه اثني عشر ذراعاً ومثلوه ناراً وألقوا فيه من لم يرتد عن دينه من المؤمنين، والقرآن إنما نزل في الذين بنجران في سلطنة ذي نواس الحميري اليهودي وجنوده وذو نواس اسمه زرعة بن حسان وكان اسمه أيضاً يوسف وكانت له ذوائب تنوس وتضطرب على عاتقه فسمي ذا نواس.

وقصته أن عبداً صالحاً يقال له «عبد الله بن الثامر» كان بنجران وكان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فأجابوه فسار إليهم ذو نواس بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فحفر الخنادق وأضرم فيها النيران فجعل يلقي فيها كل من أتبع ابن الثامر حتى أحرق نحواً من اثني عشر ألفاً أو سبعين ألفاً.

وروى مسلم في الصحيح معنعناً عن صهيب عن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم له ساحر فلما مرض الساحر قال: إني قد حضر وهاهي فادفع إلي غلاماً أعلمه السحر فدفع إليه غلاماً كان يختلف إليه فكان في طريقه إذا سلك نحو الساحر ليتعلم السحر راهب فقدم الغلام نحو الراهب وسمع كلامه فأصعب الغلام من كلام الراهب فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه يسمع منه فإذا أتى الساحر

١- وهو الذي أغار على بني إسرائيل وقتل ملكهم وشتت جمعهم بعد ما فسدوا في الأرض وأشار إليه بقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُوكُنَّهَا بِشَعَابِكُمْ حِينَئِذٍ لَنَا أُولٌ شَدِيدٌ قَبَاسُوا خِلْدَلَ الَّذِينَ رَوَّكُوا وَعَدَّامَفْعُولًا﴾.

٢- هو في التوراة الموجود «نبوكد نصر» ملك «بابل» شدد القتل والنهب والأسر والتبديد على بني إسرائيل وقتل جمعاً غفيراً من أنبيائهم وحمل معه «ارميا» وفيه قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْأَخْرَفُ يَسْتَفْتُوا وَجوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُوا مَا عَلِمُوا نَتَيْرًا﴾.

ضربه لمكة ووطنه فشكا الغلام ذلك إلى الراهب فقال الراهب للغلام: إذا خشيت الساحر قتل: حبسني أهلي ومنعوني وإذا خشيت أهلك قتل: حبسني الساحر، فينما هو كذلك إذ أتى دابة عظيمة أي حية عظيمة أو أسد عظيم فقال الغلام: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب فأخذ حجرا وقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يستريح الناس فرماها فقتلها ومضى فأقى الراهب وأخبره فقال الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أهدى وإنك ستبلي فإن ابتليت فلا تدل علي. وكان الغلام يبصر الأكمه والأبرص ويداوي الناس فسمع جلس للملك كان قد صمى فأتاه يهدايا كثيرة فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيعتي قال: إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله فإن أمنت بالله دعوت الله فشفاك فأمن بالله فشفاه الله فأقى الملك وجلس إليه كما كان يجلس فقال الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي فقال: أو لك ربٌ غيري؟ قال: ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فبىء بالغلام فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرِكَ ما تبرئ الأكمه والأبرص؟ فقال الغلام: إنما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فبىء بالراهب فقال له: ارجع عن دينك فأبى فدحا بالمنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع على شفاه ثم جىء بجلس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه ثم جىء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه وقال لهم: اذهبوا به إلى جبل كنا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغت قمم فروه فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى قرقر^(١) فحوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال: اللهم

أكفيتهم بما شئت فانكفات بهم السفينة ففرقوا وسلم وجاء إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به قال: وما هو؟

قال: تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع ثم تأخذ منهما من كفاني ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: بسم الله رب الغلام ففعل الملك ما قال: فرماه فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على صدغه في موضع السهم فمات فقال الناس: أمنا برب الغلام أمنا برب الغلام.

فأتى الملك أت فقال له: قد نزل بك ما كنت تحذر منه وأمن الناس فأمر بالأخذود في أفواه السكك^(١) وقال: «من لم يرجع عن هذا الدين فاطرحوه فيها كرهاً ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي رضيع لها فتأخرت المرأة وهماصت أن تقع فيها فقال لها الصبي: يا أماء اصبري فإنك على الحق»^(٢) وقيل: كان لها ثلاثة أولاد أحدهم رضيع فقال لها الملك: ارجعي عن دينك وإلا ألقيتك وأولادك في النار فأبت فأخذ ابنها الأكبر وألقاه في النار ثم قال: ارجعي فأبت فألقى ابنها الأوسط في النار ثم قال لها: ارجعي عن دينك فأبت فأخذوا الصبي ليلقوه فيها فهمت بالرجوع فقال الصبي: يا أماء لا ترجعي عن الإسلام ولا بأس عليك فألقى الصبي في النار وأمه على أثره^(٣)، وكان هو ممن تكلم في المهد وهو صبي رضيع.

وعن علي أمير المؤمنين عليه السلام: «إن بعض ملوك المجوس وقع على أخته وهو سكران فلما صبحا ندم وطلب المخرج فأمرته بأن يخطب للناس فيقول: إن الله قد أحل

١- أي: في السوق بمرأى من الناس.

٢- صحيح مسلم، ج ٨، ص ٢٣١.

٣- تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ١٧٣، و تفسير البغوي، ج ٤، ص ٤٦٩.

نكاح الأخوات لم يخطبهم بعد ذلك بأن الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه هذا الأمر فقالت له: أبسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا منه فأمرته بالأخاديد وإيقاد النار وطرح من أبي فيها فهم الذين أرادهم بقوله: ﴿قِيلَ اصْحَبِ الْأَخْدُودَ﴾^(١). انتهى. ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ بدل اشتغال من الأخدود، ذات ارتفاع اللهب ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ ظرف لقتل والضمير لأصحاب الأخدود، وفي بعض التفاسير على سرر وكراسي قعود عند النار في مكان مشرف ويعرضون المؤمنين على النار فمن يترك دينه تركوه ومن لم يترك ألقوه في النار وأحرقوه. و﴿قُعُودٌ﴾ جمع قاعد ولفظ «على» مشعر بالاستعلاء.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ جمع شاهد يعني الملك وأصحابه الذين خدوا الأخدود على ما يفعلون ﴿شُهُودٌ﴾ أي: حضور قيل: إنهم كانوا فرقتين فرقة يعذب المؤمنین وفرقة يشاهد ولم يتولوا تعذيبهم لكنهم قعود رضوا بفعل أولئك وكانت الفرقة القاعدة مؤمنة لكنهم لم ينكروا على الكفار صنيعهم فلعنهم الله جميعاً^(٢).

وقيل: المراد من قوله: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحداً لم يقصر فيما أمر به من إحراق المؤمنين^(٣). وفي رواية ارتفعت النار فوقهم أربعين ذراعاً فوقعت عليهم فأحرقتهم ونجى الله المؤمنين بأن أخذ أرواحهم قبل أن تمسهم النار كما فعل بأسية امرأة فرعون لكن نظم الآية يقتضي وصف المؤمنين في تصلبهم في دينهم وبيان قوة إيمانهم بأن عذبوا بالنار ولم يشركوا.

١- انظر: تفسير الرازي، ج ٣١، ص ١١٨، و كنز العمال، ج ٢، ص ٥٤٩.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣١٧.

٣- تفسير الرازي، ج ٣١، ص ١٢٠، و الكشاف، ج ٤، ص ٢٣٨.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾ أي: وما عابوا ذكر هذا المؤمنين، يقال: نقم الأمر إذا عابه وأنكره^(١) ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ قال بلفظ المضارع مع أن الإيمان وجد منهم في الماضي لإرادة الاستمرار والدوام عليه فإنهم ما عذبوهم لإيمانهم في الماضي بل لبقائهم ودوامهم عليه في الآتي. وعنوان هذا الاستثناء مفسح عن براءتهم مما يعاب وينكر فهو تمديح لهم بصورة الاستثناء على منهاج قول النابغة حيث يقول:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنَ فلول من قراع الكتائب

وهذا البيان صفة مدح لا صفة ذم لأن ما جعله النابغة بصورة العيب هو عين المدح.

﴿الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فوصف سبحانه بهذه الصفات ليعلم أنه لم يمهل الكفار لأجل أنه غير قادر لكنه أراد أن يبلغ بهؤلاء المؤمنين مبلغاً عظيماً من الثواب لم يكونوا يبلغونه إلا بمثل ذلك التحمل والصبر ولا اعتراض لأحد عليه في ملكه.

وهيئات هيئات الصفاء لعاشق وجنة عدن بالمكارة حفت

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ لم يخف عليه فعلهم بالمؤمنين وهو شاهد بأعمالهم ويجازيهم وينتصف للمؤمنين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: الذين أحرقوهم وعذبوهم بالنار ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ من فعلهم ذلك ومن الشرك الذي كانوا عليه ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم. قال بعض علماء العامة: إن ذلك يدل على أن توبة القاتل عمداً مقبولة^(٢). ﴿وَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ بما أحرقوا المؤمنين، وفصل بين

١- مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٦٧.

٢- تفسير الرازي، ج ٣١، ص ١٢٢.

عذاب جهنم وعذاب الحريق مع أنهما واحد فالمراد أن لهم أنواع العذاب في جهنم سوى الإحراق مثل الزقوم والغسلين والمقامع وقيل: المراد أن لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا وذلك أن النار ارتفعت من الأخدود فأحرقتهم، كما قال الكلبي^(١).

ثم ذكر ما أعدّه للمؤمنين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وصدقوا بتوحيد الله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ بسبب إيمانهم وأعمالهم يجازون جناتٍ جارية فيها الأنهار بمقابلة ما قاسوا من الشدائد والصبر على أذى الكفار ﴿ذَلِكَ﴾ أي: حصول الجنة ﴿الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ الذي تصغر عنده الدنيا. ثم قال سبحانه متوعداً إلى الكفار والعصاة: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البطش تناول الشيء بصولة والأخذ بعنف يقال: يد باطشة. أي: أخذه تعالى إياهم بالعذاب متفاقم وإن كان بعد إمهال فإنه عن حكمة لا عن عجز ﴿إِنَّهُ هُوَ﴾ وحده ﴿يَبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ لينشئ الخلق ثم يميتهم ويعيدهم إحياء للمجازاة وفيه مزيد التقرير لشدة بطشه. وقيل: معناه أنه يبدي بالعذاب في الدنيا ثم يعيده في الآخرة^(٢)، أو المعنى يبدي العذاب في الآخرة ثم يعيده فيها لقوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾^(٣) قال ابن عباس: «إن أهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا فحماً ثم يعيدهم خلقاً جديداً»^(٤).

قال حذيفة بن اليمان: قال لي رسول الله ﷺ: يا حذيفة إن في جهنم لسباعاً من نار وكلاباً من نار وسيوفاً من نار وكلاليب من نار وإنه يبعث ملائكة يعلقون أهل النار بتلك الكلاب ياحناكهم ويقطعونهم بتلك السيوف عضواً عضواً

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣١٨.

٢- المصدر السابق نفسه.

٣- سورة النساء: ٥٥.

٤- تفسير الرازي، ج ٣١، ص ١٢٣.

ويلقونها إلى تلك السباع والكلاب كلما قطعوا عضواً عاد آخر مكانه خضاً طرياً^(١).
وبالجمله المبدئ المعيد معناه الموجد لكن الإيجاد إذا لم يكن مسبقاً
بمثله سمي إبداء وإن كان مسبقاً بمثله يسمى إعادة، وخاصية الاسم المبدئ أن
يقراء على بطن الحامل سحراً تسعاً وعشرين مرة فإن ما في بطنها يثبت ونافع،
ولتذكار المحفوظ إذا نسي اسم المعيد لا سيما إذا أضيف إليه اسم المبدئ.

﴿وَهُوَ الْغُورُ﴾ لمن تاب ولمن لم يتب إذا شاء ﴿الْوُدُودُ﴾ لمن أطاع.
وفي الأثر «إن أود الأوداء إلي من هبني لغير نوال» وأصل الود من الودد وهو
أثبت من المحبة والودود من عباد الله من يريد لخلق الله ما يريد لنفسه
وأعلى فمن ذلك من يؤثرهم على نفسه ولم يمنعه سوء صنيعهم عن إرادة
الخير لهم والإحسان إليهم كما قال ﷺ: حين كسرت رباعيته وذمي وجهه
وضرب: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»^(٢).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أردت أن تسبق المقرين فصل من قطعك وأعط
من حرمك وأصف صمن ظلمك»^(٣) وخاصية اسم الودود ثبوت الوداد لا سيما بين
الزوجين فمن قرأه ألف مرة على طعام وأكله مع زوجته غلبتها محبته وتطيعه.

﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ ذو الملك والسلطنة القاهرة على المخترعات العلوية
والسفلية وإن لم يكن على السرير، يقال: ثل عرشه إذا ذهب سلطانه^(٤)،
والمجيد هو الشريف ذاته الجميل أفعاله^(٥) الجزيل نواله فشرف الذات إذا
قارنه حسن الفعال سمي مجيداً وما جداً والتمجيد ذكر الصفات الحسنة،

١- تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ١٧٤، و الدر المنثور، للسيوطي، ج ٢، ص ١٧٤.

٢- تفسير القرطبي، ج ٨، ص ٢٧٣.

٣- اثناعشر رسالة، للمحقق الداعاد، ج ٨، ص ٢٦.

٤- تفسير القرطبي، ج ١٩، ص ٢٩٧.

٥- المصباح، للكفعمي، ص ٣٢٦، و بحار الانوار، ج ٨٧، ص ١٢٦، و القواعد والفوائد، ج ٢، ص ١٦٩.

ومجد العرش جلوه في الجهة وعظمته وحسن صورته، وتركيبه أحسن الأجسام تركيباً، أظهره الله وخلقه إظهاراً للقدره لا مكاناً ولا احتياجاً إليه.

قال بعض المحققين: إن من العجب أن الله لو ملأ العرش مع تلك السعة من حبوب الذرة وخلق طيراً أكل حبة واحدة منها في ألف سنة لنفدت الحبوب ولا تنقطع مدة الآخرة ومع هذا لا يخاف بنو آدم من عذاب تلك المدة ويضيعون أعمارهم في شيء سريع الزوال^(١).

﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ بحيث لا يتخلف عن إرادته مراد من الإحياء والإماتة والإعزاز والإذلال والإغناء والإقتار والوصل والفرق إلى غير ذلك من شؤونه.

﴿هَلْ أَنْتَ حَيْثُ الْجُنُودِ﴾ أي: هل بلغك أخبار الذين تجندوا على أنبياء الله وقيل: ﴿هَلْ﴾ بمعنى «قد» ثم بين سبحانه الجنود ﴿فِرْعَوْنَ وَفُؤَادَ﴾ بدل من الجنود مع أنه غير مطابق ظاهراً للمبدل منه في الجمعية لأن المراد قوم فرعون أي عرفت ما صدر منهم من التكذيب وما وقع عليهم من التعذيب فذكر قومك وأنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصابهم لأنهم قد سمعوا قصة فرعون من أهل الكتاب ورأوا آثار هلاك قوم صالح لأنها كانت في ممرهم.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من قومك ﴿فِي تَكْذِيبِ﴾ إضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم أشد منهم في الكفر. وتنكير ﴿تَكْذِيبِ﴾ للتعظيم فإنهم يكذبون بالقرآن الناطق والصامت ﴿وَأَلَّهُ مِنْ دَرَأَيْهِمْ مُخِيطٌ﴾ محيط بهم بالقدره من خلفهم وفيه بيان لعدم نجاتهم من بأس الله بحيث لا يجدون مهرباً منه وهذه الإحاطة ليست كإحاطة الظرف بالمظروف ولا كإحاطة الكل بأجزائه بل كإحاطة الملزوم بلازمه فإن التعينات اللاحقة لذاته إنما هي لوازم له بواسطة أو بغير واسطة ولا تقدر كثرة اللوازم في وحدة الملزوم.

١- لم نعر عليه فيما بأيدينا من المصادر.

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ أي: ليس الأمر كما زعموا من تكذيب القرآن وهذا الذي كذبوا به قرآن شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الإلهية ومتضمن للمكارم الدنيوية والأخروية.

﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ من التحريف ووصول الشياطين إليه ومن النسخ والتحريف والنقصان وهذا المعنى على قراءة من رفع ﴿مَّحْفُوظٍ﴾ وجعله صفة للقرآن وعلى قراءة من جرّه فجعله صفة للوح فالمعنى أنه محفوظ عند الله لا يطلع عليه غير بعض الملائكة وهو أم الكتاب ومنه نسخ الكتب والقرآن وهو الذي يعرف باللوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب.

تمت السورة بعون الله.

سُورَةُ الطَّارِقِ

مكية. من قراها أعطاه بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَيَنْظُرُ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَلَوٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْوِهِ لَقَائِدٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبَلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالتَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجَمِ ﴿١١﴾ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّنِيعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْمَزَلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَآكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَهْمِلُهُمْ رُودًا ﴿١٧﴾

الطارق إذا جاء ليلاً، وأصل الطرق الدقّ ومنه سميت المطرقة لأنه يطرق بها الحديد وسمي الطريق طريقاً لأنه يضرب بالرجل وسمي قاصد الليل طارِقاً لاحتياجه إلى طرق الباب غالباً حيث إنّ الأبواب مغلقة بالليل ثم اتسع في كل ما ظهر بالليل كأننا ما كان حتى أطلق على الصور الخيالية البادية بالليل والمراد في الآية الكوكب البادئ بالليل، أقسم سبحانه بالسماء أو برب السماء وأقسم بالطارق.

ثم بين الطارق فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ أي: أي شيء أعلمك بالطارق إلا بالتلقي من الخلاق العليم كأنه قيل: وما هو؟ فقال: هو: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾

الكوكب المضيء لأنه يثقب بإضاءته ما يقع عليه من الظلام.
 ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ جواب للقسم وما بينهما اعتراض و﴿إِنْ﴾
 نافية أي ما كل نفس من النفوس الطيبة والخبيثة إنسيّة أو وحشيّة إلّا عليها
 مهيمن ورفيق وهو الله كما قال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾^(١) أو المراد من
 الحافظ الملائكة يحفظ عملها ورزقها وأجلها، وروي عن النبي ﷺ «وكل
 بالمؤمن مائة وستون ملكا ينجون عنه كما يذب عن فصحة المسلم الذباب ولو وكل
 العبد إلى نفسه طرفة عين لاخطفتنه الشياطين»^(٢).

وقرئ «لما» مخففة على أن «إن» مخففة وما مزيدة واللام فاصلة بين
 المخففة والنافية أي إن الشأن كل نفس لعلها حافظ.

﴿فَيَنْظُرُ الْإِنْسَانُ﴾ ولينفكر الإنسان الجاهل المنكر للنشور والحشر ﴿يَوْمَ
 خُلِقَ﴾ من أي: شيء أصله حتى يتضح أن من قدر على إنشائه من نطفة فهو
 قادر على إعادته بل أقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الإعادة ما ينفعه
 ويجديه لا ما يضره ويرديه.

﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ استيناف وقع جواباً عن استفهام مقدر كأنه قيل:
 ﴿يَوْمَ خُلِقَ﴾ فقيل: خلق من ماء ذي دفق وهو صبّ فيه دفع بسرعة.^(٣) ويجوز
 أن يكون دافق بمعنى المدفوق.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ الصلب معناه الشديد وبهذا الاعتبار سمي
 الظهر صلباً أي من بين ظهر الرجل وترائب المرأة وهي عظام نحرها وضلوع
 صدرها وكلّ عظم من ذلك ترثبة، وعن أمير المؤمنين عليه السلام «بين العدين»^(٤).

١- سورة الأحزاب: ٥٢.

٢- الكشاف، ج ٤، ص ٢٤١، و انظر: بحار الانوار، ج ٦١، ص ٣١٤.

٣- تفسير جوامع الجامع، ج ٣، ص ٧٦٤، و الكشاف، ج ٤، ص ٢٤١.

٤- شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٠١ تحقيق الشيخ محمد عبده.

وأصل المنى هو الدم يتصاعد في خرزات الصلب وهناك مسكنه ومتفضجه الحرارة فيستحيل أبيض فإذا امتلأت خرزات الظهر وهو الفقار طلب الخروج من مسلكه وهو عرقان متصلان إلى الفرج ومنها ينزل وبين طريق المنى وطريق البول جلد رقيق يكاد لا يتشخص من رفته لثلاً يختلط المنى بماء البول فيفسد حرارة جوهره.

﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجِيءٍ﴾ الضمير للخالق، على إعادته بعد موته ﴿لَقَائِرٍ﴾ خلقه لإظهار قدرته ثم رزقه لإظهار كرمه فيميتة لإظهار جبروته ويحييه ثانياً للثواب والعقاب.

﴿يَوْمَ تَبَىٰ التَّارِيخُ﴾ ظرف لرجعه، ولا يضر الفصل بالأجنبي للتوسع في الظروف وإطلاق الإبلاء على الكشف والوضوح من قبيل اسم السبب على المسبب لأن الاختبار موجب للتعرف والتمييز وقيل: المراد من السرائر الفرائض كالصوم والصلاة والزكاة والغسل فإنها سر بين العبد وبين ربه في معيها وصحيحها وإنما تظهر صحتها يوم القيامة فيدئ الله ذلك اليوم كل سر فيكون زيناً في وجوه وشيناً في وجوه، فمن أدى الأمانات والتكاليف كان وجهه مشرقاً ومن ضيعها كان وجهه أغبر.

﴿فَأَلَّهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ أي: ليس للإنسان من دافع من نفسه يمتنع بها من العذاب الذي حل به ولا ناصر من خارج يتصر به.

﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ ذات مؤنث «ذو» بمعنى الصاحب والرجع المطر سمي رجماً لما أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض وقيل: المراد بالرجع شمسها وقمرها ونجومها تغيب وتطلع، أو رجع السماء إعطاؤها الخير الذي من جهتها حالاً بعد حال على مرور الأيام^(١).

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّنْعِ﴾ هو ما تصدع عنه الأرض من النبات وتشققها بالنبات

والعيون، لأن النبات صاعد للأرض فالسمااء ذات الرجوع كالأب والأرض ذات الصدع كالأم وما ينبت كالولد والمراد بيان منافعهما وأقسام بهما.

﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ أي: كلام فاصل بين الحق والباطل والقول كثيرا ما يكون بمعنى المقول، أتى بالمصدر مبالغة كأنه نفس الفصل كما قال: ﴿الْقُرْآنَ﴾^(١) بمعنى الفارق.

﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ واللعب، والجدة ضد الهزل أي: كله جدة محض، قال المولى إسماعيل الحقي في «روح البيان»: إنه يظهر من الآية أن من يؤم القرآن بهزل أو بتفكه ومزاح يكفر، وفي «هداية المهديين» إذا أنكر رجل آية من القرآن أو سخر بها أو عابها فقد كفر، ومن قرأ القرآن على ضرب الدف أو القصب أو ما شابهه فقد كفر حتى قيل: لو يقال له: لم لم تقرأ القرآن؟ فقال: سئمت منه، فهذا وأمثاله كله كفر فليجتنب المسلم عن مثل هذه الكلمات.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ في إطفاء نوره حسبما في قدرتهم ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أي: أقابلهم بكيد متين لا يمكن رده، وكيد المحدث الضعيف العاجز لا يقاوم جزاء القادر القوي، وتسمية الجزاء بالكيد من باب المشاكلة والمقابلة في الكلام وإلا فالكيد هو المكر والاحتيال ولا يجوز إسناده إليه تعالى مراداً به معناه الحقيقي وتسمية جزاء الشيء باسم ذلك الشيء على سبيل المشاكلة شائع كثير.

﴿قَهْلُ الْكَافِرِينَ﴾ أي: لا تستعجل بهم ﴿أَتِهَلُمُّ رُؤْيَا﴾ بدل من «مهمل» والتمهيل والإمهال لغتان أي مهلهم إمهالاً قليلاً فإن الله يجزيهم لا محالة إما بالقتل والذل في الدنيا أو بالعذاب في الآخرة قال ابن جنّي: قوله: ﴿قَهْلُ الْكَافِرِينَ أَتِهَلُمُّ رُؤْيَا﴾ غير اللفظ والباب لأنه أثر التأكيد ولم يعد، وانحرف عن التكرار بعض الانحراف، وانتقل عن لفظ قهل إلى لفظ أفعل وغير الباب إرادة

للتأكيد، ولتجشم التثليث ترك اللفظ وأتى بالمعنى فقال: ﴿رُؤْيَا﴾ أي: مهلة قليلة^(١). وما كان بين نزول هذه الآية وبين وقعة بدر إلا زمان يسير.

حكى أن ابن السمّك دخل على الرشيد فطلب هارون منه العظة فقال: أيها الخليفة لقد أمهل سبحانه حتى كأنه أهمل ولقد ستر حتى كأنه غفر ثم قال: هب كان الدنيا كلها في يديك والآخرى مثلها ضمت إليك وكان الشرق والغرب يجبي إليك فإذا جاء ملك الموت فما ذا في يديك؟ وقيل: إن هارون كان جالساً على حصير يستمع منه فقال ابن السمّك: أيها الخليفة لتواضعك في شرفك أفضل من شرفك ومن أعطي مالاً وجمالاً وسلطاناً وشرفاً فتواضع في شرفه وعفّ في جماله وواسى في فضل ماله وعدل في سلطانه كتب في ديوان المخلصين، واعلم أنه لم يبق من لدن آدم إلى يومنا هذا أحد إلا وذاق الموت. قال هارون: زدني فقال ابن السمّك: إنهما موضعان إما جنة وإما نار قال هارون: حسبي حسبي.

أقول: وما كفته هذه المواعظ وما تطلب من ابن السمّك المواعظ حقيقة بل أراد أن يغرّ الناس بتطلبه المواعظ، وغرضه اللعين التدليس والتمويه لتستر نقائصه كما هو عادة أكثر أمراء زماننا حيث وجدوا عالماً شرعوا في الاستفادة منه والعالم المغرور يزعم أنه من أهل التقى فيغترّ بما يرى من ظاهر أحوالهم فيحسن ظنه به وبأمثاله فيترتب على صلاح ظاهره أمور فيها فساد أمة بل إضلال أهل ملة وما حصل ذلك الفساد إلا بسبب ذلك التدليس من هذا الإبلis واغترار هذا العالم الجاهل بأحوال الناس فينبغي لمثله أن يكون حادياً للعيس لا متصدراً للتدريس نسأل العصمة من مضلات الفتن.

تمت السورة بعون الله.

سُورَةُ الْأَعْلَى

مكية. روي عن علي عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب هذه السورة وأول من قال سبحان ربي الأعلى ميكائيل»^(١). قال ابن عباس: إذا قرأ النبي هذه السورة قال: «سبحان ربي الأعلى» وكذلك علي عليه السلام^(٢). وروى العياشي بإسناده عن أبي خميسة عن علي عليه السلام قال: «صليت خلفه عشرين ليلة فليس يقرأ إلا سبح اسم ربك الأعلى»، وقال: «لو يعلمون ما فيها لقرأها الرجل كل يوم عشرين مرة، وإن من قرأها فكأنما قرأ صحف موسى وإبراهيم الذي وفى»^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ① الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ④ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ⑤ سَتَقَرُّكَ فَلَاقُنَّ ⑥ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ⑦ وَيَبْسُطُ رَبُّ السُّرَى ⑧ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ⑨ سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْفَى ⑩ وَيَنْجِنِبُهَا الْأَمْتَى ⑪ الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَى ⑫ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ⑬ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ⑭ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ⑮

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٢٦.

٢- المصدر السابق نفسه.

٣- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٢٦، و تفسير نورالثقلين، للحويزي، ج ٥، ص ٥٥٤.

بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي
الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُفِّ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

نزّه ربك عما لا يليق به من الصفات المذمومة والأفعال القبيحة كالعجز والظلم وأمثاله. قال ابن عباس: أي قل: «سبحان ربي الأعلى»^(١) وأراد بالاسم المسمّى والأعلى معناه القادر الذي لا قادر أقدر منه، القاهر لكلّ أحد وقيل: «الأعلى» صفة الاسم فيكون المعنى سبح الله بذكر اسمه الأعلى، وأسمائه الحسنی كلها أعلى^(٢) والمراد من العلوّ ليس علوّ الجهة سبحانه عن ذلك بل علوّ استحقاق لنعوت الجلال فمن عرف علوه تذلّل وتواضع بين يديه وكذلك ينزّهه عن أن يطلق هذه الأسماء على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيها من أن تسمي الصنم بالإله أو الربّ مثل تسمية العرب مسيلمة الكذاب برحمن اليمامة بل لا يكثر القسم بذكر اسمه تعالى من غير مبالاة.

وفي الحديث: «لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(٣) قال رسول الله: اجعلوها في ركوعكم، فلما نزل: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع: اللهم لك ركعتي وفي السجود: اللهم لك سجدتي»^(٤).

وقد ذكر ما قبل هذا أن أول من قال: «سبحان ربي الأعلى» كان ميكائيل وذلك أنه خطر بباله عظمة الربّ فقال: يا ربّ أعطني قوة النظر حتى أنظر إلى عظمتك وسلطانك فأعطاه قوة أهل السماوات فطار خمسة آلاف سنة حتى احترق جناحه من نور العرش ثمّ سأل القوة فأعطاه ضعف ذلك

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٢٨، و التبيان، ج ١٠، ص ٣٢٩.

٢- المصدر السابق نفسه.

٣- سورة الواقعة: ٧٤.

٤- انظر: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٢٦، و الكشاف، ج ٤، ص ٢٤٣.

وجعل يرتفع عشرة آلاف سنة حتى احترق جناحه من نور العرش وصار كالفرخ ورأى الحجاب والعرش على حاله فخرّ ساجداً وقال: «سبحان ربّي الأعلى» ثمّ سأل ربّه أن يعيده إلى مكانه وإلى حالته الأولى فعاد^(١). وفي الحديث: «سبحان الله والحمد لله يملآن ما بين السماوات والأرض».

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ صفة أخرى للربّ خلق كلّ ذي روح فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتدبّر معاشه بالإحكام والإتقان وقيل: المراد من الخلق الإنسان فسوى وعدلّ تركيبه وقامته ولم يجعله منكوساً كالبهائم والدوابّ أو المعنى خلق الأشياء على موجب إرادته فسوى صنعها لتشهد على وحدانيّته.

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ معطوف على الموصول الأوّل أي: قدرّ أجناس الأشياء وأنواعها وأفرادها ومقاديرها وأفعالها وآجالها بمقدار معلوم في جثته ووضعها ولونه وطعمه وطبعه وكيفيّة ارتزاقه ويسرّ له ما ينفعه وألهمه ما يضرّه ولو تّبعت أحوال النباتات والحيوانات لرأيت في كلّ منها ما يحار فيه العقول. يحكى أنّ الأفعى إذا بلغت ألف سنة عميت وقد ألهمها الله أن تمسح عينيها بورق الرازيانج الغضّ فيردّ إليها بصرها فربّما كانت عند عروض العمى لها في برّيّة بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها على بعدها وعلى عماها حتى تهجم على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحكّ عيناها بورقها فترجع باصرةً. وجعل لكلّ حيوان ونبات خصوصيّات مميّزة بعضها عن بعض وخاصيّة مثل أنه تعالى خلق التمساح وربّما بلغ طوله عشرين ذراعاً يوجد في بحر مهران في السند والنيل كما في القاموس وهو يبيض في البرّ فما وقع من ذلك

١- تفسير السمرقندي، ج ٣، ص ٥٤٨.

في الماء صار تمساحاً وما بقي في البر صار سقنقوراً ويوجد في مصر شكلها كالوزغة على عظم خلقتة وهو أنفس ما يهدى لملوك الهند فإنهم يذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه بالملح ويحملونها إليهم فإذا وضعوا مثقالاً من ذلك على بيض أو لحم وأكل يقع ذلك نفعاً بليغاً للتقوية.

ومن هداياته تعالى أن القطا وهو طائر معروف يترك فراخه ثم يطلب الماء من مسيرة عشرة أيام وأكثر فيرده فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ثم يرجع فلا يخطئ لا ذهاباً ولا إياباً. قال الشاعر:

تميم بورب اللؤم أهدى من القطا وإن سلكت سبل الهداية ضلّت

حكى أن العقرب والفارة إذا اجتمعتا في إناء زجاج ولم يتمكن الفارة من الهرب لملاسة الزجاج قرضت الفارة إبرة العقرب فتسلم منها.

وحكى أن ابن عرس تبع فارة؛ فصعدت الفارة شجرة ولم يزل يتبعها حتى انتهت إلى رأس الغصن ولم يبق مهرب فنزلت على ورقة وعضت طرفها وعلقت نفسها فعند ذلك صاح ابن عرس فجاءته زوجته فلما انتهت تحت الشجرة قطع ابن عرس الورقة التي عضتها الفارة، فسقطت فاصطادها ابن عرس الذي كان تحت الشجرة. وقد رثي أن الفارة تدخل ذنبها في قارورة الدهن والمابعات ثم تلحسه وإذا لم ينل ذنبها إلى الدهن هالت حصى صفاراً من فم القارورة فيعلو الدهن فيتصل ذنبها إلى الدهن ثم تلحسه، وأمثال هذه العجائب في الحيوان كثيرة.

والأعجب من هذا أنه قيل: إن شجرة النخل يعرض لها العشق وتميل إلى نخلة أخرى فيخف حملها وتهزل، وعلاجها أن يشدّ بينها وبين معشوقها الذي مالت إليه بحبل أو يعلق عليها سعة منه أو يجعل فيها من طلعه فتجبر

وتشمر ويرتفع هزالها.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ الرعي بالكسر الكلاء بالفتح المصدر أي: إنه تعالى بقدرته أنبت ما ترعاه الدواب غصاً طرياً قال ابن عباس: المرعى الكلاء الأخضر.
﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد ذلك وبعد اخضراره ﴿عُشْبًا أَحْوَى﴾ أي: هشيماً جافاً كالغشاء الذي تراه فوق السيل من فتات الأرض ﴿أَحْوَى﴾ أي: أسود وإيراد الفاء في ﴿فَجَعَلَهُ﴾ إشارة إلى قصر مدة الخضرة وفيه رمز إلى قصر مدة العمر وسرعة زوال الدنيا ونعيمها فإن رتبة الحياة الدنيا ومنافعها سريعة الفناء فإنهما مرعى النفس الحيوانية كالهشيم والحطام البالي الأسود.

﴿سَتَقْرُبُكَ فَلَا تَنَسَى﴾ ضمان من الله أن يجعله بحيث لا ينسى ويحفظ القرآن للهداية. وكان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبرئيل بالوحي يقرؤه مخافة أن ينساه فلما نزلت هذه الآية لم ينس بعد ذلك شيئاً.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن ينسيكه برفع حكمه ونسخه، وقيل: معنى الاستثناء إمكان وقوعه وإن لم يقع منه مشيئة النسيان فهو كقوله: ﴿حَلِيلِيكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾^(١) ولا يشاء وكقول القائل: لأعطينك كل ما سألت إلّا أن أشاء أن أمنعك والنية أن لا يمنعه، ومن المعلوم أنه فرق بين النسيان والإنساء وأن الله قادر على إنسانه ﷻ إذا أراد^(٢).

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْغُيُوبَ وَمَا يُخْفَى﴾ وهو عالم بما ظهر وما بطن من القول والعمل والنية ورفع الصوت وهمس الصوت أي يعلم ما جهرت به في قراءتك لحفظها وما أخفيتها وتريد أن تنسيه وتحفظه.

١- سورة يونس: ١٠٨.

٢- التبيان، ج ١٠، ص ٣٣٠، و مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٣٠.

﴿وَيُسِّرْكَ لِلْيُسْرَى﴾ عطف على «تقرئك» واليسرى فعلى من اليسر وهو السهولة في عمل الخير لما في معنى «يسرك» من تضمّن معنى الخير والتوفيق وحاصل المعنى نوفقك للشريعة اليسرى الحنيفة ونسهل عليك الوحي وما يثبتك على أمرك وتبليغك ولنسهل عليك المستصعب من امور النبوة والرسالة.

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ فذكر الناس ما أوحى إليك واهداهم إن نفع التذكير، وتقييد التذكير بالنفع لأنه يستفرغ جهده فيه حرصاً على إيمانهم وكان لا يزيد ذلك بعضهم إلا كفراً وعناداً فأمره بأن يخصّ التذكير بمن يرجى منه التذكير ولا يتعب نفسه في تذكير من لا يزيده إلا عتواً ونفوراً وهذا كقوله: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعَبِيدِ﴾^(١) وحرف الشرط راجع إلى النبي لا إلى الله. قال بعض أهل العربية إن «إن» تجيء مثبتة فتكون بدل «قد» وقيل: معنى الآية ذكر إن نفعت الذكرى أو لم تنفع^(٢) ولم يذكر الحالة الثانية كقوله: ﴿سَرَّيْلَ تَفِيحِكُمُ الْحَرَّ﴾^(٣).

﴿سَيَذَكَّرُ مَن يَخْشَى﴾ أي: سيتذكر بتذكيرك من من شأنه أن يخشى الله ويتعظ بالقرآن من يخاف عقابه.

﴿وَيَنْجِنِيَّ الْأَشْقَى﴾ ويتبعّد من الذكرى ولا يسمعها سماع القبول الزائد في الشقاوة لتوغّله في عداوة النبي أو المراد من الأشقى الكافر مطلقاً لأنه أشقى من الفاسق والناس في أمر المعاد والقرآن على ثلاثة أقسام: منهم من قطع بصحته ومنهم من جوز وجوده ولكنه غير قاطع فيه لا بالنفي ولا

١- سورة ق: ٤٥.

٢- التسهيل لعلوم التنزيل، للفرناطي، ج ٤، ص ١٩٤، و تفسير الميزان، ج ٢، ص ٢٦٨.

٣- سورة النحل: ٨١.

بالإثبات ومنهم من أصرَّ على إنكاره والقسمان الأولان ينتفعون بالتذكير بخلاف الثالث.

﴿الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى﴾ أي: يدخل الطبقة السفلى من طبقات النار والكبرى اسم تفضيل تأنيث الأكبر والمفضل هو ما في أسفل الدرجات والمفضل عليه ما في الدرجات التي فوقها.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ حتى يستريح ﴿وَلَا يَجِيءُ﴾ حياة تنفعه بل تكون حياته وبالا عليه يتمنى أن يموت لما هو فيها معها من فنون العذاب ويتعذب مزيداً كلما احترق وهلك أعيد إلى الحياة وعذب فلا يكون ميتاً مطلقاً ولا حياً مطلقاً.

﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ ونجا من المكروه ﴿مَنْ تَزَكَّى﴾ وتطهر من الكفر والمعاصي باتعاضه بالذكرى أو تكثر من التقوى، من الزكاء وهو النماء، قال ابن مسعود: أي: أعطى زكاة ماله وصلى، أراد زكاة الفطرة وصلاة العيد.

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ بقلبه ولسانه ﴿فَصَلَّى﴾ وأقام الصلاة الخمس، قال ابن عباس أي وحَّد الله وقيل: ذكر الله بقلبه عند صلاته وقيل: المراد ذكر اسم ربه بلسانه عند دخوله في الصلاة أي قال: الله أكبر^(١) وقيل: هو أن يفتح ببسم الله الرحمن الرحيم ثم يصلي، قال الله سبحانه: «إِنَّ لِي مَعَ الْمُصَلِّينَ ثَلَاثَ أُمُورٍ: أَحَدُهَا: تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ مِنْ عَنَانِ السَّمَاءِ إِلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ مَا دَامَ فِي صَلَاتِهِ وَالثَّانِي: حَفَّتَهُ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا، وَالثَّلَاثُ: أَنَا جِي مَعَهُ كَلِمًا قَالَ: يَا رَبِّ! أَقُولُ: لِيَبْكُ»^(٢).

فلو قيل: إذا كان المراد من الآية زكاة الفطرة وصلاة العيد كيف يكون والسورة مكية بالإجماع ولم يكن بمكة عيد ولا صدقة فطر؟ فالجواب أنه لما كان

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٣١.

٢- انظر: مصنف عبدالرزاق، ج ١، ص ٤٩ عن الحسن؛ و الفقيه، ج ١، ص ٢١٠، و ثواب الاعمال، ص ٥٧ عن الإمام الصادق عليه السلام.

في علم الله أن ذلك سيكون أثنى الله على من فعل ذلك فإنه قد يخبر بما سيكون.
﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ إضراب عن مقدر ينساق إليه الكلام كأنه
قيل: لا يفعلون ذلك بل تختارون اللذات العاجلة وتسعون لتحصيلها وترجحون
جانب الدنيا على الآخرة مع أن في حلالها حساباً وفي حرامها عذاباً.
﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ حال من فاعل ﴿تُؤْثِرُونَ﴾ مؤكدة للتوبيخ أي:
تؤثرونها على الآخرة مع أن الآخرة سعادة أبدية والدنيا مبغوضة ومبغوض ما
فيها إلا ذكر الله.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ إشارة إلى ما ذكر ﴿لِنِي السُّحُوفِ الْأُولَى﴾ جمع صحيفة
وهي الكتاب. والصحيفة المبسوط من كل شيء كصحيفة الوجه والمعنى أن
تطهير النفس عن رذائل الشرك وتكميل الروح بالمعارف الإلهية والجوارح
بالطاعة والإعراض عن ملهيات الدنيا لا يجوز أن يختلف باختلاف الشرائع
بل هذا التكليف ثابت ولا يختلف باختلاف الأنبياء، فالاصول متحدة من لدن
آدم وإنما الاختلاف في بعض الفروع التي هي الشرائع والشروط ﴿إِنَّ
الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْفُوهُوا إِلِمَسَلَمَةً﴾^(١) فإن كان تغيير وتبديل فبالكيفية والترتيب.

﴿سُحُوفٍ﴾ جِدِكَ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ الخليل ﴿وَمُوسَى﴾ أخيك الكليم.

تمت السورة.

سُورَةُ الْفَاشِيَةِ

مكية، ومن قرأها حاسبه الله حساباً يسيراً،^(١) ومن أدمنها في فرائضه ونوافله غشاه الله برحمته في الدنيا والآخرة.^(٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَاشِيَةِ ①
 وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَلِيشَةٌ ②
 عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ③
 تَصَلَّى ④
 نَارًا حَامِيَةً ⑤
 تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَابِرَةٍ ⑥
 لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ⑦
 لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ⑧
 وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ⑨
 لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ⑩
 فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ⑪
 لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ⑫
 فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ⑬
 فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ⑭
 وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ⑮
 وَنَارٌ مَقْشُوفَةٌ ⑯
 وَذَرَائِبُ مَبَثُّوَةٌ ⑰
 أَفْلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ⑱
 وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ⑲
 وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ⑳
 وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ㉑
 فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ㉒
 لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ㉓
 إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ㉔
 فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ㉕
 إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ㉖
 ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ㉗

﴿الْفَاشِيَةِ﴾ المجللة للجميع، الجملة خطاب للنبي يريد أمته قيل: إن

١- مجمع البيان، ج ٣، ص ٧٧٣، و الكشاف، ج ٤، ص ٢٤٨.

٢- نواب الاعمال، ص ١٢٢، و مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٣٣.

﴿هَلْ﴾ في الآية بمعنى قد أي: قد جاءك يا محمد حديث الغاشية. قال المولى أبو السعود في «الإرشاد»: وليس بذاك بل هو استفهام ريد به التعجب^(١) إشعاراً بأنه من الأحاديث العجيبة التي حقها أن يتناقلها الرواة، والغاشية الشديدة التي تغشى الناس وهي القيامة لأنها تغشى الناس أهوالها تغشية وقيل: الغاشية نار تغشى وجوه الكفار بالعذاب كقوله: ﴿وَنَقَشَٰنَا وُجُوهُهُمُ النَّارَ﴾^(٢).

﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾ لعل وجه الابتداء بالنكرة كون تقدير الكلام: أصحاب وجوه، ولما كان الذل والخشوع يظهران في الوجه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وقيل: المراد بالوجوه الكبراء مثل قولك: جاءني وجوه بني تميم أي سادتهم وكبرائهم وعنى به وجوه الكفار لأنها تكبرت عن عبادة الله^(٣) بدلالة ما بعده من الأوصاف.

﴿عَائِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ والمعنى أن أصحاب تلك الوجوه لما لم يعملوا لله في الدنيا ولم يشتغلوا بعبادته فاعملها واتبعها في النار بمعالجة السلاسل والأغلال وقيل: يكلفون ارتقاء جبل حديد في النار قال الكلبي: يخرون على وجوههم في النار وقيل: معناه أن المراد ﴿عَائِلَةٌ﴾ في الدنيا بالمعاصي ﴿نَّاصِبَةٌ﴾ في النار بالعذاب وقيل: المراد ﴿عَائِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ في الدنيا أي: يعملون في الدنيا ويتعبون أنفسهم^(٤) على خلاف ما أمرهم مثل أرياب البدع والذين يخترعون من عند أنفسهم عبادة شاقة محرمة برأيهم الباطل من غير أن يكون فيها لله رضى. قال أبو عبد الله: المراد كل ناصب لنا بالعداوة وإن تعبد

١- انظر: تفسير أبي السعود، ج ٩، ص ١٤٨.

٢- سورة إبراهيم: ٥١.

٣- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٣٥.

٤- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٣٦، و بحار الانوار، ج ٧، ص ١٦٩.

واجتهد في عبادته يؤول أمره إلى هذا العذاب^(١).

﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ تذوق ألمها قد حميت فهي تتلظى على أعداء الله ويلتزمون الاحتراق بالنار التي في غاية الحرارة ﴿تَشَقَّى مِنْ عَيْنٍ آيِنَةٍ﴾ من عين متناهية بالغة في الآني أي الحر لتسخينها بتلك النار منذ خلقت لو وقعت قطرة منها على جبال الدنيا لذابت وإذا أدنيت من وجوههم تناثرت لحومها وإذا شربوا قطعت أمعاؤهم يقال: أنى الحميم أي انتهى حره فهو أن وبلغ هذا إناء أي غايته.

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ بعد أن بين شرابهم ذكر طعامهم والضرريح يبس الشبرق كزبرج وهو شوك يرعاه الإبل مادام رطباً وإذا يبس نحا منه وهو سم قاتل، وسمي ذلك الشوك ضريعاً لأنه مضعف ومهزل غاية يقال: ضرع الرجل ضراعة،^(٢) أي ذلّ وضعف قال ابن عباس: الضريع في جهنم شيء يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشدّ حرّاً من النار^(٣) هذا طعام بعض أهل النار والزقوم والغسلين لآخرين بحسب جزائهم وبه يرفع التعارض بين هذه الآية وبين آية ﴿الْحَاقَّةُ﴾ وهي قوله: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَلِينٍ﴾^(٤).

﴿لَا يُتَيْنُ﴾ ذلك الضريع ﴿وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ كما هو عادة طعام الدنيا روي أنه تعالى يسلّط عليهم الجوع بحيث يضطرون إلى أكل الضريع فإذا أكلوا يسلّط عليهم العطش فينظرون إلى شرب الحميم فيشوي وجوههم ويقطع أمعاؤهم وتنكير الجوع للتحقير أي من جوع ما، وكرّر النفي للتأكيد.

﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ أي: ذات بهجة وحسن وضياء مثل البدر أو متنعمة

١- المصدر السابق نفسه.

٢- مفردات غريب القرآن، للأصفهاني، ص ٢٩٥.

٣- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٣٦، و تفسير الصافي، ج ٥، ص ٣٢٠.

٤- سورة الحاقة: ٣٦.

في أنواع اللذائذ ﴿لِسْفِيهَا﴾ في الدنيا ﴿رَاضِيَةً﴾ حين أعطيت الجنة بعملها وراضية في مقابلة سعيها من الطاعات والعبادات في الدنيا فرضوا وحمدوا الله. كائنين ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ مرتفعة القصور والدرجات ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَفِيَةً﴾ أنت أيتها المخاطب أو التاء تاء التانيث لا الخطاب أي أصحاب الوجوه فيها أي: في الجنة ﴿لَفِيَةً﴾ كلمة ساقطة لا فائدة فيها أو ذات لغو كقولهم: نابل ودارع أي: ذو نبل ودرع. ﴿فِيهَا﴾ أي: في تلك الجنة ﴿عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ اسم جنس ولكل إنسان في قصره عيون كثيرة والتنوين للتكثير تجري مياهها على الدوام وهي أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل من شرب منها لا يظماً بعدها أبداً ويذهب من قلبه جميع المكاره.

﴿فِيهَا مَرْزُوقٌ﴾ يجلسون عليها روي أنه لكل واحد سبعمائة سرير على كل سرير حورية خلقها الله له ﴿مَرْزُوقَةٌ﴾ رفيعة السمك أي: عالية في الهواء على قوائم طوال فإن السمك هو الامتداد الأخذ من أسفل الشيء إلى أعلاه فيرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما أعطاه ربه من النعيم الكثير في الجنة والملك العظيم قال ﷺ: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام فإذا جاء وليّ الله ليجلس عليها طامنت له فإذا استوى عليها ارتفعت»^(١).

﴿وَأَكْوَابٌ﴾ الكوب إناء لا عروة له ولا خرطوم مدور الرأس ليمسك من أيّ طرف أريد ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ بين أيديهم حاضرة وهو لا ينافي أن يكون بعض الأقداح في أيدي الغلمان لأنّ النعم في الجنة أطوار وأقسام.

﴿وَنَمَارِقُ﴾ أي: وسائد يستندون إليها للاستراحة والتنفس في الراحة ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها إلى جنب بعض وعلى رأسه وصائف كأنهنّ الياقوت والمرجان. ﴿وَزَرَائِبُ﴾ أي: بسط فاخرة جمع زربيّ ضرب من الثياب محبّر منسوب

إلى موضع على طريق التشبيه والاستعارة ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ أي: مبسوطة على السرر
زينة وتمتعاً، وأصل البث إثارة الشيء وتفريقه.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ الهمزة للإنكار والتوبيخ والفاء
للمطف على مقدر يقتضيه المقام أي: أينكرون من البعث وأحكامه
ويستبعدون وقوعه عن قدرة الله.

أفلا ينظرون نظر اعتبار إلى الإبل التي هي نصب عينهم يستعملونها كل
حين في عظم جثتها وشدة قوتها من الأفاعيل الشاقة كالتهوض بالأوقار الثقيلة
وجرّ الأثقال الفادحة إلى الأقطار النازحة وفي صبرها على الجوع والعطش
حتى أن ظمائها ليبلغ العشر واكتفائها باليسير مع هذه الجثة العظيمة ورعيها
لكل ما تيسر من شوك وشجر ممّا لا يرعاه سائر البهائم وفي انقيادها للإنسان
في الحركة والسكون والنهوض حتى يقتادها طفل أين ما يشاء يذهب بها.

حكى أن فأرة أخذت بزمام ناقة فأخذت تجرّها وهي تتبعها حتى
دخلت حجرها فجرت الزمام فبركت الناقة فجرت فقربت الناقة فمها من
حجر الفارة. وتتأثر الإبل من المودة والغرام وتسكر منهما إلى حيث تنقطع
عن الأكل والشرب زماناً ممتداً، وتتأثر من الأصوات الحسنة والحداء وتصير
من كمال التأثر إلى أن يهلك نفسها من سرعة الجري ويجري الدمع في عينها
غراماً. وفيها من الفائدة من النسل والحمل واللبن والركوب، فبين لهم سبحانه
هذه الخلقة العجيبة النافعة ليستدلّوا بها على قدرته في ما خلق من النعمة
لأهل الجنة فلا يستبعدونها.

﴿وَإِلَى السَّمَاءِ﴾ التي تشاهدونها ﴿كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ رفعا بغير عماد ولا
مساك بحيث لا يناله الفكر والوهم.

﴿وَإِلَى الْجِبَالِ﴾ التي ينزلون في أقطارها ويتفتعون بمياهها وكلائها

وأشجارها ﴿كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ نصباً رصيناً فهي راسخة لا يمتد أوتاداً للأرض قيل: وفيه إشارة إلى عالم المثال لأنه متوسط بين سماء الروحانيات وأرض الجسمانيات.

﴿قَالَ الْأَرْضُ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ سطحاً مبسوطاً حسبما يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق ولو لا ذلك التسطح لما صح الاستقرار عليها والانتفاع منها ولو تفكروا وتدبروا فيها لعلموا أن لهم صناعاً صنعهم وموجداً أوجدهم. ولما ذكر سبحانه الأدلة أمر نبيه التذكير بها فقال: ﴿فَذَكِّرْ﴾ الفاء لترتيب الأمر بالتذكير فقال: واقتصر على التذكير ولا يمنعك أنهم لا يتذكرون ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ أي: مبلغ ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ أي: لست بمسلط تجبرهم على ما تريد كقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾^(١) وقرئ بالصاد على القلب لمناسبة الطاء بعدها أي لست عليهم بحافظ وقائم إنما الواجب عليك الإنذار، وإن كان هذا الأمر قبل نزول آية الجهاد.

﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ أي: أعرض عن الذكر ولم يقبل منك وكفر بالله وبما جنت به فكل أمره إلى الله وقيل: معناه ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ فليست له بمدكر لأنه لا يقبل منك فكأنك لست تذكره^(٢) وقيل: إن الاستثناء منقطع وهو الأظهر أي: لكن من تولى وكفر و«من» موصولة لا شرطية.

﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ الذي هو عذاب جهنم حرها شديد وقعرها بعيد ومقامع من حديد وفي الآية تنبيه على أن كل عذاب يعذب الكافر من القتل والأسر في الدنيا وفي البرزخ صغير في جنب عذاب الآخرة. ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ أي: إلينا رجوعهم بالموت والبعث لا إلى أحد

١- سورة ق: ٤٤.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٣٩.

سوانا. وفي تقديم الخبر تخصيص ومبالغة في شدة عذابهم وجمع الضمير باعتبار معنى «من» وإفراده باعتبار لفظها.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ في المحشر فنحن نحاسبهم على النقيير والقطمير.
تمت السورة بعون الله.

سُورَةُ الْفَجْرِ

مكية. روى داود بن فرقد عن الصادق عليه السلام قال: «اقرأ سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم فإنها سورة الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام من قرأها كان معه يوم القيامة»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ①
 وَبِالْإِشْرَاقِ ②
 وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ③
 وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُ ④
 هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ⑤
 أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ⑥
 إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ⑦
 الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ⑧
 وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ⑨
 وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ⑩
 الَّذِينَ طَعَنُوا فِي الْبِلَادِ ⑪
 فَآكْرَهُوا فِيهَا الْفَسَادَ ⑫
 فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ⑬
 إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ⑭
 فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ⑮
 وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ⑯
 كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ⑰
 وَلَا تَحْتَضِنُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ⑱
 وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْثَلًا لَمَّا ⑲
 وَحُجِبَتِ الرِّجَالُ حُجُبًا جَمًّا ⑳
 كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ㉑
 وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ㉒
 وَجِئَتْ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ

الْإِنْسَانُ وَأَنِّي لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٢﴾ يَقُولُ يَلِيَّتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ يَتَأَيَّنَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

المعنى: لما كان العرب أكثر خلق الله قسماً في كلامهم جاء القرآن على عاداتهم في القسم، أقسم بالفجر والفجر فجران: فجرٌ مستطيل كذنب السرحان وهو الكاذب ولا يتعلق به حكم وفجرٌ مستطيرٌ وهو الصادق الذي يتعلق به الأحكام كالصوم والصلاة.

أقسم الله بالفجر الذي هو أول وقت ظهور ضوء الشمس في جانب المشرق كما أقسم بالصبح حيث قال: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾^(١) وقيل: المراد فجر يوم عرفة لأنه يوم شريف يتوجه فيه الحجاج إلى جبل عرفات وقيل: صباح يوم النحر لأنه يوم عظيم ويقع فيه الطواف المفروض والحلق والرمي وقيل: المراد فجر ذي الحجة لأن الله قرن الأيام بها فقال: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ وهي عشر ذي الحجة وقيل: فجر أول المحرم وقيل: أراد من الفجر النهار كله^(٢).

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ يعني: العشر في ذي الحجة وقيل: المراد من ليالي العشر العشر الأواخر من شهر رمضان^(٣) ويمكن أن يكون المراد من الليالي أيامها والعرب تذكر الليالي وهي تعنيها بأيامها تقول: بني هذا البناء ليالي السامانية أي أيامهم وقيل: العشر الأواسط من شعبان وفيها ليلة البراءة والبرات والصلك^(٤) وقيل: هي ست ليال خلق الله في أيامها السماوات والأرض وليلة خلق

١- سورة التكويد: ١٨.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٤٧.

٣- تفسير البغوي، ج ٤، ص ٤٨١، و تفسير الرازي، ج ٣١، ص ١٦٣.

٤- انظر: الكشاف، ج ٣، ص ٥٠٠، و راجع: عمدة القاري، ج ٢، ص ١٧.

فيها آدم وليلة كلم الله فيها موسى وليلة أسري بالنبي ﷺ وليلة يومها يوم القيامة.

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ وأقسم سبحانه بكل عدد يكون زوجاً وفرداً والعدد لا يكون خارجاً منهما قال أبو مسلم: هو تذكير بالحساب لعظم ما فيه من النفع.

وقيل: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ كل ما خلقه الله لأن جميع الأشياء إما زوج وإما فرد.

وقيل: الشفع الخلق، لأنه قال: ﴿وَخَلَقْنَاكَ أَزْوَاجًا﴾ والوتر الله تعالى وهي رواية أبي سعيد الخدري. وقيل: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ الصلاة منها شفع ومنها وتر. وهي رواية ابن حصين عن النبي ﷺ. وقيل: الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة.

وهي رواية جابر عن النبي ﷺ. وقيل: الشفع يوم التروية والوتر يوم عرفة روي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام. وقيل: الشفع صفات المخلوقين وتضادها مثل الذل والعز والوجود والعدم والقدرة والعجز والعلم والجهل والحياة والموت، والوتر صفة الله إذ هو الموجود لا يجوز عليه العدم والقادر لا يجوز عليه العجز والعالم لا يجوز عليه الجهل والحي لا يجوز عليه الموت. وقيل: الشفع علي وفاطمة عليهما السلام والوتر رسول الله ﷺ. وقيل: الشفع الصفا والمروة والوتر البيت الحرام^(١). وقيل: كل نبي له اسمان مثل محمد وأحمد والمسيح وعيسى ويونس وذو النون هو الشفع، وكل من له اسم واحد مثل آدم ونوح وإبراهيم ومسجد مكة والمدينة هو الوتر^(٢).

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ﴾ جنس الليل إذا يمضي ويدبر ففي تيسيره على المقادير المرتبة ومجيئه بالضياء عند تقضيه دليل على أن خالقه ومدبره يختص بالعز والجلال والسري سير الليل وقيل: المراد من الليل ليلة مخصوصة من الليل^(٣)

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٤٨، ٣٤٧.

٢- تفسير الرازي، ج ٣١، ص ١٦٤.

٣- المصدر السابق نفسه، ص ١٦٥.

لا الجنس قيل: إنها المزدلفة لاختصاصها باجتماع الناس فيها بطاعة الله وفيها يسري الحاج من عرفة إلى المزدلفة ثم يصلي الغداة فيها ويغدو منها إلى منى^(١).

فإن قيل: القسم بالليل إذا يسر بناء على الجنس يعني عن القسم بليال عشر. فالجواب إن المقسم به في قوله: ﴿وَأَيْلٍ إِذَا يَتَرَّب﴾ باعتبارات وفي قوله: ﴿وَلَيْالٍ عَشْرٍ﴾ باعتبارات وخصوصيات أخرى فلا يغني أحدهما عن الآخر ويجوز أن يكون المعنى: والليل إذا يسر يعني يسري^(٢) فيه الساري ويسير فيه السائر فإسناد السري إلى الليل مجاز مثل قولك: «نهاره صائم وليله قائم»^(٣) أي صائم في نهاره وحذفت الياء اكفاء بالكسر ولسقوطها في خط المصحف ولموافقة رؤس الأي وإن كان الأصل إثباتها لأنها لام الفعل من المضارع وهو مرفوع.

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ أي: هل في ما ذكر من الأقسام مقنع لذي لب، وفي الآية تقرير لفخامة شأن المقسم بها وكونها أمورا جليلة حقيقة بالإعظام.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ جملة معترضة بين القسم وجوابه وجواب القسم محذوف تقديره ليعذبن الكفار وإنما حذف لدلالة هذه الجملة عليه أي ألم تعلم يا محمد علماً يقينياً جارياً مجرى الرؤية في الوضوح بإعلام الله وبالتواتر كيف عذب ربك عاداً ونظائرهم فسيعذب كفار قومك أيضاً. والمراد بعاد أولاد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام قوم سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم هاشماً وبنو تميم تميماً فلفظ «عاد» اسم للقبيلة المنتسبة إلى عاد وقد قيل لأوائلهم عاد الأولى ولأواخرهم عاد الأخيرة. قال عماد الدين: كل ما ورد في القرآن خبر عاد الأولى إلّا ما في سورة الأحقاف.

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٤٨.

٢- انظر: جوامع الجامع، ج ٣، ص ٧٨١.

٣- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٩٨.

﴿إِرَمَ﴾ عطف بيان لعاد للإيدان بأنهم عاد الأولى بتقدير مضاف أي: أولاد إرم أو أهل إرم بناء على أن إرم اسم بلدتهم أو أرضهم ويؤيده القراءة بالإضافة وأيا ما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث. قال سعيد بن المسيب وعكرمة: البلد كان دمشق وقال محمد بن كعب القرظي: هو مدينة إسكندرية. وقيل: مدينة بناها شداد ابن عاد فلما أتمها وأراد أن يدخلها أهلكه الله بصيحة نزلت من السماء.^(١) والأرام أعلام تبنى من الحجارة و﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ إشارة إلى أعلامها المرفوعة المزخرفة على هيئة المنارة أو على هيئة القبور.

﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ صفة لإرم واللام للجنس الشامل للقليل والكثير والعماد كالعمود والجمع عمد بفتحيتين وبضمّتين وأعمدة، أي: ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالعمود أو المراد ذات الخيام والأعمدة حيث كانوا بدويين وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع فإذا هاج النبات رجعوا إلى منازلهم أو المراد ذات البناء الرفيع وكانوا ذات أبنية مرفوعة على العمد وكانوا يعالجون الأعمدة العظيمة فينصبونها ويبنون فوقها القصور وكانت بيوتهم ترى من أرض بعيدة وذوات الأساطين وهذا على أن إرم اسم بلدتهم.

قال السهيلي: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ هو جيرون بن سعد بن إرم وهو الذي بنى مدينة دمشق على عمد من رخام أدخل فيها أربعمئة ألف وأربعين ألف عماد من رخام وكانت تسمى جيرون وبه تعرف ثم سميت دمشق بدمشق بن عمرو^(٢).
﴿أَلَيْ تَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ﴾ صفة أخرى لإرم وإذا كان اسم القبيلة فالضمير لها أي: لم يخلق مثل هذه القبيلة في عظم جثتهم في القوة في

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٤٩، و بحار الانوار، ج ١١، ص ٣٦٦.

٢- انظر: معجم البلدان، للحموي، ج ٢، ص ٤٦٣، و تاج العروس، للزبيدي، ج ١٨، ص ١٠٧.

النواحي والآفاق حيث كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم وليس كل الناس كذلك بل كان هذا الاختصاص بقبيلتهم ونظيرهم في الطيور الرخ وهو طير في جزائر الصين يكون جناحه الواحد عشرة آلاف باع يحمل حجر في رجله كالبيت العظيمة ويلقيه على السفينة في البحر وقيل: المراد من قوله: ﴿أَلَيْسَ لِمَنْ يَخْلُقُ مِثْلَهَا فِي أَلْبَانٍ﴾ أي لم يخلق مثل مدينتهم^(١) في بلاد الدنيا فالضمير راجع إلى البلدة. ومجمل قصة إرم قال وهب بن منبه: خرج عبد الله بن قلابة في طلب إبل له شردت فيينا هو في الصحاري إذ هو وقع في مدينة في تلك القلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة وأعلام طوال فلما دنا منها ظن أن فيها أحدا يسأله عن إبله فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فلما دخل الحصن فإذا هو ببايين عظيمين لم ير مثلهما والبابان مرصعان بالياقوت الأبيض والأحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح إحدى البابين وإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها وإذا هو قصور وكل قصر فوقه غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت. ثم نظر إلى الأزقة فإذا هو بشجر في كل زقاق منها قد أثمرت وتحت الأشجار أنهار مطردة تجري ماؤها في مجاري من فضة فقال الرجل: والذي بعث محمداً بالحق ما خلق الله مثل هذه في الدنيا وإن هذه هي الجنة الموعودة فحمل معه شيئاً من لؤلؤها ومن بنادق المسك والزعفران ولم يستطع أن يقلع من جواهرها أصلاً لرصاصة بنائها. وخرج ورجع إلى اليمن فأظهر ما كان معه وعلم الناس بأمره فلم يزل ينمو حتى بلغ خبره إلى معاوية؛ فأرسل في طلبه حتى قدم عليه، فقصر عليه القصة^(١).

١- زادالمسير، لابن الجوزي، ج ٨، ص ٢٤٢.

١- انظر: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٤٩.

﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ وكيف فعل بشمود الذين قطعوا الصخر ونقبوها بالوادي الذي كانوا نازلين فيه. الجوب القطع، ومنه سمي الحبيب. والصخر الحجر الصليب الشديد. والواد أصله الوادي حذف ياءه اكتفاء بالكسرة ورعاية لرأس الآي والمراد بالواد وادي القرى بالقرب من المدينة الشريفة من جهة الشام وأنهم أول من نحت الصخور والجبال واتخذوا فيها لهم بيوتاً. ﴿وَفِرْعَوْنَ﴾ أي: كيف فعل بفرعون موسى وهو الوليد بن مصعب بن ريان ابن ثروان أبو العباس القبطي وإليه تنسب الأقداح العباسية ﴿ذِي الْأَوْتَادِ﴾ وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامه التي يضربونها في منازلهم ويربطونها بالأوتاد والأطناب أو لتعذيبه بالأوتاد.

روي عن ابن عباس أن فرعون إنما سمي ذا الأوتاد لأن امرأة خازن خزيبيل كانت ماشطة هيجل بنت فرعون وكان خزيبيل مؤمناً يكتنم إيمانه منذ مائة سنة وكذا امرأته فيينا هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت: تعس من كفر بالله تعالى فقالت ابنة فرعون: وهل لك إله غير أبي؟ فقالت: إلهي وإله أبيك وإله السماوات والأرض واحد لا شريك له، فقامت ودخلت على أبيها وهي تبكي فقال: ما يبكيك؟ قالت: إن الماشطة امرأة خازنك كذا تقول، فأرسل إليها فسألها عن ذلك فقالت: صدقت فقال لها: ويحك اكفري باللهك قالت: لا أفعل فمدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب وقال لها: اكفري بالله وإلا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت: لو عذبتني سبعين شهراً ما كفرت به وكانت لها ابتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها عندها وقال لها: اكفري باللهك وإلا ذبحت الصغرى أيضاً وكانت رضيعاً فقالت: لو ذبحت من في الأرض ما كفرت بالله تعالى فأتى بابنتها فلما أضجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة فأطلق

اللَّهِ لِسَانِ ابْتِهَا فَتَكَلَّمَتْ وَهِيَ مِنَ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا أَطْفَالًا وَقَالَتْ: يَا أُمَّاهِ لَا تَجْزِعِي فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ بَنَى لَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ اصْبِرِي فَإِنَّكَ تَفْضِينِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ فَذُبِحَتْ فَلَمْ تَلْبِثْ أَنْ مَاتَتْ فَأَسْكَنَهَا اللَّهُ إِلَى جِوَارِ رَحْمَتِهِ.

وكان فرعون قد تزوج امرأة من أجمل نساء بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم؛ فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت في نفسها: كيف يسعني أن أصبر على ما يفعل فرعون وأنا مسلمة وهو كافر، فبينما هي تؤامر نفسها إذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت: يا فرعون أنت شرّ الخلق وأخبثهم عمدت إلى الماشطة فقتلتها قال فرعون: فلعلك بك الجنون الذي كان بها قالت: ما بي من جنون وإنما المجنون من يكفر بالله الذي له ملك السماوات والأرض فمدتها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا إلى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت: ﴿رَبِّ آتِنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِحَبْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِيهِ﴾^(١) فقبض الله روحها وأسكنها الجنة^(٢).

﴿الَّذِينَ طَفَّوْا فِي الْأَلْبَانِ﴾ أي: عاداً وشمود وفرعون تجبروا في البلاد على أنبياء الله وعملوا فيها بمعصية الله ﴿فَاكْتَرُوا فِيهَا﴾ في البلاد ﴿الْفَسَادَ﴾ من القتل والمعصية.

ثم بين ما فعله بهم عاجلاً قال: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ السوط الجلد المفتول الذي يضرب به وهو عبارة عما حلّ بهم من فنون العذاب وهي الريح لعاد والصيحة لشمود والغرق للقبط وتسميته سوطاً للإشارة إلى أن ذلك بالنسبة إلى ما أعد لهم في الآخرة بمنزلة السوط.

قال أبو حيان: استعير السوط للعذاب لأنه يقتضي التكرار والترداد ما لا

١- سورة التحريم: ١١.

٢- انظر: تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ١٩٨ و ١٩٩.

يقتضيه السيف^(١)، والسوط عند العرب أشدّ العذاب لأنّ فيه الذلّة والتعبير عن إنزال العذاب بالصبّ للإيدان باستمراره وتتابعه وكثرته ونسبة العذاب إلى السوط^(٢) وبالصبّ لبيان التتابع المتدارك على المضروب بقطرات المصبوب.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ المرصاد المكان الذي يترقب فيه الراصدون مفعال من رصده كالميقات من وقته، والباء للظرفيّة، إنّه لفي المكان الذي تعبر فيه السابلة وليس مصيرهم إلّا إلى الله، شبه سبحانه ترقبه على أعمالهم بحال من قصد على طريق القافلة يترصدّهم ليظفر بالجاني لأخذ المكس^(٣) ولا مخلص لهم من العبور إلّا إلى ذلك الطريق. وعن الصادق عليه السلام أنّه قال: «المرصاد فنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة عبد». وروي عن ابن عباس في هذه الآية قال: (إنّ على جسر جهنّم سبع محابس يسأل العبد عندها أولها عن شهادة أن لا إله إلّا الله فإنّ جاء بها تامّة جاز إلى الثاني فيسأل عن الصلاة، فإنّ جاء بها تامّة جاز إلى الثالث فيسأل عن الزكاة، فإنّ جاء بها تامّة جاز إلى الرابعة فيسأل عن الصوم، فإنّ جاء به تامّاً جاز إلى الخامس فيسأل عن الحجّ فإنّ جاء به تامّاً جاز إلى السادس فيسأل عن العمرة، فإنّ جاء بها تامّة جاز إلى السابع فيسأل عن المظالم، فإنّ خرج منها وإلّا يقال له: انظروا فإن كان له تطوّع أكمل به أعماله فإذا فرغ انطلق به إلى الجنّة وإلّا تردى).

ثمّ قسم سبحانه أحوال البشر فقال: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾^(١) أي: عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ وأعطاه النعمة ﴿فَيَقُولُ﴾ مفتخراً: ﴿رَبِّيَ أَكْرَمَنِ﴾ فيفرح بذلك ويسرّ ويقول: ربّي أعطاني هذا

١- التسهيل لعلوم التنزيل، للفرناطي، ج ٤، ص ١٩٧.

٢- تفسير أبي السعود، ج ٩، ص ١٥٥.

٣- أي: مال التجارة.

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٥٢، ٣٥١.

لكرامتي عنده ومنزلتي لديه يحسب أنه كريم على ربه حيث وسع الدنيا عليه^(١).
 ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ وامتحنه وجعل رزقه على قدر
 كفايته أو قوت يومه ﴿فَيَقُولُ﴾ متصجراً: ﴿رَبِّي أَهْنَنِي﴾ أي: أذلني بالفقر ولا
 يخطر ببالي أن ذلك ليلوه أيصبر أم يجزع مع أنه ليس من الإهانة في شيء بل
 هو مصلحة راجعة إلى العبد.

فقال سبحانه: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما ظن فإني لا اغني المرء
 لكرامته علي ولا أفقره لمهانتة عندي ولكني أوسع على من أشاء بحسب ما
 يوجهه الحكمة وإنما الإكرام على الحقيقة يكون بالطاعة والإهانة بالمعصية.
 ثم بين سبحانه ما يستحق به الهوان فقال: ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾
 انتقال من سوء أقواله إلى سوء أفعاله أي: بل لكم أحوال أشد شراً مما ذكر
 وأدل على تهالككم حيث أعطاكم الله المال فلا تؤذون ما يلزمكم فيه من
 إكرام اليتيم بالنفقة، واليتيم من بني آدم الذي فقد أباه وكان غير بالغ ومن
 البهائم ما فقد أمه قال ﷺ: «أحب البيوت إلى الله بيت فيه يقيم مكرم»^(٢).

﴿وَلَا تَحْضُرُوا عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ بحذف إحدى التاءين والحض
 الحث أي: لا تحضون على إطعامه ولا تأمرون بالتصدق عليه ومن لا يحض
 غيره على إطعامه فبأن لا يطعمه بنفسه أولى، فالمعنى أن لا تطعمون مسكيناً
 ولا تأمرون بإطعامه غيركم. ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ قال مقاتل:
 كان قدامة بن مظعون يتيماً في حجر أمية بن خلف فكان يدفعه عن حقه
 فنزلت^(٣). والتراث أصله «وراث» قلبت واوه تاء مثل تجاه أصله وجاه، أي

١- المصدر السابق نفسه.

٢- المعجم الكبير، للطبراني، ج ١٢، ص ٢٩٦، وكنز العمال، ج ٣، ص ١٧٤

٣- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٥٢، و تفسير الرازي، ج ٣١، ص ١٧٢.

تأكلون الميراث أكلاً مجموعاً بين الحلال والحرام فإنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم أو المعنى أنهم يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام ومشتبه عالمين بذلك ولا يباليون وقيل: المراد أموال اليتامى ولم يرد الميراث الحلال لأنه لا يلام عليه، وأكلاً لَمَّا يَعْنِي: تَلْمُونَ جميعه نصيبكم ونصيب غيركم وتأكلونه.

﴿وَتَحْبُوتُ أَلْمَالُ حُبًّا جَمًّا﴾ كثيراً مع حرص وشره ومنع حقوق يقال: جمّ الماء في الحوض إذا اجتمع فيه وكثر.

﴿كَلًّا﴾ ردع وإنكار أن يكون الأمر كذلك في الحرص على الدنيا وعدم المبالاة في الحرام وترك المواساة منها وتوهم أن لا حساب ولا جزاء وإيثار الحياة الفانية على الحياة الدائمة ﴿إِذَا دَكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ تعليل للردع «الدك» الدق والكسر وحط المرتفع بالبسط، ودكاً الثاني ليس تأكيداً للأوّل بل هو دك آخر سوى الأوّل والمعنى: إذا دكت الأرض دكاً متتابعاً وضرب بعضها ببعض حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها وزلزلت زلزلة بعد زلزلة وصارت هباءً مثوراً وهو عبارة عما عرض لها عند النفحة الثانية.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: أمر ربك وأثار قهره وقضاؤه، على حذف المضاف وقال بعض المحققين: المعنى وجاء ظهور ربك الظهور المعرفة به ضرورة وظهور المعرفة بالشيء يقوم مقام ظهوره ورؤيته لأن المعارف بالله صار ذلك اليوم ضرورية ويرتفع الشك كما يرتفع عند مجيء الشيء الذي كان يشك فيه، جلّ وتقدّس عن المجيء والذهاب لأنه ليس بجسم تعالى عن ذلك^(١).

﴿وَأَلْمَلِكُ صَفًّا صَفًّا﴾ أي: يجيء الملائكة حال كونهم مصطفين فإنه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون سبع صفوف عدد السماوات السبع

اصطفاف أهل الصلاة في الدنيا. ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ قال ابن مسعود: تقاد جهنم بسبعين ألف زمام معه سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب على يسار العرش لها تغيظ وزفير فتشرد شرده لو تركت لأحرقت أهل الجمع ويجثو كل نبي وولي من الهول والهيبة على ركبته ويقول: نفسي نفسي حتى يعترض لها رسول الله ﷺ ويقول: «أمتي أمتي». فتقول النار: مالي ومالك يا محمد؟ لقد حرم الله لحملك علي^(١).

وتأول بعض المتأولين بأن المراد من مجيء جهنم عبارة عن إظهارها حتى يراها الخلق مع ثباتها في مكانها وحملوا الجرح في الحديث في قوله: «يجرونها حتى تنصب» مباشرة أسباب ظهورها، أو المراد بمجيء جهنم مجيء صورتها المثالية وهذا القول منهم ليس بصحيح ولا حاجة إلى الحمل في الكلام على التجوز فإن الله قادر على كل شيء وليس هذا الأمر ببدع في مقام القدرة، والأرض يومئذ أوسع شيء فهي تسع جهنم وأهل المحشر جميعاً فما الداعي إلى حمل معنى المجيء بصورتها المثالية.

﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ﴾ بدل من «إذا دكت» والعامل فيها قوله: ﴿يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ﴾ أي: يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله فيبرز كل من الحسنات والسيئات مما يناسبها، والأعمال تتجسم في النشأة الآخرة ويقبل التذكير ويتعظ الذي بلغه في الدنيا وما كان يتعظ منه ولم يقبله فيقول: ﴿بَلَّغْنَا نَرَةً وَلَا نَكُذِبُ كَذِبَ كَابِتٍ رَبَّنَا﴾^(١) ولكن لا فائدة هناك من القبول والتذكر.

﴿وَأَنَّ لَهُ الذِّكْرَى﴾ إنكار لفائدة تذكره لأنه وقع في وقت لا ينفعه وفات زمانه فحينئذ هذا التذكر والندم عار عن الجدوى و«أنى» خبر مقدم

١- انظر: تفسير القرطبي، ج ٢٠، ص ٥٥.

١- سورة الأنعام: ٢٧.

لذكرى أي: ومن أين له الذكرى ونفعه.

﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي﴾ أي: يا أيها الحاضرون ليتني ﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ كأنه قيل: ماذا يقول عند تذكره؟ فقيل يقول: يا ليتني عملت لأجل حياتي هذه أعمالاً صالحة أنتفع بها اليوم وقدمت عملاً ينجيني من العذاب.

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم إذ يكون ما ذكر من الأحوال ﴿لَا يَعْذِبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ الهاء في ﴿عَذَابَهُ﴾ راجع إلى الله والعذاب بمعنى التعذيب وكذا الوثاق بالفتح بمعنى الإيثاق وهو الشد بالوثاق والوثاق ما يشد به من الحديد والحبل ونحوه والمعنى لا يتولى عذاب الله ووثاقه أحد سواء إذ الأمر كله له ويجوز أن يكون الهاء للإنسان أي لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقراهما الكسائي ويعقوب على البناء للمفعول قال الزمخشري: هي قراءة رسول الله ﷺ^(١).

وبالجملة قال بعض أهل التفسير: معنى الآية لا يعذب عذاب الله ولا يوثق إيثاق الله أحد من الخلق^(٢) وأما القراءة بفتح العين في «يعذب ويوثق» فالمعنى لا يعذب أحد من عصاة المؤمنين تعذيب هذا الكافر وهو الذي ذكر في قوله: ﴿لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾^(٣) الآيات، وعلى هذا المعنى وإن أطلق لكن الأولى أن يكون المراد التقييد لأننا لا نعلم أن إبليس أشد عذاباً منه وقيل: معنى الآية إنه لا يعذب أحد غيره بعذابه لأنه المستحق بعذاب نفسه ولا يؤاخذ الله أحداً بكسب غيره^(٤).

﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ لما ذكر سبحانه شقاوة النفس الأمارة شرع في

١- الكشاف، ج ٢، ص ٢٢٣.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٥٥.

٣- سورة الفجر: ١٧.

٤- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٥٥.

بيان أحوال النفس المطمئنة واطمينان السكون والوصول إلى اليقين والمعرفة وفي قوله: ﴿أَلَا يَذُكَّرُ أَلَّا تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١) تنبيه على أن الإكثار من العبادة من موجبات اطمينان النفس ومن كان متمكناً في مقام الترقى تخلص من التنزل إلى مقام النفس الأمارة وتخلّى عن صفاتها الذميمة وتخلّى بالأخلاق الحميدة.

﴿أَرْجِيهِ إِنْ رَزَقَكَ﴾ وإلى ما وعد لك من الزلفى والكرامة ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَةً﴾ بما أوتيت من النعيم الدائم مرضية عند الله ﴿فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ في زمرة الصالحين المختصين بي ﴿وَأَدْخُلِي جَنَّاتٍ﴾ معهم، والدخول في زمرة الخواص هي السعادة الروحانية.
تمت السورة بعون الله.

سورة البقرة

مكية. قال رسول الله ﷺ: «من قرأها أعطاه الله الأمن من غضبه يوم القيامة»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ① وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ② وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ④ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ⑤ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ⑥ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ⑦ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ⑧ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ⑨ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ⑩ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ⑪ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ⑫ فَكُ رَقَبَةً ⑬ أَوْ إِطْعَمَهُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ ⑭ يَبِينَا ذَا مَقْرَبَةٍ ⑮ أَوْ مَشْرِكِنَا ذَا مَقْرَبَةٍ ⑯ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ⑰ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمُنَنَةِ ⑱ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا بِنَابِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ⑲ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ⑳

أجمع المفسرون على أن هذا قسمٌ بالبلدة الحرام الذي هو مكة و«لا» لتأكيد القسم كقول العرب: لا والله ما فعلت كذا، لا والله لأفعلن كذا، وأقسم سبحانه بمكة لفضلها فإنه جعلها حراماً آمناً وهي مسقط رأس النبي ﷺ

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٥٧، و الكشاف، ج ٤، ص ٢٥٧.

وحرّم أبيه إبراهيم ومنشأ أبيه إسماعيل وقبلة لأهل الشرق والغرب، وحجّ البيت كفارة لذنوب العمر وجعل البيت المعمور بإزائه.

﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ وأنت خطاب للنبي ﷺ والحلّ بمعنى الحال من الحلول وهو النزول أي والحال أنك يا محمد نازل بها فبدأ سبحانه قسمه عليه بحلوله ﷺ فيها إظهاراً لمزيد فضلها فإنها بعد أن كانت شريفة بنفسها زاد شرفها بحلول النبي الشريف فيها فما لا شرف فيه يحصل له شرف بشرف المكين وما فيه شرف ذاتي يحصل له بشرف شرف زائد وقد سمى ﷺ المدينة طابة لأنها طابت به وبمكانه.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ والمراد من الوالد إبراهيم وما ولد إسماعيل أو محمد ﷺ فحينئذ تتضمن السورة القسم بالنبي ﷺ في موضعين أو المراد آدم وذريته وقيل: «الوالد» هو النبي ﷺ ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ أمته المرحومة لقوله ﷺ: «إنما أنا لكم مع الوالد أعلمكم أمر دينكم وما يصلح شأنكم»، ولقوله ﷺ: «أنا ووليّ أبوا هذه الأمة»^(١) وأمومية الأزواج المطهرة تقتضي أبوته ﷺ إذ كل من كان سبباً لإيجاد شيء أو ظهوره يسمى أباً وقد قال ﷺ: «أنا من الله والمؤمنون من فيض نوري»^(٢) وقيل: يعني بالآية كل والد وولده وقيل: يعني ووالد من يولد له يعني: العاقر^(٣) فيكون «ما» نافية والتقدير وما ولد فحذف ماء الأولى التي تكون موصولة.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي: نصب وشدة وقوله: ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ جواب للقسم ومن هذا المعنى اشتقت المكابدة بمعنى مقاساة الشدة و﴿فِي كَبَدٍ﴾

١- أمالي، للصدوق، ص ٧٥٥، ومعاني الأخبار، للصدوق، ص ٥٢، و مناقب آل أبي طالب، ج ٢، ص ٣٠٠.

٢- انظر: نفحات الأزهار، للميلاني، ج ٥، ص ٢٩١.

٣- انظر: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٦٢.

حال من الإنسان بمعنى «مكابداً» وحرف في وألام متقاربان تقول: إنما أنت للعناء والنصب وإنما أنت في العناء والنصب فابن آدم يكابد من البلياء ما لا يكابده غيره من مصائب الدنيا وشدائد الآخرة، والكبد في اللغة شدة الأمر ومنه تكبد اللبن إذا غلظ واشتد ومنه الكبد لأنه دم يغلظ ويشتد وتكبد الدم إذا صار كالكبد.

وبالجملة فالإنسان يقاسي فنون الشدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقة ومنتهاه الموت وأول ما يتولد فهو في النصب والعناء من قطع سرته والتفافه بخرقة يحتوي الأعضاء وألم الختان ومكابدة المعلم وصولته والأستاذ وهيئته ثم التزوج ومكابدته للمعاش والأولاد والمنزل والنزل والكبر والهرم ومصائب كثيرة لا يمكن تعدادها كالصداع والأوجاع والأضراس ورقدة العين وهمم الدين وشدائد التكاليف كالشكر على السراء والصبر على الضراء وأداء العبادات كالصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد ثم شدة الموت وسؤال الملك وظلمة القبر والبعث والعرض على الملك المحاسب بل لا يرى في عمره لذة في الدنيا وما يحسبه اللذة فهو دفع ألم فاللذة من الأكل هي التخلص من الجوع وهكذا فليس للإنسان إلّا الشدة أو التخلص من الشدة.

وقيل: معنى الآية «خلق الإنسان في كبد» أي: قائماً مستويّاً متصباً وغيره من الحيوان مكباً يمشي فالكبد المراد منه الاستقامة والاستواء. وفي الآية تسلية لرسول الله بما يقاسي من كفار قريش وتنبية على أن الإنسان ينبغي له أن يعلم أن الدنيا دار كبد ومشقة والآخرة دار النعمة والراحة فيسعى لآخرته.

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ أي: أيظن هذا الإنسان أن لن يقدر على عقابه إذا عصى الله وركب القبائح، فبش الظن ذلك أو يحسب هذا المغتر بما له مثل الوليد بن المغيرة وأمثاله أن لن يقدر عليه أحد بأخذ ماله أولاً

يحاسب عليه من أين اكتسبه وفي ماذا أنفقه قيل: المراد الأشد بن كلدة وهو رجل من جمح كان قوياً شديداً الخلق بحيث يجلس على أديم عكاظي فتجره العشرة من تحته فينقطع الأديم ولا يبرح من مكانه.

ثم أخبر سبحانه عن مقالة هذا الإنسان ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ أي: كثيراً متلبداً مجموعاً من تلبد الشيء إذا اجتمع يريد كثرة ما أنفقه مفاخرة وسُمتة وكان أهل الجاهلية يسمون مثل ذلك مكارم. وفي لفظ الإهلاك إشارة إلى أنه ضائع في الحقيقة إذ لا ينتفع به صاحبه في الآخرة كما قالت عائشة في حق عبد الله بن جذعان: كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «لا ينفعه لأنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»^(١). وقيل: المراد في الآية هو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وذلك أنه أذنب ذنباً فاستفتى رسول الله ﷺ فأمره أن يكفر؛ فقال: لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد، عن مقاتل^(٢).

﴿أَيَحْسَبُ﴾ ذلك الأحمق ﴿أَنْ لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ فيطالبه من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وكان بعض المشركين يصرفون أموالاً في عداوة رسول الله ﷺ أي: إن الله رآه وأطلع على خبث نيته وفساد سريرته ومثل هذا الإنفاق رذيلة فكيف يعدّه فضيلة. في الحديث عن النبي ﷺ: «لا تزول قدما العبد حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين جمعه وفي ماذا أنفقه وعن علمه ما ذا عمل به وعن حتنا أهل البيت»^(٣).

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ يبصر بهما آثار قدرته وحكمته ويفرق بهما بين ما

١- تفسير القرطبي، ج ٨، ص ١٦١، وجامع البيان، للطبري، ج ٣٠، ص ٣٤١.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٦٢.

٣- المصدر السابق نفسه.

يضرّ وما ينفع ولعلّ المراد من العينين عين البصر وعين البصيرة، والعين تحرس البدن من الآفات وهي نيرة كالمرآة إذا قابلها شيء ارتسمت صورته فيها مع صغر الناظر وجعل لها أجفاناً يسترها وأهداباً من الشعر كجناح الطائر تطرد بانضمامها وبانفتاحها الهوامّ والذباب والموزيات عن العين وجعل العين في الرأس لأنّ السراج يوضع على مكان مرتفع وجعلها ثنتين كالشمس والقمر وجعل فوقهما حاجبين أسودين لئلا يتضرّر البصر بالضياء والسواد يقوي البصر ولذا يقوي الإثمد البصر وجعل الحدقة محرّكة في مكانها لتتحرك في الجهات يمّنة ويسرة فيبصر بها من غير أن يلوي عنقه وجعل الناظرين على خطّ مستقيم عرضاً ولم يقع واحد منهما أعلى ولا أخفض ليتجمّع الناظران على شيء واحد لئلا يتراءى له الشخص الواحد شخصين.

﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ وجعل بحكمته له لساناً يترجم به عن ضمائره وبه تنعقد الأمور كالشهادات والمعاملات وبه يدرك الطعوم ولو لم يكن اللسان لاحتاج إلى الإشاره أو الكتابة فيتعسر الأمر ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ ليستعين بهما على البيان وعلى الإطباق إذا أراد السكوت والأكل والشرب والنفخ وفي الدعاء: الحمد لله الذي جعلنا نطق بلحم ونبصر بشحم ونسمع بعظم، وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ابْنِ آدَمَ إِنْ نَازَعَكَ لِسَانَكَ فِيمَا حَرَمْتُ عَلَيْكَ قَدْ أَصْنَعْتَكَ بِطَبَقَتَيْنِ فَاطْبِقْ وَإِنْ نَازَعَكَ فَرْجَكَ إِلَى بَعْضِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ قَدْ أَصْنَعْتَكَ عَلَيْهِ بِطَبَقَتَيْنِ فَاطْبِقْ فَرْجَكَ إِلَى مَا حَرَمْتُ عَلَيْكَ قَدْ أَصْنَعْتَكَ بِطَبَقَتَيْنِ فَاطْبِقْ»^(١).

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ معطوف على ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ﴾ أي: وهديناه طريقَي الخير والشرّ كما قال ﷺ: «هُمَا النَّجْدَانِ نَجْدُ الْخَيْرِ وَنَجْدُ الشَّرِّ فَلَا يَكُنْ نَجْدُ الشَّرِّ

أحب إليكم من نجد الخير»^(١). وقيل: المراد من النجدين الثديين لأنهما ظريفان مرتفعان لنزول اللبن وهما سبيان لحياة المولود وتمكين مولود عاجز من رضاع أمه عقيب الولادة قدرة جلية لكنه قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: «إن ناساً يقولون: في الآية إنهما العديان». فقال: «لا، هما الخير والشر».

فإن قيل: كيف يكون نجد الشر مرتفعاً كنجد الخير ولا رفعة للشر فالجواب أنهما باديان وظاهران على أن عادة العرب وأهل اللسان في تثنية الأمرين إذا اشتركا على بعض الوجوه فيجري لفظ أحدهما على الآخر كقولهم «القمران». قال الفرزدق:

أخذنا بأفاق السماء عليكم لنا قمرها والنجوم الطوالع

﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ﴾ الاقتحام الدخول في أمر شديد ومجاوزته بصعوبة والرمي فيه بنفسه فجاءة بلا روية، والعقبة الطريق الوعر في الجبل أي: لم يشكر الإنسان تلك النعم الجليلة بالأعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة لصعوبة سلوكها وهذا أحد الأقوال فحينئذ «لا» بمعنى «لم» وقيل: الآية على وجه الدعاء عليه أي: لا نجا ولا سلم من العقبة ولا جاوزها، والقول الثالث أن المعنى هنا اقتحم العقبة وقيل: هذا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والشيطان فجعل ذلك كتكليف صعود العقبة الشاقة كأنه قال: لم لم يتحمل على نفسه المشقة بإيجاب التكليف مثل عتق الرقبة والإطعام^(٢).

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ أي: أي شيء أعلمك يا محمد ما اقتحام العقبة ثم ذكره فقال: ﴿فَكَرَّ رِقَبًا﴾ وهو تخليصها من إيسار الرق والرقبة اسم العضو المخصوص ويعبر بها عن الجملة كما يعبر بالرأس عن المركوب والفك ليس

١- جامع البيان، ج ٣٠، ص ٢٥١.

٢- انظر: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٦٤، وانظر: غريب القرآن، للطريحي، ص ١١٤.

تفسيراً لنفس العقبة بل لا قتحامها لأن العقبة عين والفك حدث وفعل فلا يكون تفسيراً للآخر الخبر حيثذ يكون عين المبتداء وهو لا يجوز ثم فك الرقبة قد يكون بأن ينفرد لرجل في عتق الرقبة وقد يكون بعين في تخليص نفس من قود أو غرم وكله يشمل لفك دون الإعتاق، ويجوز أن يكون المراد بفك الرقبة أن يفك المرء رقبة نفسه من عذاب الله ويتخلص بالأعمال الصالحة من النار وهي الحرية. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَرُودَةٌ لَا يَجُوزُهَا الْمَقْلُونَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَخْفَ عَنْكُمْ لَتَلِكِ الْعَقَبَةِ»^(١). قال ابن عباس: العقبة هي النار^(٢).

وقيل: إنها الصراط يضرب على جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سهلاً وصعوداً وهبوطاً وإن بجنيبه كلاب وخطاطيف كأنها شوك السعدان فمن بين سالم وناج ومخدوش ومكدوش عليه ومنكوس في النار فمن الناس من عبر كالبرق الخاطف ومنهم من عبر عليه كالريح العاصف ومنهم من عبر عليه كالفارس ومنهم كالراجل يعدو ومنهم من يسير ومنهم من يزحف زحفاً ومنهم من يكردس في النار ومنهم كما بين صلاة العصر إلى العشاء^(٣). جاء في الحديث أنه جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: علّمني عملاً يدخلني الجنة. قال ﷺ: «عتق النسمة وفك الرقبة». قال الأعرابي: لو ليس عتق النسمة وفك الرقبة واحدة؟ قال ﷺ: عتق النسمة أن تتفرد بمعقها وفك الرقبة أن تعين بمعقها والفيء على ذي الرحم الظالم، فإن لم يكن ذلك فأطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من خير^(٤).

﴿أَوْ إِطْعَمَهُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي: ذي مجاعة ومسغبة بتقديم الغين

١- الأربعين البلدانية، لابن عساکر، ص ١٠٣، و مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٦٥.

٢- الأمالي، للسيد المرتضي، ج ٤، ص ٢٠٠، و مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٦٥.

٣- الأمالي، للسيد المرتضي، ج ٤، ص ٢٠٠، و تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ٢١٠.

٤- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٦٥، و تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ٢١١.

على الباء وعقربة مصدر ميميّ وقيد الإطعام بيوم المجاعة لأن إخراج المال في ذلك الوقت أوجب للأجر وأثقل على النفس وأنفع الناس ﴿يَنِيحًا﴾ مفعول إطعام ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ من قرابة النسب ويمكن أن يلحق به قرب الجوار ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَقْرَبٍ﴾ أي: صاحب فقر كأنه لصق بالتراب من ضرة وفقره ماواه المقابر والمزابيل وقيل: معناه الغريب أي البعيد التربة ليس من أهل أرضك.

﴿ثُمَّ كَانَ﴾ هذا المطعم والمعتق ﴿مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: بشرط أن يكون المعتق والمنفق من المؤمنين بالله وبرسوله لا من الذين يهلك ما له رياءً وفخاراً وسمعة ولم يؤمن بالله وإلا فيكون مثله كمثل ربح فيها صرّ أصابت حرث قوم، بل يكون من الذين استقاموا على إيمانهم ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على مشقة أداء فرائض الله والصبر عن معصية الله ﴿وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾ وأوصى بعضهم بعضاً على أهل الفقر وذوي الفاقة من المؤمنين.

﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بالنعوت الجليلة، وفي اسم الإشارة دلالة على حضورهم عند الله في مقام الكرامة ﴿أَنصَبُ الْيَتْمَٰنِ﴾ ويعطون كتبهم بإيمانهم والصلحاء ميامين بضاعتهم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ وحججنا وأنبئنا وكتابتنا ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ﴾ وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ومن وراء ظهورهم ويسلك بهم شمالاً إلى النار أو أصحاب الشؤم والشر والشقاوة.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ أي: نار أبوابها مغلقة فلا يفتح لهم باب فلا يخرج منها ولا يدخل فيها روح أبد الآباد، أي: موصدة الأبواب من أوصدت الباب إذا أطبقته من المعتل الفاء، ومن قرأ ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ بالهمزة من أصدته بالمد من المهموز مثل آمن إذا أطبقته وأحكمته.

تمت السورة بعون الله.

سورة الشرح

مكية. قال النبي ﷺ: «من قرأها كان كمن تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر». قال أبو عبد الله: «من أكر قراءة الشمس وسورة الليل وسورة الضحى وألم نشرح في يومه وليلته لم يبق شيء بحضرته إلا شهد له يوم القيامة حتى شعره ولحمه ودمه وعروقه وعظامه وجميع ما ألفت الأرض منه، ويقول الرب: قبلت شهادتكم لعبدى وأجزتها له، انطلقوا به إلى جناتي حتى يعخير منها حيما أحب فأصطوه إياها رحمة وفضلاً مني عليه فهبتاً هبتاً لعبدى»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَنُجُومُهَا ① وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ② وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ③ وَاللَّيْلُ إِذَا
يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَّهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا
⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّاهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَنْ
دَسَّاهَا ⑩ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ⑪ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ⑫ فَقَالَ لَهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ⑬ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ
رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ⑭ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ⑮

أقسم سبحانه بالشمس ولما كان قوام العالم من الحيوان والنبات بطلوع

الشمس وغروبها أقسم بها وبضحائها وهو امتداد ضوئها وانبساط نورها ووقت إشراق الضوء، والضحي والضحوه مشتقان من الضحّ وهو نشر النور فيجوز بهذا الاعتبار أن يكون هو النهار كله.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا ظَلَمَهَا﴾ من التلو أي: إذا تبعها بأن طلع بعد غروبها وذلك في النصف الأول من الشهر.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَمَهَا﴾ أي: جلى الظلمة وكشفها وجازت الكناية عن الظلمة وإن لم تذكر لأن المعنى معروف وغير ملتبس أو الضمير إلى الشمس أي إن النهار أظهر الشمس فإنها تتجلى عند انبساط النهار فكأنه جلاها مع أن الشمس تبسطها ولما كان الجلاء واقعا في النهار أسند فعل التجلية إليه إسناداً مجازياً مثل: «نهاره صائم».

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ هو ظل الأرض الحائلة بين الشمس أي: يغشى الشمس حتى تغيب فتظلم الآفاق ويلبسها سواده ويغطي الليل ضوء الشمس، ولما كان احتجاب الشمس بحلولة الأرض بيننا وبينها واقعا في الليل صار الليل كأنه حجبها وغشاها فأسند التغطية إلى الليل لذلك، والواو الأولى في قوله: ﴿وَالشَّمْسِ﴾ هي التي للقسم وسائر الواوات في ما بعدها عطف عليها إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ وهو جواب القسم واختيار صيغة المضارع هنا على الماضي للدلالة على أنه لا تجري عليه تعالى زمان فالمستقبل عنده كالماضي ولمراعاة الفواصل فلا يلزم تعدد القسم مع وحدة الجواب إذا كانت الواوات عاطفة.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ أي: ومن بناها في غاية العلوّ والعظمة وهو الله وإيثار «ما» على «من» لإرادة الوصفية تعجيباً كأنه قيل: والقادر العظيم الذي بناها وكذا القول في ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَرَقَهَا﴾ ولكن الأظهر أن «ما» مصدرية

ومعناها والسماء وبنائها والأرض وطحوها أي: تسطيحها وبسطها ليتمكن الخلق التصرف فيها والانتفاع منها والطحو الدحو، وإبدال الطاء من الدال جائز.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا﴾ أي: ومن أنشأها وأبدعها مستعدة لكمالاتها أو المعنى ونفس وتسويتها، بناءً على أن «ما» مصدرية والتنكير للتكثير أو للتفخيم على أن المراد نفس آدم عليه السلام ولكن التكثير أنسب من أن يكون للتعظيم.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ الفاء للتعقيب والإلهام إلقاء الشيء من الروح والخاطر والتهام الشيء ابتلاعه، والفجور شقّ ستر الديانة، قدّم على التقوى لمراعاة الفواصل أو لشدة الاهتمام بنفيه لأنه إذا انتفى الفجور وجدت التقوى والمعنى أفهم النفس إياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وإلهام الفجور لتجنبه لا لتعمل به وتقواها لتعمل به وهذه الآية مثل قوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(١) أي: بيّنا الطريقين وألهمنا الأمرين فحاصل المعنى أنه سبحانه عرفها الفجور والتقوى وزهداها في الفجور بأحكام المنع ورغبها في التقوى بأوامر الفعل.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ على هذا وقع القسم أي: قد أفلح من زكّى نفسه وأصلحها بطاعة الله ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ وحرّم وخسر ولم ينل ما طلب من دسّاءها وأدخلها في المعاصي وأرسلها في المشتبهات الطبيعية ومن دسّ نفسه في أهل الخير وليس منهم فهو خائب ومحروم. وأصل دسّى دسّس من التدسيس كفضّى أصله التفضّض، واجتماع الأمثال لما أوجب الثقل قلبت السين الأخيرة ياء. قال الراغب: الدسّ إدخال الشيء في الشيء^(٢) والمراد بالنفس في الآية الذات والحقيقة الجمعية الإنسانية.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ المراد القبيلة ﴿بَطْنُونَهَا﴾ الباء للسببية والطفوى بالفتح

١- سورة البلد: ١٠.

٢- مفردات غريب القرآن، ص ١٦٩.

مصدر بمعنى الطغيان قال الزمخشري في الكشاف: الطغوى من الطغيان، فصلوا بين الاسم والصفة في «فعلى» من بنات الياء بأن قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة ومعنى الآية أي: فعلت قبيلة ثمود التكذيب بسبب طغيانها.

﴿إِذْ أُنبِئَتْ أَشْقَاهَا﴾ منصوب بكذبت أو بالطغوى أي: حين قام أشقى ثمود وهو قدار بن سالف امتثالاً لأمر من بعثه. وانبعث مطاوع لبعث والانبعث الإسراع في الطاعة للباعث وصيغة أفعال التفضيل إذا أضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث.

﴿فَقَالَ هُمٌ﴾ لثمود: ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ لما علم ما عزموا عليه وهو صالح بن عبيد بن جابر بن ثمود بن عوص بن إرم، عبر عنه بعنوان الرسالة إيذاناً بوجوب طاعة الرسول وبياناً لتماديهم في الطغيان ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ منصوب على التحذير وإن لم يكن من الصور التي يجب فيها حذف العامل. والإضافة للتشريف مثل بيت الله، أي: ذروا ناقه الله الدالة على كمال قدرته وعلى نبوتى واحذروا عقرها ﴿وَسُقِيهَا﴾ أي: شربها ونصيبها من الماء ولا تطردوها عن الماء في نوبتها وكان لها شرب يوم معلوم ولهم ولمواشيهم شرب يوم آخر وكانوا يستضرون بذلك في مواشيهم فهموا بعقرها.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: رسول الله في وعيده حين قال لهم: ﴿وَلَا تَمْسُوهُا بِسُورٍ فَإِنَّكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾^(١) ﴿فَمَعَرُوهَا﴾ والجمع على تقدير وحدته لرضى الكل بفعله والعاقر قدار وامة قديرة وصاحبه الذي شاركه اسمه مصدح.

وفي الحديث قال النبي ﷺ لعلي: «يا عليّ أهدري من أشقى الأولين؟ قال: الله أعلم ورسوله قال: عاقر الناقة وأشقى الآخرين قاتلك يا عليّ الذي يضربك على

هذه - وأشار إلى يافوخه - حتى قبل منها هذه، وأخذ بلحيته^(١).

﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ وأطبق عليهم العذاب وهو الصيحة الهائلة، تقول: ناقة مدمومة إذا طليت بالشحم وحيطت بحيث لم يبق منها شيء لم يمسه الشحم ودم الشيء سده بالقبر ثم كررت الدال للمبالغة في الإحاطة فالدمدمة من الدم كالكبكية من الكبء ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ بسبب ذنوبهم المحكي ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ أي: فسوى الدمدمة الإهلاك بينهم بحيث لم يفك منهم أحد من صغير وكبير أو فسوى ثمود بالأرض روي أنهم لما رأوا علامات العذاب طلبوا صالحاً أن يقتلوه فأنجاه الله كما قال في سورة هود: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أُمَّرْنَا بِجَنَّتِنَا صَلَاحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، رِخِمَتْ مِنَّا﴾^(٢).

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ الواو للاستيناف أو للحال من المنوي في ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ الراجع إلى الله أي: فسواها الله غير خائفاً عاقبة الدمدمة والإهلاك وذلك أنه تعالى لا يفعل إلاً بحق وقيل: ولا يخاف هو أي: قدار ما يعقب عقربها وما يترتب عليه من أنواع العذاب والعقوبة مع أن صالحاً قد أخبرهم بها وقيل: ولا يخاف صالح عقبى العذاب لأنه كان مأموناً من الله^(٣).

تمت السورة بعون الله

١- مجمع البيان، ج ٤، ص ٢٩٦، ٢٩٧، و ذخائر العقبى، للطبري، ص ١١٥.

٢- سورة هود: ٥٨.

٣- انظر: تفسير غريب القرآن، للطريحي، ص ١١٣، و مجمع البحرين، ج ٣، ص ٢١٣.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

مكية. من قرأها أعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ① وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ③ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ④ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ⑥ فَسَنبَرُهُ لِلْيُسْرَى ⑦ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ⑧ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ⑨ فَسَنبَرُهُ لِلْعُسْرَى ⑩ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ⑪ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ⑫ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ⑬ فَأَنْذَرْتَكُمْ نَارًا تَلْفَظِي ⑭ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ⑮ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ⑯ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ⑰ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ⑱ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ⑲ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ⑳ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ㉑

﴿إِذَا﴾ للحال لأنها بعد القسم أي: أقسم بالليل حين يغشى الشمس ويستترها فعدم ذكر المفعول للعلم به والليل عند أهل النجوم ما بين هروب الشمس وطلوعها وعند أهل الشرع ما بين غروبها وطلوع الفجر الصادق أقسم سبحانه بالليل إذا يغشى بظلمته النهار أو الأفق وجميع ما بين السماء والأرض وأغشى الأنام بالظلام.

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٧٣، و الكشاف، ج ٤، ص ٢٦٢.

﴿وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَمَّأ﴾ أي: بان وظهر من بين الظلمة وهو من أعظم النعم إذ لو كان الدهر كله ظلاماً لما أمكن الخلق طلبُ معاشهم كما أن الليل من أعظم النعم لأنه لو كان ذلك كله ضياءً لما انتفعوا لسكونهم وسباتهم وراحتهم على أن الليل وقت عيش الصالحين وفيه يتقرب المقربون حين ينادون ألا قد خلا كل حبيب بحبيبه فأين أحبائي؟ قال الشاعر:

الليل داج والعصاة نيام والعابدون لذي الجلال قيام

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ أي: والذي خلق الذكر والأنثى وعلى هذا يكون «ما» بمعنى «من» وقيل: معناه خلق الذكر والأنثى فتكون «ما» مصدرية والمراد من الذكر والأنثى آدم وحواء أو جميع ذكر وأنثى وقرأ ابن مسعود الآية «والذكر والأنثى»^(١) قال: وهكذا سمعت رسول الله يقرؤها.

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ هذا جواب القسم أي: إن أعمالكم لمختلفة فعمل للجنة وعمل للنار والسعي مصدر مضاف ومن صيغ العموم، ولذا أخبر عنه بالجميع وشتى جمع شتيت مثل مرضى ومريض وهو المتفرق المتشتت أي مساعيكم مختلفة بعضها حسن نافع صالح وبعضها قبيح ضار شر فاسد فميل بعضكم إلى جانب الروح ومتوجه إلى الخير والنورية وبعضكم إلى جانب النفس الأمارة وتغلبه الظلمة.

قال بعض أهل التحقيق: إن النفس بأقسامها حقيقة واحدة متحدة وتختلف باختلاف توارد الأفعال والأحوال فإن الحقيقة المطلقة من غير اعتبار حكم معها إذا توجهت إلى الحق توجهت كلياً سميت مطمئنة وإذا توجهت إلى الطبيعة توجهت كلياً سميت أمارة وإذا توجهت إلى الله بالتقوى تارة وتارة إلى الطبيعة والفجور سميت لوامة، بدرجات السعي إما إلى الهدى أو إلى الهوى

أيضاً تختلف، فمن النفوس ساعية لطلب الدرجات العالية الكاملة كالأنبياء والأولياء وبعضٌ دونهم وكذلك من النفوس الساعية إلى الغواية، فبعض يرتكب من المعاصي ما يمكن معها إدراك السعادة بالرجوع عنها وتداركها وبعض يبالغون فيها بحيث لا يساوي عذارهم بعذار الشيطان، كما قال الشاعر:

فكنت فتى من جنـد إبليس فارتقى

بي الحال حتى صار إبليس من جندي

وبالجملة شرح سبحانه تفصيل تلك المساعي المتشعبة وتبين أحوالها ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ حقوق ما له ﴿وَأَنْفَقَ﴾ محارم الله التي نهى عنها ومن جملتها المن والأذى قيل: نزلت في أبي الدحداح^(١) لما أنفق بستانه في سبيل الله ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ بالخصلة الحسنى وهي (الإيمان) أو بالكلمة الحسنى وهي (لا إله إلا الله) بشروطها أو بالملة الحسنى وهي (ملة الإسلام) ﴿فَسَيِّئِرُهُ﴾ لِيَسْرَى﴾ واليسرى تأنيث الأيسر أي: سهوون عليه الطاعة ونهيته ونوفقه للطريق الأسهل حتى يقوم بوظائف العبادة بجد وطيب نفس.

﴿وَأَمَّا مَنْ يَخِلُّ﴾ بما له فلم يبذله في سبيل الله والخير ﴿وَأَسْتَفَقَ﴾ زهد ولم يرغب فيما عنده كأنه مستغن عنه واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ وقد ذكر معاني الحسنى قبيل هذا ﴿فَسَيِّئِرُهُ﴾ لِيَسْرَى﴾ أي: لا يريد شيئاً من المال والشر إلا يسره الله له وذلك التيسير تسبب من سوء اختياره وقبوله أو المراد من العسر العذاب ودخول النار، والسين في الآية للدلالة على الجزاء الموعود بمقابلة الطاعة والمعصية وهو أمر متراخ منتظر.

﴿وَمَا يَتَّقِ عَنْهُ مَالَهُ﴾ أي: أي شيء يغني عنه ماله الذي يبخل به

والاستفهام للإنكار ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾ هلك ومات والردى كالعصا وهو الهلاك وتردّى سقط في الحفرة إذا قبر أو تردى في قعر جهنم البالغة. وحاصل المعنى أنه إذا تردى وتصدى لمخالفتنا أي شيء له يخلصه من غضبنا.

﴿إِنَّا عَرَّبْنَا لِلْهُدَى﴾ أي: إن حكمتنا تقتضي أن نبين لهم طريق الهدى حيث خلقناهم للعبادة ﴿وَلَئِنَّا لَنَافِئَةٌ لِّلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ أي: التصرف الكلي فيهما كيف ما نشاء من الأفعال التي من جملتها ما وعدنا من اليسر لليسرى والعسرى.

﴿فَأَنْذَرْتَكُمْ﴾ خوفتكم يا أهل مكة والمكلفين بالقرآن ﴿نَارًا تَلْفَأُ﴾ وتلهب والتعبير بالمستقبل دوام التلظى بالفعل الاستمراري ﴿لَا يَصْنَعُهَا﴾ صلياً لازماً ولا يقاسي حرها ﴿إِلَّا الْآشَقَى﴾ الزائد في الشقاوة وهو الكافر فإنه أشقى من الفاسق وقيل: المراد من الأشقى الشقي والعرب تسمي الفاعل أفعلاً في كثير من كلامهم منه قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾^(١) وقوله: ﴿وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾^(٢) والفاسق لا يصلها صلياً لازماً أبدياً وقد صرح به قوله: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ وليس المكذب إلا الكافر.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ ويبعد عنها بحيث لا يسمع حسيها، والفاعل المجنب المبعده لله ﴿الْآشَقَى﴾ المبالغ في الاتقاء عن المعاصي والكفر فلا يحوم حولها فضلاً عن دخولها أو صليها الأبدي وأما من دونه ممن يتقي الكفر دون المعاصي وهو المؤمن الشقي الفاسق الغير الثابت فلا يبعد هذا التباعد بل يصلها وإن لم يذق شدة حرها كما يذوق الكافر ذوق الدائم فلذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدر في الحصر السابق.

﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾ ويعطيه في وجوه البر والحسنات ﴿يَتَزَكَّى﴾ إما بدل

١- سورة آل عمران: ١٣٩.

٢- سورة الشعراء: ١١١.

من ﴿يُؤْتِي﴾ أو في حيز النصب على أنه حال من ضمير ﴿يُؤْتِي﴾ أي: يطلب أن يكون عند الله زاكياً نامياً لا يريد به رياء ويقصد به التطهر من الذنوب ومن دنس البخل ووسخ الإمساك.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ استئناف مقرر لبيان أن إيتاءه للتركي خالص لوجه الله وليس لأحد عنده منة ونعمة من شأنها أن تجزى وتكافأ فيقصد المجازاة بها.

﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ استثناء منقطع من «نعمة» لأن ابتغاء وجه ربه ليس من جنس نعمة تجزى لكن فعل ذلك لابتغاء وجه الله وطلب رضاه وما أتى من المال مكافأة على نعمة سالفة فذلك يجري مجرى أداء الدين فلا يكون له دخل في استحقاق مزيد الثواب.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ جواب قسم مقدر أي: وباللَّه سوف يرضى ذلك الأتقى الموصوف.

تمت السورة بعون الله.

سُورَةُ الضُّحَىٰ

مكية. عن النبي ﷺ: «من قرأها كان ممن يرضاه الله ولمحمد ﷺ أن يشفع له، وله عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ①
وَأَيْلٍ إِذَا سَجَى ②
مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ③
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ ④
مِنَ الْأُولَى ⑤
وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَفَرَضَ ⑥
أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا ⑦
فَتَأْوَى ⑧
وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ⑨
وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ⑩
فَأَمَّا ⑪
الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ⑫
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ⑬
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ⑭

سبب النزول: قال ابن عباس (احتبس الوحي عنه ﷺ خمسة عشر يوماً فقال المشركون: إن محمداً ﷺ قد ودَّعه ربه وتركه وقلاه ولو كان أمره من الله تعالى لتتابع عليه فنزلت السورة وقال ابن جريح: احتبس الوحي عنه اثني عشر يوماً وقيل: أربعين يوماً عن مقاتل وقيل: إن المسلمين قالوا: أما ينزل عليك الوحي؟ فقال: «وكيف ينزل الوحي عليّ وأنتم لا تتقون براجمكم ولا تعلمون أظفاركم». ولما نزلت السورة قال النبي ﷺ لجبرئيل: «ما جنت حتى اشتقت إليك». فقال جبرئيل: «وأنا كنت أشدَّ شوقاً إليك ولكنني عبد مأمور وما ننزل إلا بأمر ربك». وقيل: سألت اليهود رسول الله ﷺ عن ذي القرنين وعن الروح

وأصحاب الكهف فقال ﷺ: «مأخبركم غداً ولم يقل: إن شاء الله فاحتبس الوحي عنه هذه الأيام». فاغتم ﷺ لشماتة الأعداء فنزلت السورة تسلية لقلبه.

وقيل: إن النبي ﷺ رمى بحجر في إصبغه فقال: «هل أنت إلا إصبغ رميت وفي سبيل الله ما لقيت» فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يوحى إليه فقالت له أم جميل بنت حرب امرأة أبي لهب: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث فنزلت^(١).

وقيل: إن جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات النبي أياماً لا ينزل عليه الوحي فقال لخادمته خولة: «ما حدث في بيتي؟ إن جبرئيل لا يأتي؟» قالت خولة: كنت البيت فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا جرو ميت فأخذته وألقيته خلف الحائط فجاء النبي ﷺ يرتعد وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال: «يا خولة دقيني». وأنزل الله هذه السورة، فلما نزل جبرئيل سأله النبي ﷺ عن سبب تأخره فقال جبرئيل: «أما علمت أنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة»^(٢). وقيل غير ذلك.

﴿وَالضُّحَى﴾ أقسم سبحانه بضوء النهار من قولهم: ضحى فلان للشمس إذا ظهر لها وهو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار وأريد بالضحى الوقت المذكور لعل تخصيصه بالإقسام به لأنها الساعة التي كلم الله فيها موسى وألقي فيها السحرة سجداً ولوقوع صلاة الضحى فيه وقيل: إن الضحى أول ساعة من النهار^(٣) وقيل: في هذه الأقسام كلها المراد ربها أي: ورب الضحى ورب الليل^(٤).

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٨١.

٢- تفسير القرطبي، ج ٢٠، ص ٩٣.

٣- انظر: تفسير الأكويسي، ج ٣٠، ص ١٤٠.

٤- تفسير أبي السعود، ج ٩، ص ١٦٩.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ أي: وجنس الليل إذا سجا وركد ظلامه وتناهى يقال: سجا البحر سجواً إذا سكنت أمواجه و ليلة ساجية ساكنة الريح وفيه سكون الناس والأصوات قال الصادق عليه السلام: «إِنَّ الْمَرَادَ مِنَ الضُّحَى هُوَ الضُّحَى الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَبِاللَّيْلِ لَيْلَةُ الْمَعْرَاجِ».

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ هذا جواب القسم، والتوديع مبالغة في الوداع وهو الترك لأن من ودَّعك مفارقاً فقد تركك وقرئ ودعك بالتخفيف والمعنى ما قطعك قطع المودع وما تركك بالحط عن درجة الوحي والقرب والكرامة و«ما قلا» أي ما أبغضك، والقلى شدة البغض وغاية الكراهة وإذا قصرت القلى كسرت القاف وإذا مددت فتحتها والمفعول في هذه الآية محذوف للدلالة أي وما قلاك. ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ أي: إن ثواب الآخرة وما أعدّه الله لك من النعيم الدائم خير لك من الدنيا والكون فيها وإن له في الجنة ممّا أعدّ الله له ألف ألف قصر من اللؤلؤ ترابه من المسك وفي كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم وقيل: المعنى ولآخر عمرك الذي بقي خير لك من أوله لما يكون لك من النصر والفتوح وتشديد أمرك، ونهايتك خير من بدايتك كما أخبر بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(١).

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ أي: وسيأتيك ربك في الآخرة من الشفاعة وأنواع الكرامة. واللام للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك، لأن لام الابتداء لا يدخل إلّا على الجملة الاسمية وليست للقسم لأنها لا تدخل على المضارع إلّا مع النون المؤكدة. وفي الآية دلالة على أن العطاء المتأخر لحكمة وأنفع لك، واذخر لك من الكرامات ما لا يعلمها إلّا الله.

وروى حارث بن شريح عن محمد بن الحنفية أنه قال: «يا أهل العراق تزهمون أن أرحى آية في كتاب الله قوله: ﴿يَجِبَادِي الَّذِينَ اسْتَرْفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية^(١) وإنا أهل البيت نقول: أرحى آية في كتاب الله قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ وهي والله الشفاعة ليعطينها في أهل لا إله إلا الله حتى يقول: رب رضيت»^(٢). وقال الصادق عليه السلام: «رضي جدي أن لا يبقى في النار موحدا»^(٣).

أقول: ابشروا يا أمة محمد بهذه الفضيلة التي نحلها الله نبيكم بها فكم بين من يتكلف ليرضي ربه وبين من يعطيه ربه ليرضى.

ثم عدد سبحانه نعمه عليه عليه السلام فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ تقريراً لنعمة الله عليه حين مات أبوه، روي أن أباه (عبد الله) مات وهو بني جنين قد أتت عليه ستة أشهر في بطن أمه ومات جدّه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمّه أبو طالب فأحسن تربيته^(٤) وآواه الله بأن سخر له أولاً جدّه عبد المطلب ثم ربّاه وآواه أبو طالب ولما مات جدّه عبد المطلب كان عمره الشريف ثمان سنين وسلمه جدّه إلى أبي طالب لأنه كان أخا عبد الله لأمه^(٥). قال الصادق عليه السلام: «لم أوقم النبي عن أبويه لئلا يكون لمخلوق أمر عليه حق»^(٦) فأواه أبو طالب إلى أن بعثه الله للنبوّة فقام ينصره مدة مديدة ثم توفي أبو طالب عليه السلام فنال المشركون منه بني ما لم ينالوا في زمان أبي طالب وآذوه، وقد جعله الله يتيماً لئلا يسبق على قلب بشر أن الذي نال من العز والشرف والاستيلاء ما

١- سورة الزمر: ٥٣.

٢- تفسير الصافي، ج ٧، ص ٥٠٢، و تفسير نورالثقلين، للحويزي، ج ٥، ص ٥٩٥.

٣- تفسير الصافي، ج ٢، ص ١٤٥٣.

٤- الكشاف، ج ٤، ص ٢٦٤، و تفسير أبي السعود، ج ٩، ص ١٧٠.

٥- انظر: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٨٢.

٦- المصدر السابق، ص ٣٨٣، و تفسير الصافي، ج ٥، ص ٣٤٢.

كان عن تظاهر نسب أو توارث مال أو نحو ذلك.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ معنى الضلال فقدان الشرائع والأحكام التي لا يهتدي إليها العقول بل طريقها السماع نظير قوله: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾^(١) وإليه يؤوب معنى الغيبة فإن «ضل» بمعنى «غاب» أي: غير مهتد إلى النبوة فمعنى الضلال على هذا هو الذهاب عن العلم مثل قوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾^(٢).

وقيل: المعنى وجدك متحيراً في وجوه معاشك فهداك إلى وجوه معاشك فإن الرجل إذا لم يهتد طريق تكسبه ووجه معيشته يقال: إنه ضال لا يدري أين يذهب^(٣).

وقيل والقائل ابن عباس: إن النبي ﷺ ضلّ في شعاب مكة حال صباه وكان عبد المطلب يطلبه وهو يقول متعلقاً بأستار الكعبة:
يا ربّ فاردد ولدي محمّداً واردد إليّ واصطنع عندي يداً

فوجده أبو جهل فردّه إلى عبد المطلب فمنّ الله عليه حيث خلّصه على يدي عدوّه^(٤) فكان نظير موسى ﷺ حين التقط فرعون تابوته ليكون له عدواً وحرزاً، فهداك إلى النبوة والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم، ووقفه للنظر الصحيح بحيث لم يعبد صنماً قطّ ولم يكذب ولم يخن بأمانة ولم يأت بفاحشة.

وقيل: إن حليلة السعدية لما أرضعته مدة رضاعه ﷺ أرادت رده على جدّه جاءت به حتى قربت من مكة ففضل في الطريق فطلبته جزعة وكانت

١- سورة الشورى: ٥٢.

٢- سورة البقرة: ٢٨٢.

٣- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٨٣.

٤- المصدر السابق نفسه.

تقول: لئن لم أره لأرمين نفسي من شاهق وجعلت تصيح وا محمّداه فدخلت مكة على تلك الحالة فرأت شيخاً موكناً على عصا قالت: فسألني عن حالي فأخبرته فقال: لا تبكين فانا أدلك على من يرده عليك فأشار إلى هبل صنمهم الأعظم ودخل الشيخ البيت وطاف بهبل وقبل رأسه وقال: يا سيّده لم تزل متك جسيمة ردّ محمّداً على هذه السعدية قالت حليلة: فتساقطت الأصنام لما تفوه باسم محمّد وسُمع صوت إن هلاكنا على يدي محمّد فخرج الشيخ وأسنانه تصطك. قالت: وخرجت إلى عبد المطلّب وأخبرته الحال فخرج وطاف بالبيت ودعا الله سبحانه فنودي وأشعر بمكانه فأقبل عبد المطلّب وتلقاه ورقة بن نوفل في الطريق بينما هما يسيران إذا النبي ﷺ قائم تحت شجرة يجذب الأغصان ويبعث بالورق فقال عبد المطلّب: فداك نفسي، وحمله وردّه إلى مكة عن كعب.

وقيل: إنه ﷺ خرج مع عمّه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة ظلماء جاء إبليس فأخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبرئيل فنفخ إبليس نفخةً دُفع بها إلى الحبشة وردّه إلى القافلة فمنّ الله عليه بذلك، عن سعيد بن المسيّب.

وقيل: وجدك مضلّواً عنك في قوم لا يعرفون حقك فأرشدهم إلى فضلك وكنت خامل الذكر فعرفك الله وأعلى ذكرك^(١) بحيث أوجب في الصلاة الصلوات عليه والتذكير باسمه الشريف في التشهد. وعن عاصم بن حمزة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الصلاة على النبي ﷺ أمحق للخطايا من الماء للنار، والسلام عليه أفضل من عتق رقاب وحبّه أفضل من مهج الأفسس». أو قال: «من ضرب السيوف»^(١).

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٨٣ و ٣٨٤.

١- ثواب الاعمال، ص ١٥٤، و تاريخ بغداد، للخطيب بغدادي، ج ٧، ص ١٧٢.

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ أي: كنت فقيراً وعديماً فأغناك بمال خديجة أو بالغنائم وبما أفاء الله عليك حتى كان عليه السلام يهب من الإبل مائة، أو قنك وأغنى طبعك وقلبك والغنى غنى النفس أي: أزال عنك فقر النفس وجعل لك الغنى الأكبر وذلك حقيقة الغنى.

ثم أوصاه باليتامى والفقراء وهي من مكارم الأخلاق فقال: ﴿فَلَمَّا آتَيْتَهُ فَلَا نَقَهَرَ﴾ أي: لا تدلله أو لا تغلبه على ماله فتذهب بحقه لضعفه كما كانت العرب تفعل في أمر اليتامى وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبر ويحسن إلى اليتامى ويوصي بهم. وفي الآية إشارة بأن كنت يتيماً فأويناك فافعل أنت كذلك باليتامى.

وعن ابن أبي أوفى قال: لقد كنا جلوساً عند رسول الله فأتاه غلام فقال: غلام يتيم وأخت لي يتيمة وأم لي أرملة أطعمنا مما أطعمك الله وأعطاك الله مما عنده حتى ترضى. قال صلى الله عليه وسلم: «ما أحسن ما قلت يا غلام اذهب يا بلال فأتنا بما عندنا». فجاء بواحدة وعشرين تمرة ولم تكن غيرها شيء لهم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «سبع لك وسبع لأختك وسبع لأمك». فقام إليه معاذ فمسح رأسه وقال: «جبر الله يعمك وجعلك خلفاً من أهلك». وكان اليتيم من أبناء المهاجرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «رأيتك يا معاذ وما صنعت قال: رحمته». قال صلى الله عليه وسلم: «لا يلي أحدكم يتيماً فيحسن ولايته ووضع يده على رأسه إلا كتب الله له بكل شعرة حسنة ومحا عنه بكل شعرة سيئة ورفع له بكل شعرة درجة». وقال صلى الله عليه وسلم: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة إذا اتقى الله». وأشار بالسبابة والوسطى^(١).

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ النهر الزجر بمغالطة أي: فلا تزجره ولا تغلظ له بالقول بل رده رداً جميلاً ولساناً ليناً إذا حرته وما أطعمته بسبب عدمك قال رسول الله: إذا أتاك سائل على فرس باسط كفيه فقد وجب له الحق ولو

بشقّ تمرّة، يريد أعط السائل كما أعطاك الله وأنت كنت عائلاً. وقيل: المراد بالسائل طالب العلم وهو متصل بقوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ والمعنى علم من يسألك كما علمك الله الشرائع وكنت بها غير عالم^(١).

وفي الآية بيان لجميع المكلفين لأن جميع الخلق كانوا فقراء في الأصل فإذا أنعم الله عليهم وجب أن يعرفوا حق الفقراء مالا كان أو علماً. وقال إبراهيم النخعي: السائل يريد الآخرة لكم يجيء إلى باب أحدكم فيقول: أتبعثون إلى أهليكم شيئاً؟ روي أنه اهدي إلى رسول الله ﷺ عنقود عنب فجاء سائل فأعطاه العنقود فاشتراه أحد من الصحابة بدرهم وقدمه إلى رسول الله. ثانياً ثم عاد السائل فأعطاه العنقود فاشتراه الصحابي بدرهم وقدمه إلى رسول الله فجاء السائل ثالثاً، فقال ﷺ: «ملاطفاً للسائل خير غضبان عليه أسائل أنت أم تاجر؟» فنزلت الآية^(٢).

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فإنّ تحديث العبد بنعمة الله شكر باللسان وتذكير للغير وأريد بالنعمة من النعم الموجودة والموعودة وقيل: المراد من النعمة القرآن وهو أعظم نعم الله فأمره ﷺ أن يقرئه وقيل: المراد النبوة أي: أبلغ ما أرسلت به^(٣) وقيل: يعني: حدث بنعم الله عليك نفسك ولا تنس فضله عليك قديماً وحديثاً فيكون نعمه دائماً حاضراً ببالك ونخاطرك ولا تغفل عن تذكره. قال ﷺ: «الصحف بالنعم شكر وتركه كفر». وأما الحديث الآخر: «عليكم بكتمان النعم فإن كل ذي نعمة محسود» يعني عن الحسود لا غير. تمت السورة بعون الله.

١- المجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٨٦.

٢- تفسير أبي السعود، ج ٩، ص ١٧١، و تفسير الألويسي، ج ٣٠، ص ١٦٤.

٣- تفسير الألويسي، ج ٣٠، ص ١٥٧.

سُورَةُ الشَّرْحِ

مكية. قال عليه السلام: «من قرأها أُعطي من الأجر كما لقي محمداً عليه السلام مفتعاً ففرج عنه». وروى أصحابنا: «أن (الضحى) و(الم نشرح) سورة واحدة لتعلق إحداهما بالأخرى ولم يفصلوا بينهما بيسم الله الرحمن الرحيم وجمعوا بينهما في الركعة الواحدة في الفريضة وكذلك القول في سورة (الم تر كيف) و(الإيلاف قريش)^(١) والسياق يدل على ذلك لأنه قال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾^(٢) إلى آخرها، ثم قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ①
وَوَضَعْنَا عَنَّا وِزْرَكَ ②
الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ③
وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④
فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤
إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑥
فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ⑦
وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَأَنْصَبْ ⑧

الشرح بسط اللحم ونحره يقال: شرحت اللحم، ومنه شرح الصدر بنور إلهي وروح منه وشرح الكلام بسطه وإظهار ما يخفى من معانيه وفي الحديث: «إذا دخل النور في القلب انشرح أي: عاين القلب وظهر له ما أشكل على غيره واحتمل المكاره»^(٣) والاستفهام في الآية تقريرية والمعنى

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٨٧.

٢- سورة الضحى: ٦.

٣- تخريج الأحاديث والآثار، للزيعلي، ج ٣، ص ٢٠١.

ألم نفتح صدرك ونوسّع قلبك بالنبوة والعلم حتى قمت بأداء الرسالة وصبرت على المكاره واطمأنت إلى الإيمان فلم تضق به ذرعا فشرح الله صدره بأن ملأه علما وحكمة ورزقه حفظ القرآن.

وقيل: المعنى ألم نشرح صدرك بإذهاب الشواغل التي تصدّ عن إدراك الحق، عن ابن عباس قال: سئل النبي ﷺ أين شرح الصدر؟ قال: «نعم»، قالوا: وكيف ينشرح الصدر وهل لذلك علامة؟ قال: «نعم، التجافي عن دار الغرور والإثابة إلى دار الخلود والإعداد للموت قبل نزول الموت»^(١). وهذا الشرح من الصدر في الأمور المعنوية وأما شرح الصدري الصوري فقد قيل: وقع مرارا، مرة وهو ابن ست سنين لإخراج مغمز الشيطان وهو الدم الأسود الذي به يميل الطبع والقلب إلى المعاصي ويعرض عن الطاعات ومرة عند ابتداء الوحي ومرة ليلة المعراج.

وقد نقل صاحب تفسير «روح البيان» المولى إسماعيل الحقي أنه ﷺ قال: «ليلة أسري بي إلى السماء الصبغني جبرئيل بصدري، وشق صدري إلى سرتي، وجاء ميكائيل بطست من ماء زمزم، وضل صدري وقلبي بعد أن شقته وملؤوا قلبي من الحكمة والإيمان وختموا عليه من خاتم من نور».

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ أي: حططنا وأسقطنا عنك حملك الثقيل.
 ﴿الْيَتَىٰ أَنْفَضَ ظَهْرَكَ﴾ وأثقله حتى سمع له تقيض وصوت وهذا مثل معناه أنه لو كان جمل لسمع صوت ظهره، وكما يسمع من الرجل الصوت من شدة ثقل الحمل وتأثير الثقل المفضي إلى انحراف بعض أجزاء الرجل عن محالها وحصول الصوت بذلك فيه وهذا معنى الانتقاض مثل به حاله ﷺ بما كان به من أعباء النبوة التي تثقل الظهر من القيام بأمرها فسهّل الله ذلك

عليه حتى تيسر له وأزال عنه همومه وتهالكه على إسلام المعاندين من قومه وتلهفه، والعرب تجعل الهم ثقلًا.

وقيل: المعنى وعصمناك من الذنوب^(١) وطهرناك من الأدناس والأوزار.

قال المرتضى رحمته: إنما سميت الذنوب بالأوزار لأنها تثقل كاسبها وحاملها فكل شيء أثقل الإنسان وغمه وكده صحح أن يسمى وزراً فلا يمتنع أن يكون المراد من الوزر في الآية غمه مما كان عليه من قومه وأنه وأصحابه كانوا مستضعفين في أيدي المشركين فأعلى الله كلمته وبسط يده فخاطبه بهذا الخطاب تذكيراً للنعمة ليقابله بالشكر^(٢).

فإن قيل: إن السورة مكّية ونزلت قبل أن يعلى الله كلمة الإسلام ولا وجه لهذا القول.

فالجواب أنه لما بشره بأن يعلى دينه وينصره على أعدائه كان بذلك واضعاً ثقل غمه فإنه رحمته كان واثقاً بأن وعد الله حقاً ويجوز أيضاً أن يكون اللفظ وإن كان ماضياً فالمراد به الاستقبال كقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾^(٣) ونادوا يا مالك ليقتض علينا ربك^(٤).

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ بعنوان النبوة وقرناً ذكرك بذكرنا وتذكر معي في الأذان والتشهد والخطبة، ورفع ذكره في الدنيا والآخرة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وسمّاه رسول الله ولقبه بألقاب عالية شريفة.

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر

١- تفسير السمرقندي، ج ٣، ص ٥٦٩.

٢- تنزيه الأنبياء، للشريف المرتضى، ص ١٦١.

٣- سورة الأعراف: ٤٤.

٤- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٨٩.

والضيقة وكان المؤمنون في الشدة فوعده سبحانه بتيسير كل عسير له. واللام للاستغراق وفي كلمة «مع» إشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كأنه مقارن للعسر وفي تعريف العسر وتنكير اليسر إشارة إلى أن اليسر غالب على العسر على أنه سبقت الرحمة الغضب والعسر قد يكون في الغالب جلاء لقلوب الأكاير وتوسعة لاستعدادهم ومقامهم كما قيل: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل.

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ تكرير للتأكيد روي عن عطا عن ابن عباس قال: يقول الله: «خلقت عسراً واحداً وخلقت يسرين فلن يغلِبَ عسراً يسرين».

قال الفراء: إن العرب تقول إذا ذكرت نكرة ثم أعدتها مثلها صارتا اثنتين كقولك: «إذا كسبت درهماً فأنفق درهماً» فالثاني غير الأول وإذا أعدتها معرفة فهي كقولك: «إذا اكتسبت درهماً فأنفق الدرهم» فالثاني هو الأول^(١).

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من التبليغ أو من المصالح اللازمة في أشغالك ﴿فَانصَبْ﴾ إلى ربك في الدعاء وارغب إليه في المسألة يعطك، ومعنى انصب أي لا تشتغل بالراحة وألزم نفسك النصب والتعب في العبادة.

وقيل: المعنى فإذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء والمسألة وهذا المعنى عن مجاهد والضحاك وقتادة وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام. وقال الصادق عليه السلام: «هو الدعاء في دبر الصلاة وأنت جالس».

وقيل: معناه إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل عن ابن عباس وابن مسعود. وقيل: فإذا فرغت من جهاد أعدائك فانصب بالعبادة لله. وقيل: فإذا فرغت من أداء الرسالة فانصب لطلب الشفاعة. وقيل: إذا صححت فاجعل صحتك وفراغك نصباً في العبادة.

وقيل: إذا فرغت من تلقي الوحي فانصب في تبليغه. وينبغي للمرء أن لا يكون فارغاً مهملاً أو يشتغل بما لا ينفعه في دينه ودنياه لأنه من سخافة العقل واستيلاء الغفلة وأن يكون في عمل نافع له فإذا فرغ من عمل خير أتبعه بآخر حتى لا يضيع عمره.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَأَرْغَبْ﴾ أي: فارفع حوائجك إلى ربك وحده ولا ترفعها إلى أحد من خلقه. وتقديم الجار يفيد الحصر.

وقيل: المعنى تضرع إليه راغباً في الجنة وراهباً من النار^(١).
تمت السورة بعون الله.

سُورَةُ التِّينِ

ثمانى آيات، مكية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْتِينِ وَالزَّيْتُونِ ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ⑤ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ⑥ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ⑦ أَلَيْسَ
اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالْحَكِيمِينَ ⑧

أقسم الله سبحانه بالتين الذي يؤكل والزيتون الذي يعصر منه الزيت
عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة وعطاء وهو الظاهر، وهو
فاكهة مخلصة من شائب التنقيص وجعل خلقته على مقدار اللقمة وهيئتها.
روى أبو ذر أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «كلوا فلو قلت: إن فاكهة نزلت من
الجنة لقلت هذا لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع
القرص»^(١). وعن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «التين يزيل نكهة الفم ويطول
الشعر وهو أمان من الفالج»^(٢).

١- المجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٩٣، ٣٩٢.

٢- تفسير الرازي، ج ٣٢، ص ٨، و تفسير أبي السعود، ج ٩، ص ١٧٤.

وقيل: لما عصى آدم عليه السلام وفارقت ثيابه تسرَّ بورق التين ولما نزل وكان متسترًا بورق التين استوحش فطافت الغطاء حوله فاستأنس بها فأطعمها بعض ورق التين فرزقها الله الجمال صورة والملاحة معنى وغير دمها مسكاً فلما تفرقت الغطاء إلى مساكنها رأى غيرها عليها من الجمال ما أعجبه فلما كان الغد جاءت ظباء آخر على الأول فأطعمها آدم من الورق فغير الله حالها من الجمال دون المسك وذلك لأن الأولى جاءت إلى آدم لأجله لا لأجل الطمع والطائفة الأخرى جاءت إليه ظاهراً وللمطمع باطناً فلا جرم غير الظاهر دون الباطن^(١).

وفي كتاب «أمثلة الحكم» أن سائر الأشجار يخرج ثمرها في كمامها ويخرج كمامها أولاً ثم يخرج ثمارها وشجرة التين أول ما يبدو ثمرها بارزاً من غير كمام لأن آدم لم يستره إلا شجرة التين فقال الله: «بعد ما سترت أخرج منك المعنى قبل الدعوى وسائر الأشجار يخرج منها الدعوى قبل المعنى». وفي «خريدة العجائب»: إذا نثر رماد خشب التين في البساتين هلك منه الدود ودخان التين يهرب منه البق والبعوض.

وأما الزيتون فهو فاكهة وأدام ودواء لبعض الأمراض ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لا دهن فيها كالجبال لكفى به فضلاً ونفعاً، وشجرته هي الشجرة المباركة المشهورة في التنزيل.

قال معاذ بن جبل: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «نعم سواك الزيتون، هو سواك وسواك الأنبياء من قبلي»^(٢)، وشجرة الزيتون يعمر ثلاثة آلاف سنة وهي تصبر عن الماء طويلاً كالنخل وإذا لقط ثمرتها جُنِبَ فسدت وألقت حملها وانتثر ورقها وينبغي أن تغرس في المدر لكثرة الغبار لأن الغبار كلما علا على

١- تفسير الرازي، ج ٣٢، ص ٩.

٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ص ٤٩٩.

زيتونها زاد دسمة ونضجه.

ورماد ورقها تنفع العين كحلاً ويقوم مقام التوتيا. وفي الحديث: «عليكم بالزيت فإنه يكشف المرّة وينهب البلغم ويشد العصب ويمنع الغشي ويحسن الخلق ويطيب النفس وينهب بالهم». قال الفاضل السهيلي: إن التين في المنام رجل خير غنيّ فمن ناله في المنام نال مالاً وسعةً ومن أكله في المنام رزقه الله أولاداً ومن أخذ ورق الزيتون في المنام استمسك بالعروة الوثقى^(١).

وبالجملة هذا أحد الأقوال في المقسم به على أن المراد من الآية هذا التين المأكول والزيتون المعصور. وثاني الأقوال أن المراد بالتين الجبل التي بني عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال عكرمة: وإنما سمّيا بهما لأن التين والزيتون ينبتان فيهما.

وقيل: التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس. وقيل: التين مسجد نوح الذي بني على الجوديّ والزيتون بيت المقدس. وقيل: التين مسجد الحرام والزيتون المسجد الأقصى^(٢).

﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ هو الجبل الذي ناجى عليه موسى ﷺ ربه. قال الماوردي: ليس كل جبل يقال له «طور»: إلّا أن يكون فيه الأشجار والثمار وإلّا فهو جبل فقط^(٣).

وسينين وسيناء علمان للموضع الذي هو فيه، ومعنى سينين بالسريانية ذو الشجر أو حسن مبارك بلغة الحبشة.

وفي «كشف الأسرار»: أصل سينين سيناء بفتح السين وكسرهما، وإنما

١- تفسير الرازي، ج ٣٢، ص ٩.

٢- انظر: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٩٣.

٣- تفسير الثعالبي، ج ٥، ص ٦٠٦.

قال هاهنا سينين لأن تاج الآيات النون كما قال: ﴿سَلَّمَ عَلَيَّ إِلَى يَأْسِينَ﴾^(١) وهو إلياس فخرج على تاج آيات السورة.

﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَيْبِ﴾ وهو مكة شرفها الله، وأمانتها أنها تحفظ من دخلها جاهلية وإسلاماً من قتل وسبي كما يحفظ الأمين الأمانة. ويجوز أن يكون فعيل بمعنى مفعول لأنه مأمون الغوائل كما وصف بالأمن في قوله: ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾^(٢) ومعنى القسم بهذه الأشياء إبانة شرافتها وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والصالحين ومهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومحل نداء موسى ومولد رسول الله وهدى للعالمين.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ هو جواب القسم يقال: قام الأمر اعتدل واستقام وقومته عدلته والتقويم تصيير الشيء على ما ينبغي أن يكون عليه في التأليف والتعديل وحسن الصورة، قيل: إنه في زمن يحيى بن أكثم خلا ملك بزوجه في ليلة مقمرة فقال الملك لزوجه: إن لم تكوني أحسن من القمر فانا كذا، فأفتى الفقهاء بالحنث إلاً يحيى بن أكثم وقال: لا يحنث، فقالوا: خالفت شيوخك فقال: الفتوى بالعلم ولقد أفتى من هو أعلم منا وهو الله تعالى قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٣) فالإنسان أحسن الأشياء ولا شيء أحسن منه.

وقد خص الإنسان من بين الحيوان من العقل والفهم والعلم وبحسب الصورة من انتصاب القامة وحسن الشكل وهو مظهر الجلال والكمال.

﴿ثُمَّ رَدَدْتَهُ أَسْفَلَ سَفِيلِينَ﴾ وأسفل سافلين حال من المفعول أي: رددناه

١- سورة الصافات: ١٤١.

٢- سورة العنكبوت: ٦٧.

٣- تفسير الرازي، ج ٣٢، ص ١١.

حال كونه أسفل سافلين أو صفة لمكان محذوف أي: رددناه إلى مكان هو أسفل أمكنة السافلين وجعلناه من أهل النار الذي هو أقبح من كل قبيح لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في أعلى عليين، وحوّل حاله من أحسن تقويم إلى أقبح تقويم صورة ومعنى لأن مسخ الظاهر إنما هو من مسخ الباطن، هذا أحد القولين في تفسير الآية والقول الثاني أنه يردّ إلى أرذل العمر من الخوف والهزم ونقصان العقل. والسافلون هم الضعفاء والزمنى والأطفال.

ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ والاستثناء يؤيد معنى الأوّل ومن قال بالقول الثاني قال: إن المؤمن لا يردّ إلى الخرف وإن عمر عمراً طويلاً وإذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجز معه من العمل كتب له من العمل ما كان حين يعمل في شبابه وقوته، والمراد من الذين آمنوا الذين أخلصوا العبادة لله وأضافوا إلى ذلك الأعمال الحسنة، وقرأوا القرآن فإن هؤلاء لا يردّون إلى النار. وعن ابن عباس من قرء القرآن لم يردّ إلى أرذل العمر^(١) والاستثناء على المعنى الأوّل استثناء متصل من ضمير ﴿رَدَدْتُهُ﴾ فإنه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع.

﴿قَلَّهٗمْ أَجْرٌ﴾ في دار الكرامة ولا يغيّر صورهم بل هم على أحسن تقويمهم باقون في الجنة ودار الكرامة ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غير منقطع على طاعتهم وأعمالهم الصالحة روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن المؤمن إذا مات صعد الملكان إلى السماء فيقولان إن عبدك فلان قد مات فأنذنا لنا حتى نعبدك في السماء فيقول الله: إن سماواتي مملوءة بملائكتي ولكن اذهبا إلى قبره واكتبا حسناته إلى يوم القيامة»^(٢).

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٩٤.

٢- تفسير السمرقندي، ج ٣، ص ٥٧٢.

﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِالَّذِينَ﴾ بعد مبني على الضم لحذف المضاف إليه
 ونيته والاستفهام مشعر بالتعجب أي: أي شيء يكذبك أيها الإنسان بعد هذه
 الحجج والآيات بالجزاء والبعث وينسبك إلى التكذيب بالبعث فإن من خلق
 الإنسان السوي من الماء المهين وجعل ظاهره وباطنه على أحسن تقويم إلى
 أن استكمل واستوى ثم نكسه وحوّله من حال إلى حال كمالاً ونقصاناً بحيث
 يشاهد كل أحد في نفسه هذه التغيرات فأي شيء يضطره إلى إنكار الجزاء.
 ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالْحَاكِمِينَ﴾ هذا تقرير للإنسان على الاعتراف بأنه
 أحكم الحاكمين أي أليس الذي بقدرته فعل وقدر هذه الأمور صنفاً وتدبيراً
 بأحكم الحاكمين حتى يجازي الصالح والظالم؟ فكيف يتصور عدم الحكم
 والجزاء والبعث للجزاء وجريان العدل في حكمه بين المصدق والمكذب،
 بلى يا رب أنت أحكم الحاكمين وأنا على ذلك من الشاهدين. ومن قرء هذه
 الآية فليقل هذه الكلمات.

تمت السورة بعون الله.

سورة العنكبوت

مكية. عن النبي: «من قرأها كأنها قرأ المفضل»^(١) كله. وعن أبي عبد الله قال: «من قرأها في نومه أو في ليلته لم مات في يومه أو في ليلته مات شهيداً وبعده الله شهيداً وكان كمن ضرب بسيفه في سبيل الله مع رسول الله ﷺ»^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③
الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ⑥
رَأَاهُ اسْتَفْتَى ⑦ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ⑧ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ⑨ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ⑩
أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ⑪ أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ ⑫ لَوْ رَأَيْتَ أَنَّ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ⑬ أَلَمْ يَعْلَمْ
بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ⑭ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ⑮ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِفَةٍ ⑯
فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ⑰ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ⑱ كَلَّا لَا تُلْفَعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ⑳

أمر من الله أمر نبيه أن يقرأ باسم ربه وأن يدعوهُ بالأسماء الحسنى وفي تعظيم الاسم تعظيم المسمى، لأن الاسم ذكر المسمى بما يخصه والباء زائدة والتقدير: اقرأ اسم ربك.

١- المفضل من سورة محمد ﷺ إلى آخر القرآن.

٢- ثواب الاعمال، ص ١٢٤، و مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٩٦.

وأكثر المفسرين على أن هذه السورة أول ما نزل من القرآن الكريم وأول يوم نزل جبرئيل عليه السلام وهو قائم في حراء علمه خمس آيات من أول هذه السورة وقيل: أول ما نزل من القرآن قوله: ﴿بِأَيِّهَا الْمَدْيَنُ﴾^(١) وقيل: أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب^(٢).

وروى الحاكم أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن عمرو بن شراحيل أن رسول الله قال لخديجة: «إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء». فقالت: ما يفعل الله بك إلا خيراً فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث قالت خديجة: فانطلقنا إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة فأخبره رسول الله بما رأى فقال له ورقة: إذن أتاك فائت له حتى تسمع ما تقول ثم انتني فأخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين - حتى بلغ - ولا الضالين قل: لا إله إلا الله»، فأتى ﷺ ورقة وذكر له ذلك فقال له ورقة: ابشر ابشر فانا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم وإنك على مثل ناموس موسى وإنك نبي مرسل وإنك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك. فلما توفي ورقة قال رسول الله: «لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدقني» يعني: ورقة^(٣).

﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ أي: ما يوحى إليك يا محمد وقوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ يؤيد أن هذه السورة أول ما نزلت عليه. وأول ما ابتداء به رسول الله ﷺ حين أراد الله به النبوة الرؤياً الصالحة كان لا يرى رؤياً إلا جاءت كفلق

١- سورة المدثر: ١.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٩٨.

٣- المجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٩٨، و تفسير القرطبي، ج ١، ص ١١٥.

الصبح فلا يشك فيها أحد كما لا يشك في وضوح ضياء الصبح، وإنما ابتدأ عليه السلام بالرؤيا لثما يفجأه الملك الذي هو جبرئيل بالرسالة فلا تتحملها قوة البشرية لأنها لا تحتمل رؤية الملك وإن لم يكن على صورته الأصلية ولا على سماع صوته فكانت الرؤيا تأنيساً له وكانت مدت الرؤيا ستة أشهر وكان عليه السلام في تلك المدة إذا خلا يسمع نداء يا محمد يا محمد ويرى نوراً يقظة وكان عليه السلام يخشى أن يكون الذي يناديه تابعاً من الجن كما ينادي الكهنة وكان في جبل حراء غار وهو الجبل الذي نادى رسول الله بقوله: إني يا رسول الله لما قال له «ثبير» وهو على ظهره: اهبط عني يا رسول الله فإني أخاف أن تقتل على ظهري^(١)، وكان عليه السلام يتعبّد في ذلك الغار ليالي ثلاثاً وسبعاً وشهراً ويتزوّد لذلك من الكعك^(٢) والزيت وأول من تعبّد فيه من قريش جده عبد المطلب ثم تبعه سائر المتألّهين وهم أبو امية بن المغيرة وورقة بن نوفل ابن عم خديجة وكان ورقة قد قرء الكتب وكتب الكتاب العبري وكان شيخاً كبيراً قد عمي في أواخر عمره.

ثم لما بلغ عليه عليه السلام رأس الأربعين ودخلت ليلة سبع عشرة من رمضان جاءه الملك وهو في الغار، كما قال الصرصري:

وأنت عليه أربعون فأشرققت شمس النبوة منه في رمضان

قالت عائشة: جاءه الملك سحر يوم الاثنين فقال: «اقرأ» قال: «ما أنا بقارئ».

قال: «فأخذني وضممني وصرمني ثم أرسلني فعله ثلاث مرات ثم قال: ﴿اقرأ﴾»

إلى قوله: ﴿مَا تَرَىٰ يَوْمَ﴾^(٣) فخرج عليه السلام من الغار حتى إذا كان في جانب من

١- عمدة القاري، العيني، ج ١، ص ٦٢.

٢- الكعك: خبز يعمل من الدقيق والحليب.

٣- انظر: السيرة الحلبية، ج ١، ص ٣٩٨.

الجبل سمع صوتاً يقول: «يا محمد أنت رسول الله وأنا جبرئيل»، ورجع إلى خديجة يرجف فؤاده فحدثها بما جرى فقالت له: ابشر يا ابن عمي واثبت فوالذي نفسي بيده إنني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة، ومكث سنة مدة لا يرى جبرئيل. وكانت وفاة ورقة بن نوفل مدة الفترة أي فترة الوحي بين ﴿أقرأ﴾ وبين ﴿يَأْتِيهَا الْمُنِيرُ﴾.

﴿بِسْمِ رَبِّكَ﴾ أي: مبتدئاً باسمه أي: «قل واقراً بسم الله الرحمن الرحيم» ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ نورك قبل الأشياء أو خلق جميع المخلوقات على مقتضى حكمته وأخرجهم من العدم إلى الوجود.

وفي كتاب «شمس المعارف»: أول آية نزلت على وجه الأرض «بسم الله الرحمن الرحيم» يعني: على آدم الصفي عليه السلام فقال آدم: الآن علمت أن ذريتي لا تعذب بالنار مادامت عليها ثم أنزلت على إبراهيم في المنجنيق فأنجاه الله بها من النار ثم على موسى فقهر بها على فرعون وجنوده ثم على سليمان فقالت الملائكة: الآن وقد تم ملكك فهي آية الرحمة والأمان لرؤسله وأممهم، ولما نزلت على رسول الله وذكرت في سورة النمل ﴿وَإِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(١) كانت فتحاً عظيماً، أمر رسول الله ﷺ فكتب على رؤوس السور وأوائل الرسائل والدفاتر وحلف رب العزة بعزته أن لا يسميه عبد مؤمن على شيء إلا بورك له فيه وكانت لقائلها حجاباً من النار وهي تسعة عشر حرفاً تدفع تسعة عشر زبانية.

وفي الحديث النبوي: «لو وضعت السماوات والأرضون وما فيهن وما بينهن في كفة والبسمة في كفة لرجحت عليها». انتهى.

وإنما وصف نفسه بقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾^(١) لأنه تعالى لما ذكر الربَّ وكانت العرب في الجاهلية تسمي الأصنام أرباباً أتى بالصفة التي لا شركة للأصنام فيها فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ والتخصيص لخلق الإنسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببداية الصنع في خلقته أو تفخيم لشأنه ﷺ إذ هو أشرفهم وعليه نزل القرآن وهو أول المأمور بقراءته ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ وهو الدم الجامد بعد النطفة إذ المراد جنس بني آدم والمراد بيان أطوار الخلقة الإنسانية، إنه تعالى خلق أصله من التراب أو الدم وهو في غاية من المهانة ثم بلغ به مبالغ الكمال مفرغاً في قالب الاعتدال حتى صار بشراً سوياً مهياً للنطق وإدراك المعاني وانتقل من حال إلى حال حتى استكمل إلى أن بلغ درجة النبوة والرسالة وأظهر قدرته بإظهار ما بين حالتي الإنسان بدايةً ونهايةً من التباين وإيراد كلمة العلق بلفظ الجنس والجمع ولم يقل: «علقة» لأن الإنسان في معنى الجمع لأن الألف واللام في الإنسان للاستغراق ولمراعاة الفواصل.

ولما كان الإنسان أقوم الدلائل الدالة على قدرته وعلمه تعالى وصف ذاته بذلك، ولما كان أراد سبحانه أن يعترف المشركون بوحديته لو قال لهم: «اقرأ باسم ربك الذي لا شريك له» لأبوا أن يقبلوا منه ذلك فقدم مقدمة تلجئهم إلى الاعتراف فأمر رسوله أن يقول لهم: إنهم خلقوا من العلق ولا يمكنهم إنكار ذلك ولا يمكنهم أن (ينسبوا) ذلك الفعل إلى الوثن لأنهم هم نحتوه فهذا التدرج إذا تأملوا عرفوا أنه تعالى هو المستحق للثناء دون الأوثان لأن الإلهية موقوفة على الخالقية ومن لا يخلق شيئاً كيف يكون إلهاً

مستحقاً للعبادة؟ على أنها هي مخلوقة^(١).

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ أي: افعل ما أمرت به وكرر الأمر بالقراءة قيل: لأنه أمره في الأمر الأول بالقراءة لنفسه وفي الثاني بالقراءة للتبليغ فحينئذ ليس بتكرار.^(٢) وقيل: التكرار للتأكيد وتمهيداً لما يعقبه من قوله: ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ فإنه كلام مستأنف وارد لإزاحة عذره عليه السلام: «ما أنا بقارئ» حين أمره جبرئيل بالقراءة يريد عليه السلام أن القراءة شأن من يكتب ويقراء وأنا أمي فقيل له: وربك الذي أمرك بالقراءة مبتدئاً باسمه وهو الأكرم والزائد الكرم على كل كريم. ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ أي: علم ما علم بواسطة القلم فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما فوصف نفسه تعالى بخلق الإنسان من علق وبأنه الذي علمه بالقلم، والمناسبة بين الأمرين أن أول أحوال الإنسان كونه علقه وشيئاً خسيساً. وآخر أمره هو صيرورته عالماً وهو مقام شريف وليس هذا الكمال إلا من قدرته تعالى شأنه وتنبه على أن العلم أشرف الصفات ويبقى العلم بالخط والقلم وهو نعمة عظيمة ولو لا القلم ما استقامت أمور الدين والدنيا.

قال كعب الأحبار: من وضع الكتاب آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة كتب بالعربي والسرياني كتبها في العطين ثم طبعه^(٣) فاستخرج إدريس ما كتب آدم وهذا هو الأصح وأما أول من كتب الرمل فإدريس عليه السلام وأول من كتب بالفارسية طهمورث ثالث ملوك الفرس وأول من اتخذ القرطاس يوسف عليه السلام. قال السيوطي: أول ما خلق الله القلم قال له: أكتب ما هو كائن إلى يوم

١- انظر: تفسير الرازي، ج ٣٢، ص ١٥.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٩٩.

٣- الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي، ج ٢، ص ٤٤٢.

القيامة^(١)، وأول ما كتب القلم: (أنا التوَّاب أتوب على من تاب)^(٢).
﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ بدل اشتمال من ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ وتعين للمفعول
أي: علَّمه به وبدونه من الأمور ما لم يكن يعلمه ولم يخطر بباله.
فإن قلت: فإذا كان القلم والنخط من المنن الإلهية فما باله ~~لم يكتب~~ لم يكتب؟
فالجواب أن هذا الأمر مزيد فضل له لا نقيصة لو فرضنا أنه لم يكتب،
وقد ورد في الحديث بخلافه أنه ~~لم يكتب~~ كان يكتب ويعرف سبعين لغة ولو صح
أنه لم يكتب ولم يقرأ لأنه لو كتب لقل: قرء القرآن من صحف الأولين
ولعل المراد من أنه لم يكتب ولم يقرأ أي ما تلمذ في الدرس والكتابة عند
أستاذ وكيف يحتاج إلى الكتابة والدراسة من كان القلم الأعلى يخدمه واللوح
المحفوظ مصحفه بل القلم الأعلى الذي هو أول موجود يكون روح النبوي
فإن الله علَّم القلوب بواسطة ما لم يعلم من العلوم التفصيلية.

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ زدع ومنع لمن كفر بنعمة الله وإن لم يذكر، أو
معناه حقاً أن الإنسان يتجاوز حدّه ويستكبر على ربه لأن رأى نفسه مستغنياً
بعشيرته وبماله، قيل: نزلت في أبي جهل بن هشام من هنا إلى آخر السورة^(٣).

روي أن أبا جهل قال لرسول الله: أتزعم أن من استغنى طغياً فاجعل
لنا جبال مكة فضة وذهباً لعلنا نأخذ منها فنطغي فنذع ديننا ونسبع دينك، فنزل
جبرئيل فقال: «إن شئت فعلنا ذلك ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب
العائدة»، فكف رسول الله ~~صلى الله عليه وسلم~~ عن الدعاء إبقاءً عليهم^(٤) ورحمة، وأول هذه
السورة يدل على مدح العلم وآخرها على مذمة المال وكفى بذلك مرغباً في

١- الإتقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٥٣٢، و الدر المنثور، للسيوطي، ج ٦، ص ٢٥٠.

٢- انظر: الدر المنثور، ج ١، ص ١٦٣، و تفسير ابن أبي حاتم، ج ١، ص ٩٢.

٣- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٠٠، و الكشاف، ج ٤، ص ٢٧١.

٤- الكشاف، ج ٤، ص ٢٧١، و تفسير الرازي، ج ٣٢، ص ٢٠.

العلم ومنفراً عن المال والدنيا وكان ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من غنى يطغى وقر ينسى»^(١).

﴿إِنَّ إِيَّاكَ نَرْجُو﴾ الرجعى مصدر بمعنى الرجوع والألف للتأنيث أي: إن إلى مالك أمرك أيها الإنسان رجوع الكل بالموت والبعث لا إلى غيره فسترى عاقبة طغيانك.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَتَّبِعُ * عَبَثًا إِذَا صَلَّى﴾ الخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية والاستفهام للتعجب والرؤية بصرية وتنكير العبد للتفخيم، روي أن أبا جهل قال في ملا من طغاة قريش: لئن رأيت محمداً يصلي لأطان عنقه وهم أن يلقي على رأسه الشريف حجراً فرآه وهو في صلاة الظهر فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا: مالك؟ فقال: «إن بيني وبينه لخدقاً من نار وهولاً وأجنحة»^(٢)، والمراد أجنحة الملائكة، أبصر اللعين الأجنحة ولم يبصر أصحابها. فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لو دنا مني لاخطفته الملائكة ضواضوا»^(٣). وكان أبو جهل يكنى بأبي الحكم لأنهم كانوا يزعمون أنه عالم ذو حكمة وذلك في الجاهلية ثم سمي أبا جهلاً في الإسلام.

وحاصل معنى الآية: أرأيت من منع من الصلاة ماذا يكون حاله عند الله وما الذي يستحقه من العذاب؟ فحذف لدلالة الكلام على المحذوف والآية عامة في كل صلاة وعن الخير.

كرر سبحانه لفظة التعجب تأكيداً فقال: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ يعني: العبد المنهي عن الصلاة وهو محمد ﷺ ﴿أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَى﴾ عن الشرك وأمر

١- تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ٢٤٦.

٢- تفسير أبي السعود، ج ٩، ص ١٧٩.

٣- فتح القدير، الشوكاني، ج ٥، ص ٤٧١.

بالإخلاص والتوحيد ومخافة الله كيف يكون حال من ينهيه عن هذه الأمور ويزجره عنها.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه خرج في يوم عيد فرأى ناساً يصلون فقال: «يا أيها الناس قد شهدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا اليوم فلم يكن أحد يصلي قبل العيد». فقال رجل: يا أمير المؤمنين ألا تنهى أن يصلوا قبل خروج الإمام؟ فقال: «لا أريد أن أنهى عبداً إذا صلى ولكننا نحدثهم بما شهدنا من النبي صلى الله عليه وسلم»^(١).

وقيل: في معنى قوله: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ يرجع ضمير كان إلى الكافر تلهفاً عليه فمعنى الآية أنه إذا كان وصار على الهدى واشتغل بما ينفعه ويأمر بالتقوى أما كان ذلك خيراً له من الكفر بالله والنهي عن عبادة الله؟ كأنه سبحانه تلهف على ذلك الكافر بأنه كيف فوت على نفسه المراتب العالية وقنع بالدنيا وارتكب الضلالة واختارها على الهدى.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان وأعرض عن قبوله والإصغاء إليه ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَرْى﴾ جواب للشرط الثانية والتقدير أرايت الذي فعل التكذيب والإعراض ما الذي يستحق بذلك من الله تعالى من العقاب، والآية عظة لجميع الناس وتهديد لمن يمنع عن الخير والطاعة، والآية وإن نزلت في أبي جهل لكن كل من نهى عن طاعة الله فهو شريك أبي جهل في هذا الوعيد.

﴿كَلَّا﴾ ردع للناهي عن عبادة الله ﴿لَنْ لَزَيْتَهُ﴾ اللام موطئة للقسم أي: والله لئن لم يتته عما هو عليه ولم ينزجر ولم يتب ولم يسلم قبل الموت ﴿لَتَنفَعَنَّ بِالْأَنَامِيِّ﴾ أصله لنسفن بالخفيفة للتأكيد ونظيره: ﴿وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾^(١) كتب في المصحف بالألف على حكم الوقف فإنه يوقف على

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥١٥، و تفسير نورالثقلين، ج ٥، ص ٦١٠.

١- سورة يوسف: ٣٢.

هذه النون بالألف تشبيهاً لها بالتنوين.

والسفع الجنب والجرّ الشديد أي لناخذن في الآخرة بناصيته ولنسحبته بها إلى النار بمعنى لنامرت الزبانية ليأخذوا بناصيته ويجروه بالتحقير والإهانة إلى النار وكانت العرب تأنف من جرّ الناصية، والاكتفاء بلام العهد عن الإضافة لظهور أنّ المراد ناصية الناهي والمعرض، ولعلّ السبب في تخصيص السفع بالناصية لأنّ أبا جهل اللعين كان شديد الاهتمام بترجيل الناصية وترتيبها وتطييبها وقد وقع السفع للعين يوم بدر في الدنيا قبل الآخرة.

روي أنه لما نزلت سورة الرحمن قال النبي ﷺ: «من يقرؤها على رؤساء قریش؟» فتأقلوا فقام ابن مسعود وقال: أنا، فأجلسه ﷺ ثم قال ﷺ ثانياً: «من يقرؤها عليهم؟» فلم يقم إلّا ابن مسعود وما كان يومئذ عليّ حاضراً ثم قال: «من يقرؤها عليهم؟» فقام ابن مسعود إلى أن أذن له وكان ﷺ يبقي عليه ولا يأذنه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جسّته، ثمّ إنّ وصل إليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح عبد الله قراءة السورة فقام أبو جهل فطمه فشقّ أذنه وأدماها فانصرف ابن مسعود وعينه تدمع فلما رآه ﷺ رقى قلبه وأطرق رأسه مغموماً فإذا جبرئيل جاء ضاحكاً مستبشراً فقال ﷺ: «يا جبرئيل مضحك وبكي ابن مسعود»، فقال جبرئيل: «سيعلم»، فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود أن يكون له حظّ في الجهاد، فقال ﷺ لابن مسعود: «خذ رمحك والتمس في الجرحى من الكافرين فمن كان له رمق فاقطله فإنك تنال ثواب المجاهدين». فأخذ يطلع القتلى فإذا أبو جهل مصروع يخور فخاف عبد الله أن يكون به رمق فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطمه ثمّ لما عرف عجزه لم يقدر أن يصعد على صدره لضعفه وكان نحيفاً جداً فارتقى على صدر اللعين بحيلة فلما رآه أبو جهل قال له: يا رويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعباً.

فقال ابن مسعود: الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، فقال له أبو جهل: بلغ صاحبك أنه لم يكن أحداً أبغض إليّ منه في حال مماتي. روي أنه عليه السلام لما سمع ذلك قال: «فرعوني أشد من فرعون موسى فإنه قال: أمنت، وهو قد زاد عتواً»، ثم قال: «يا ابن مسعود هاك سيفي واقطع به لآته أحد واقطع»، فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فشقّ أذنه وجعل الخيط فيها وجعل يجره إلى رسول الله وجبرئيل كان حاضراً عند رسول الله يضحك ويقول: «يا محمد أذن بأذن لكن الرأس هاهنا مع الأذن مقطوع»^(١).

﴿ نَاصِيَةٌ كَذِبٌ خَائِتَةٌ ﴾ بدل من الناصية وإنما جاز إبدال النكرة من المعرفة لأنها موصوفة، ووصف الناصية بالكذب والخطأ على الإسناد المجازي والمراد صاحبها وفي الكلام مبالغة في الكذب والخطأ كأنه من شدة كذبه وكثرة خطائه ظاهر في ناصيته.

﴿ قَلْبٌ نَادِيَةٌ ﴾ من الدعوة يعني: أهل ناديه ومجلسه ليعينوه. والنادي المجلس الذي يجتمعون ويتدون فيه القوم. روي أن أبا جهل مرّ برسول الله وهو يصلي فقال: ألم ننهك؟ فأغلظ له رسول الله فقال أبو جهل: أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً^(٢)؟ ودار الندوة بمكة، فنزلت: ﴿ سَنَدٌ الزَّانِيَةُ ﴾ أي: ملائكة العذاب. قال عليه السلام: «لو دعا ناديه لأخذته الزانية هانأ»^(٣). وحذف الواو من غير قاعدة إلا أنه اجتمعت المصاحف العثمانية في حذف الواو من ﴿ سَنَدٌ ﴾ ولعلّ السبب فيه للمشكلة مع ﴿ قَلْبٌ ﴾ وقال ابن خالويه: إن الأصل سندعو بالواو غير أن الواو ساكنة فاستثقلتها اللام الساكنة فسقطت

١- تفسير الرازي، ج ٣٢، ص ٢٣.

٢- الكشاف، ج ٤، ص ٢٧٢، و تفسير الصافي، ج ٧، ص ٥١٧.

٣- الكشاف، ج ٤، ص ٢٧٢.

الواو في المصحف من سُدْعٍ ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ﴾^(١) و﴿وَيَمْنَعُ اللَّهُ الْبَطْلَ﴾^(٢) وكذلك الياء من ﴿وَادِ النَّعْمِ﴾^(٣) و﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٤) والزبانية في الأصل في كلام العرب الشرط كصرد جمع شرطة بضم الشين وهم أعوان الولاة سموا بذلك لأنهم أعلموا وعرفوا أنفسهم بعلامات يعرفون بها، والأشراط العلائم والواحد زبينة من الزين كالضرب وهو الدفع لأنهم يدفعون الكفار ويزبنونهم في جهنم بدفع شديد وقيل: الواحد زبني^(٥).

﴿كَلَّا﴾ ردع بعد ردع للناهي المذكور ﴿لَا تُطَعَّ﴾ أي: ثم على صلاتك ومعاصاة ذلك الناهي الكاذب الخاطيء ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ وواظب سجودك غير مكترث به وتقرّب بذلك السجود إلى ربك، وفي الحديث: «أقرب ما يكون العبد من ربه إذا سجد فأكبروا من الدعاء في السجود».

روي أن إبراهيم الخليل عليه السلام أضاف يوماً مائتي مجوسي فلما أكلوا قالوا: مرنا يا إبراهيم قال: إن لي إليكم حاجة فقالوا: ما حاجتك؟ قال: اسجدوا لربي سجدة واحدة فتشاوروا فيما بينهم فقالوا: إن هذا الرجل قد صنع معروفاً كثيراً فلو سجدنا لربه ثم رجعنا إلى آلهتنا لا يضرنا بشيء، فسجدوا جميعاً فلما وضعوا رؤوسهم على الأرض ناجى إبراهيم ربه فقال: إني جهدت جهدي حتى حملتهم على هذا ولا طاقة لي على غيره وإنما التوفيق منك اللهم زين صدورهم بالإسلام، فلما رفعوا رؤوسهم من السجود أسلموا.

وللسجدة أقسام: سجدة الصلاة وسجدة التلاوة مثل هذه الآية، وسجدة

١- سورة الإسراء: ١١.

٢- سورة الشورى: ٢٤.

٣- سورة النمل: ١٨.

٤- سورة الحج: ٥٤.

٥- التبيان، ج ١٠، ص ٣٨٢، والكشاف، ج ٤، ص ٢٧٢.

السهو، وسجدة التعظيم لجلال الله، وسجدة التضرع إليه خوفاً وطمعاً، وسجدة الشكر وسجدة المناجاة. وهذه - ما عدا الثلاثة الأول - مستحبة صادرة عن الملائكة والأنبياء والأولياء وقيل: إنه ﷺ قرأ في سجدة اقرأ: «أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضائك من سخطك وأعوذ بك منك»^(١).

تمت السورة بعون الله.

سورة القدر

مكية. وقيل: مدنية. عن النبي ﷺ: «من قرأها أصطى من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر». وعن أبي عبد الله عليه السلام: «من قرأها في فريضة من الفرائض نادى مناد يا عبد الله قد ضفر لك ما مضى فاستأنف العمل». وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «من قرأها بجهر كان كشاهر سيفه في سبيل الله ومن قرأها سرا كان كالمتشخط بدمه في سبيل الله ومن قرأها عشر مرات محا الله ألف ذنب من ذنوبه»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ①
وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ②
لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ
مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③
نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ④
سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ⑤

النون نون العظمة أو للدلالة على الذات والصفات والأسماء، والضمير للقرآن لأن شهرته تقوم مقام تصريحه وذكره، فكأنه حاضر في الأذهان وأسند إنزاله إلى جنبه مع أن نزوله إنما يكون بواسطة جبرئيل على طريقة القصر بتقديم الفاعل المعنوي فاكتمى بذكر الأصل عن ذكر التبع. ومعنى صيغة الماضي أنا حكما بإنزاله في ليلة القدر وقدرناه في الأزل.

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٠٣.

فلو قيل: إن الإنزال يستعمل في الدفعي والقرآن لم ينزل جملة واحدة بل أنزل مفترقاً في ثلاث وعشرين سنة.

جوابه أن المراد أن جبرئيل نزل به جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا وأملأه على السفارة أي الملائكة الكاتبين في تلك السماء ثم كان ينزل على النبي ﷺ منجماً على حسب الحاجة والمصالح وكان ابتداء تنزيله أيضاً في تلك الليلة.

وفيه إشارة إلى أن بيت العزة أشرف المقامات السماوية بعد اللوح المحفوظ لنزول القرآن منه إليه ولذلك قالوا بفضل السماء الدنيا الأولى على أخواتها لأنها مقر الوحي الإلهي ولشرف المكان بالمكين فالمكان الشريف يزداد شرفاً بالمكين الشريف، وفي التدرج تسهيل العمل به والحفظ وتثبيت للفؤاد. وكلام الله المنزل قسمان: القرآن والخبر القدسي لأن جبرئيل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى لأن جبرئيل أداها بالمعنى، ولم يجز القرآن بالمعنى لأن جبرئيل أداها باللفظ، والسر في ذلك التعبد بلفظه والإعجاز به وبخصوصياته فإنه لا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه من الإعجاز لفظاً ومن الأسرار معنى فكيف يقوم لفظ الغير ومعناه مقام حرف القرآن ومعناه. فإن قيل: ما السبب أن الملائكة بأسرهم صعقوا ليلة نزول القرآن من حضرة اللوح المحفوظ إلى حضرة بيت العزة؟ السبب أن محمداً وقرآنه عندهم من أسرار القيامة فنزوله دل على قيام الساعة فصعقوا هيبة منه وإجلالاً لكلامه وحضرة وعده ووعيده.

﴿ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ وإنما سميت بليلة القدر قيل: لأنه أنزل فيها كتاب ذو قدر إلى رسول ذي قدرٍ لأجل أمة ذي قدر على يد ملك ذي قدر^(١)، أو لأن

الله قدر فيها بما يكون في السنة بأجمعها من الأمور، وقيل: لأنه من لم يكن ذا قدر إذا أحيها صار ذا قدر،^(١) أو لأن للطاعات فيها قدراً عظيماً وثواباً جزيلاً وقيل: سميت بذلك لتضييق فيها بالملائكة من قوله: ﴿وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْكَ رِزْقُهُ﴾^(٢). ولعل الحكمة في إنزال القرآن ليلاً لأن أكثر الكرامات ونزول النفحات والإسراء إلى السماوات كان في الليل، والليل من الجنة لأنها محل الاستراحة، والنهار من النار والحركة والحرارة والتعب وفيه سعي المعاش وتعب المشاغل، والليل حظ الفراش والوصال، وعبادة الليل أفضل من عبادة النهار وقلب الإنسان أفرغ للعبادة، وقد مر بيان ليلة القدر في سورة الدخان وعند الأكثر أنها واقعة في العشر الأواخر من رمضان في أوتارها.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ أي: وأي شيء أعلمك يا محمد ما هي وما كنهها لأن قدرها وعلوها خارج عن دائرة دراية الخلق وهو تعظيم للوقت الذي أنزل فيه فمن بعض فضل ذلك الوقت أنه يرتفع سؤال القبر عمّن مات فيها.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ عبادتها وقيامها ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ صيامها وقيامها ليس فيها ليلة القدر حتى لا يلزم تفضيل الشيء على نفسه و﴿خَيْرٌ﴾ في الآية للتفضيل أي: أفضل وأعظم قدراً من تلك المدة وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر.

وفي الحديث: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»^(٣)، «ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»^(٤). ومعنى إيماناً واحتساباً أي بنية وعزيمة طيبة به نفسه غير كارهة له ولا مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه بل يغتم طول أيامه لعظم الثواب لكن قال بعض

١- المصدر السابق نفسه، تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ٢٤٨.

٢- سورة الطلاق: ٧.

٣- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٠٩، وكنز العمال، ج ٨، ص ٥٣٨.

٤- كنز العمال، ج ٨، ص ٤٦٥.

المحققين: المراد من قوله «غفر الله ما تقدم من ذنبه» الصغائر، وزاد بعضهم: وإذا لم يصادف صغيرة يخفف عن الكبائر والمراد من قوله: «وما تأخر» كناية عن حفظهم من ارتكاب الكبائر بعد ذلك أو أن تقع ذنوبهم مغفورة.

وقال بعض: إن ليلة القدر ليلة الآخرة من رمضان واستدل بقوله ﷺ:

«إن الله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان أعتق ألف ألف عتيق من النار عند الإفطار كلهم استوجبوا العذاب فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق الله في تلك الليلة بعدد من أعتق من أول الشهر إلى آخره^(١) والليلة الأولى للصائمين كمن ولد له ذكر فهي ليلة شكر والليلة الأخيرة ليلة الفراق كمن مات له ولد فهي ليلة صبر وفراق وفرق بين الشكر والصبر، وكان ﷺ ليلة الأخيرة من رمضان يكثر من قوله: «اللهم إنك عفوٌ رحيمٌ الغفورُ فاعف عني^(٢) اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافة في الدين والدنيا والآخرة».

قال ابن عباس: (إن الله يقدر في ليلة القدر من تلك السنة من مطر ورزق وإحياء وإماتة إلى غيرها من السنة الآتية فيسلمه إلى مدبرات الأمور من الملائكة فيدفع نسخة الأرزاق والنباتات والأمطار إلى ميكائيل ونسخة الحروب والرياح والزلازل والصواعق والخسف إلى جبرئيل ونسخة الأعمال إلى إسرافيل ونسخة المصائب إلى ملك الموت).

قال الشاعر:

فكم من فتى يمسي ويصبح آمناً . وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

وكم من عروس زينوها لزوجها . وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

وقيل: إنه ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل اسمه شمسون لبس السلاح

١- الدرالمثور، للسيوطي، ج ١، ص ١٨٦.

٢- كنز العمال، ج ٨، ص ٥٨٨، و تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ٢٥٥.

في سبيل الله ألف شهر فتعجب المؤمنون منه وتفاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا الليلة هي خير من مدة ذلك الغازي^(١). وقيل: رأى النبي أعمار الأمم كافة فاستقصر أعمار أمته فخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر وجعل عبادتها خيراً من ألف شهر لم يكن فيها ليلة القدر. وقيل: كان ملك سليمان مدة خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل العمل في هذه لمن أدركها خيراً من ملكهما^(٢). وروي عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال حين عوتب في تسليمه الأمر لمعاوية: «إن الله أرى نيته عليه السلام في المنام أن بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فاختم لذلك فأعطاه الله ليلة القدر وهي خير له ولنزته من ألف شهر وهي مدة ملك بني أمية وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس هذا القدر من الزمان».

وقيل - والقول ضعيف - : إن فضلها كان لنزول القرآن وانقطعت فكانت مرة لكن الجمهور على أنها باقية آتية في كل سنة فضلاً من الله تعالى. قال بعض الأكابر من أهل الليل: من قرأ كل ليلة عشر آيات على تلك النية لم يحرم ثوابها وأقل صلاة ليلة القدر ركعتان وأوسطها مائة ركعة وأكثرها ألف ركعة.

﴿ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴾ استيناف مبين ومقرر لماله فضلت على ألف شهر. و﴿ نَزَّلَ ﴾ بحذف إحدى التاءين، وقد سبق معنى الروح في سورة النبا وهو ملك عظيم لو التقم السماوات والأرضين كانت له لقمة واحدة وهو في المحشر يقف صفاً وتمام الخلق من الملائكة وغيرهم صفاً وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا وفي كل رأس ألف وجه وفي كل وجه ألف فم

١- تفسير الكشاف، ج ٤، ص ٢٧٣.

٢- تفسير أبي السعود، ج ٩، ص ١٨٣.

وفي كلِّ ألف لسان يسبح الله بكلِّ لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد لكلِّ لسان لغة لا تشبه الأخرى، فإذا فتح أفواهه بالتسبيح خرَّ كلُّ ملائكة السماوات سجداً مخافة أن يحرقهم نور أفواهه وهو يسبح الله غدوة وعشيّة فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من أمة محمد ﷺ بتلك الأفواه كلّها إلى طلوع الفجر.

وقيل: الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلّا ليلة القدر^(١) كالزهاد الذين لا تراهم إلّا يوم العيد. وقيل: المراد عيسى عليه السلام لأنه اسمه فإن اسم عيسى الروح وينزل في مرافقة الملائكة ليطالع أمة محمد. وقيل: المراد من الروح جبرئيل وإنما خصّ بالذكر لشرافته في أمانة الوحي. وقيل: المراد بالروح الوحي كما قال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾^(٢) أي: تنزل الملائكة ومعهم الوحي بتقدير الخيرات والأمر في تلك الليلة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ متعلق بقوله: ﴿نَزَّلْنَا﴾ أي: بأمره تعالى ﴿مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿نَزَّلْنَا﴾ أي: من أجل كلِّ أمر قدر في تلك السنة ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ سلام خبر قدم لإفادة الحصر مثل «تميميّ أنا» أي: ما هي إلّا سلامة وكلّ ما ينزل في هذه الليلة لا يستطيع الشيطان فيه سوءاً وكلّها خير، والليلة ليست نفس السلامة بل ظرف لها ومع ذلك وصفت بالسلامة للمبالغة في اشتمالها عليها أو المعنى ما هي إلّا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين فيها. وفي الحديث «ينزل جبرئيل ليلة القدر في كبكبة من الملائكة مضاءة يصلون ويسلمون على كلِّ عبد قائم لو قاعد يذكر الله حتى طلوع الفجر - أي حتى وقت

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤١٠، و تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ٢٥٨.

٢- سورة الشورى: ٥٢.

طلوعه والمضاف مقدر - ثم يصعدون إلى السماء^(١).
قيل: علامة ليلة القدر أنها ليلة لا حارة ولا باردة ويطلع الشمس
صبيحتها لا شعاع لها لأن الملائكة تصعد إلى السماء فيمنع صعودها وكثرتها
انتشار شعاع الشمس.
تمت السورة بعون الله.

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

قيل: مكية وقيل: مدنية.

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم الناس ما في «لم يكن» لعطلوا الأهل والمال وتعلموها»، وقال رجل من خزاعة: ما فيها من الأجر يا رسول الله؟ فقال: «لا يقرؤها منافق أبداً ولا يقرؤها عبد في قلبه شك في الله وإن الملائكة المقربين ليقرؤها منذ خلق السماوات والأرض لا يفترون من قراءتها، وما من عبد يقرؤها بليل إلا بعث الله ملائكة يحفظونه في دينه ودنياه ويدعون له بالمغفرة فإن من قرءها نهاراً أعطي عليها من القواب مثل ما أضاء عليها النهار وأظلم عليها الليل». فقال رجل من قيس عيلان: زدنا يا رسول الله من هذا الحديث فذاك أبي.

فقال ﷺ: «تعلموا «عم يتساءلون» و«ق والقرآن» وتعلموا «والسما ذات البروج» وتعلموا «والسما والطارق» فإنكم لو تعلمون ما فيهن لعطلتم ما أنتم فيه وتهزتم بهن إلى الله وأن الله يفر بهن كل ذنب إلا الشرك بالله، واعلموا أن «تبارك الذي بيده الملك» يجادل عن صاحبها يوم القيامة وتستغفر له من الذنوب».

روي أبو بكر الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من قرأ سورة «لم يكن» كان بريئاً من الشرك وأدخل في دين محمد وبعثه الله مؤمناً وحاسبه الله حساباً يسيراً»^(١).

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤١١، و انظر: تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ٢٥٩.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ
 ① رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ② فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ③ وَمَا نَفَرَقَ
 الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ④ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا
 اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ
 ⑤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا
 أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ⑥ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ
 خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ⑦ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
 فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ⑧

﴿لَمْ يَكُنِ﴾ الكفار من أهل الكتاب من اليهود والنصارى و﴿مِنْ﴾ للتبيين لا للتبعيض ومن المشركين الذين هم عبدة الأوثان وهم الذين ليس لهم كتاب من العرب وغير العرب ﴿مُنْفِكِينَ﴾ وزائلين ومنفصلين عن كفرهم وشركهم ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ اللفظ لفظ الاستقبال ومعناه المضي مثل قوله: ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ﴾^(١) أي: ما تلت الشياطين، وحاصل المعنى أن الكفار والمشركين لم ينتهوا عن كفرهم وضلالهم حتى أتاهم محمد فيبين لهم ضلالهم عن الحق. والمراد من ﴿الْبَيِّنَةُ﴾ النبي ﷺ من البيئوتية فإن البيئنة تميز ويفرق الحق من الباطل ويجعل بينهما بونا، وقوله: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ بدل من البيئنة أو عطف بيان وتفسير لها وقيل: المعنى لم يكونوا متروكين ومنفصلين من حجج الله حتى أتتهم البيئنة التي تقوم بها الحججة عليهم.

﴿يَتْلُوا﴾ عليهم صفة اخرى للرسول ﷺ ﴿صُحُفًا﴾ الصحف جمع

الصحيفة وهي ظرف المكتوب ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ أي: منزَّهة من الباطل ولا يمَسُّها إلَّا الملائكة المطهَّرون ونسبة التلاوة إلى الصحف عبارة عمَّا فيها بعلاقة الحلول والمراد أنه ﷺ يتلو عليهم القرآن لأن القرآن مصدِّق لصفح الأولين ومطابق لها في أصول الشرائع فإذا كان كذلك فإذا تلي عليهم القرآن تلي صحف الأولين فدعاهم ﷺ إلى التوحيد والإيمان.

﴿فِيهَا كُتِبَ قِسْمَةٌ﴾ صفة لصفح أي: في تلك الصحف أمور مكتوبة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب غير ذات عوج وقيل: المعنى: في سور القرآن كتب مستقيمة يشتمل على أنواع من العلوم كلِّ نوع كتاب^(١) في فرائض الله وإنَّ في القرآن مجمع ثمرة كتب الله المتقدمة.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: وما اختلف هؤلاء الكفار من أهل الكتاب في أمر محمد ﷺ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ بعد ما جاءتهم البشارة في كتبهم وعلى السنة رسلهم فكانت الحجَّة قائمة عليهم وقيل: المعنى ولم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد ﷺ وينتظرونه حتَّى بعث الله فلماً بعث تفرَّقوا في أمره واختلفوا فأمن به بعض وكفر آخرون وإفراد أهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وأنهم لمَّا تفرَّقوا مع علمهم كان غيرهم أولى بذلك فخصَّوا بالذكر لأن إنكار العالم أقبح من إنكار الجاهل مع أن المشركين قد تمت عليهم الحجَّة وبلغهم هذا الأمر ممَّن تقدَّمهم من أهل العلم منهم.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا أي ما أمروا في كتبهم ولم يأمرهم إلَّا لأن يعبدوا الله وحده ولا يشركون بعبادته فهذا ممَّا لا اختلاف فيه من قبل ولا من بعد ولا تبدل فيه. و«اللام» عندنا

وعند المعتزلة لام الغرض لكن الغرض نفعه راجع إلينا وهو مستغن عن كل شيء ونفع.

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ حال من فاعل في «ليعبدوا» أي: جاعلين عبادتهم خالصة لله في الدين من غير تشريك ويكون لداعية واحدة وهو وجه الله.

﴿حُنَفَاءَ﴾ مائلين عن الشرك والأديان الباطلة مؤمنين بالرسول والملة الحنيفة الشريفة المستقيمة المائلة إلى الحق، وأصله الميل ومن ذلك الأحنف المائل القدم إلى جهة القدم الأخرى وقيل: أصله الاستقامة وإنما قيل «المائل القدم» أحنف تفاؤلاً، وبالجملة قوله: ﴿حُنَفَاءَ﴾ تأكيد لقوله: ﴿مُخْلِصِينَ﴾ فإذا كان بمعنى الميل فمعناه مائلين عن جميع العقائد الفاسدة الزائفة إلى الإسلام وإذا كان بمعنى الاستقامة فالمعنى واضح، قال ابن جبير: لا يسمى أحد حنيفاً حتى يحج ويختن لأن الله وصف إبراهيم عليه السلام بكونه حنيفاً وأنه حج وختن نفسه، وقيل: الحنيفة الختان وتحريم البنات والأخوات والأمهات والخالات وإقامة المناسك وإقامة الصلاة وأداء الزكاة وأداء ما فرض عليه.

﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ فذكر سبحانه الصلاة التي هي العمدة في باب العبادات البدنية والزكاة التي هي أساس العبادات المالية و﴿وَذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من عبادة الله بالإخلاص وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ﴿وَدِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ أي: دين الملة المحكمة وأضاف الدين إلى ﴿الْقَيِّمَةِ﴾ وهي نعته لاختلاف اللفظين وقد حصل التغاير بإضافة الشيء إلى نعته في كلام العرب كثير مثل قوله: ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ﴾^(١) وفي موضع آخر ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ﴾^(٢) والدار هي الآخرة وعذاب الحريق وكذلك مسجد الجامع.

١- سورة الانعام: ١٦٨.

٢- سورة الأعراف: ٣٢.

ولمّا كان بعض أهل الأديان بالغوا في باب الأعمال من غير إحكام أصولهم كاليهود والنصارى وبعض الرهبانية والمجوس وبعضهم حصلوا الأصول وأهملوا الفروع وهم المرجئة الذين يقولون: لا تضر المعصية مع الإيمان^(١)، فالله خطأ الفريقين في هذه الآية ويبيّن أنه لا بدّ من العلم والعمل مع الإخلاص وذلك المجموع كلّ هو الملة المستقيمة فكما أنّ مجموع الأعضاء بدن واحد كذلك هذا المجموع دين واحد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ بيان لحالهم الاخروي وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم بأهل الكتاب حسب اختصاص علم أهل الكتاب بشواهد النبوة في كتابهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مؤبدين لأجل كفرهم

والحكم للفريقين لا ينافي تفاوت عذابهم في الكيفيّة فإنّ جهنّم دركات. ﴿أُولَئِكَ﴾ المذكورون ﴿هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ البرية جميع الخلق لأنّ الله برأهم وأوجدهم بعد العدم أي هم شرّ الخليقة أعمالاً وتقديم ضمير الفصل لإفادة الحصر كيف لا وهم شرّ من السراق لأنهم سرقوا من كتاب الله نعوت النبي ﷺ وشرّ من قطاع الطريق لأنهم قطعوا الدين الحقّ على الحقّ وشرّ من الجهال الفسقة الأجلاف الذين يرتكبون المعاصي لأنّ الكفر مع العلم يكون كفر عناد فيكون أقبح من كفر الجهال.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ومعلوم أنّ كلّ مكلف ليس مكلفاً بجميع الأعمال بل لكلّ منهم حظّ فحظّ الغنيّ الإعطاء والإنفاق والحجّ وأمثاله وحظّ الفقير القناعة والصبر وهكذا ﴿أُولَئِكَ﴾ المنعوتون من الإيمان والطاعة ﴿هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ واستدلّ بالآية على أنّ البشر أفضل من الملك لظهور

أن المراد بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هو البشر. والبرية يشمل الملك والجن.
 ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ بمقابلة إيمانهم وطاعاتهم دخول ﴿جَنَّتْ عَدْنِ﴾
 قال ابن مسعود: عدن بطنان الجنة ووسطها ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وجريان
 أنهار الجنة بغير أ حدود، والألف واللام في ﴿الْأَنْهَارُ﴾ للتعريف منصرفة إلى
 الأنهار الأربعة المذكورة في القرآن فكما أن طاعة العبد كانت حاصلة وجارية
 مادام كان حياً فكذلك الأنهار الأربعة جارية له إلى أبد الأباد وكذلك يقتضي
 معاملة الكريم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ متنعمين بفنون النعم.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ استيناف مبين لما يتفضل به عليهم وهو جنة روح
 المؤمن لأن رضى الرب ألد من كل نعمة لروح المؤمن ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ حيث
 بلغوا من النعم الغاية القصوى وأعطوا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
 خطر على قلب بشر ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ إشارة إلى المذكور من الجزاء
 والرضوان كما قال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾^(١).

وروي في شواهد التنزيل للحاكم أبي القاسم الحسكاني قال: أخبرنا أبو
 عبد الله الحافظ بالإسناد المرفوع إلى يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب علي
 أمير المؤمنين عليه السلام قال: سمعت علياً يقول: «قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا مسنده إلى
 صدري، فقال صلى الله عليه وآله: يا علي ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ هم شيعتك وموعدي وموعدكم العوض إذا اجتمعت
 الأمم للحساب يدعون غزاً محجلين». وفيه عن مقاتل بن سليمان عن الضحاک عن
 ابن عباس في قوله: ﴿هُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال: نزلت في علي وأهل بيته عليهم السلام^(٢).
 تمت السورة بعون الله.

١- سورة الرحمن: ٤٦.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤١٥.

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

مدنية. عن ابن عباس وقتادة وعن الضحاك وعطا أنها مكية. من قرأها كأنما قرأ البقرة وأعطى من الأجر كمن قرأ ربع القرآن^(١). المناسبة بين السورة المتقدمة وهذه السورة أنه تعالى لما قال: ﴿جَزَأَوْهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فكان المكلف قال: ومتى يكون ذلك يا رب؟ فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ لأنه لا سبيل إلى تعيين وقته لعدم المصلحة ولكن أبين علاماته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَٰذَا ③ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ⑥ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧

﴿إِذَا﴾ حركة ﴿الْأَرْضُ﴾ تحريكاً عنيفاً شديداً لا غاية وراءه ﴿زِلْزَالَهَا﴾ الموعود به والزلازل بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى المصدر، وفعلال لا يوجد إلّا في المضاعف ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أي: الثقلين أي: وأخرجت موتها المدفونة فيها تخرجها أحياء للجزاء، وقيل: إخراجها

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤١٦.

من الكنوز ومعادنها فتلقبها على ظهرها ليراها أهل الموقف ويكون الفائدة أن يتحسروا العصاة وأهل الدنيا إذا نظروا إليها لأنهم عصوا الله فيها ثم تركوها لا تغني عنهم شيئاً، وأيضاً فإنه تكوى بها جباههم وظهورهم فحينئذ المراد من الأثقال الموتى وكنوز الأرض لكن الكنوز عند زلزال النفخة الأولى والأموات عند النفخة الثانية وفي الخبر «تفيء الأرض أفلاد كبدها أمفال الأسطوانة من الذهب والفضة فيجيء القائل فيقول: في هذا قتلت وبييء القاطع رحمه فيقول: في هذا قطعت رحمي وبييء السارق ويقول: في هذا قطعت يدي».

قيل: يمتلئ وجه الأرض ذهباً، كأن الذهب يصيح: أما كنت تخرب دينك ودنياك لأجلي^(١)؟! ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ كل فرد من أفرادها لما يغشاهم من الأهوال ﴿مَا لَهَا﴾ أي: أي شيء للأرض زلزلت هذه الزلزلة الشديدة؟ استعظاماً لما يشاهده من الأمر الهائل لكن المؤمن يقول بعد الإفاقة ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٢) والكافر يقول: ﴿قَالُوا بَنَيْنَا مِن بَعَثْنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من «إذا» ﴿تُخْبِتُ أَخْبَارَهَا﴾ أي: تخبر الأرض ذلك اليوم ما عمل عليها قال النبي: أخبرها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا^(٣) فيجوز أن يكون الله أحدث الكلام فيها فتقدر على النطق ويجوز أن يظهر فيها ما يقوم مقام النطق فعبر عنه بالكلام كما يقال: عينك تشهدان بسهرك.

روي أن أبا أمية صلى في المسجد الحرام المكتوبة ثم تقدم فجعل

١- تفسير الرازي، ج ٣٢، ص ٥٨.

٢- سورة يس: ٥٢.

٣- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤١٩، وكنز العمال، ج ٢، ص ١٤، و مسند أحمد، ج ٢، ص ٣٧٤.

يصلّي هاهنا وهاهنا فلما فرغ قيل له: يا أبا أمية ما هذا الذي تصنع؟ قال: قرأت هذه الآية: ﴿يَوْمَ يُنَادِي بُرَّاءٌ أَهْلَهُ﴾ فأردت أن تشهد لي يوم القيامة^(١). فطوبى لمن شهد له المكان بالذكر والتلاوة والصلاة ونحوها، وويل لمن شهد عليه بالزنى والشرب والسرقة والمساوي وإن لله على الإنسان سبعة شهود: المكان كما قال: ﴿يَوْمَ يُنَادِي بُرَّاءٌ أَهْلَهُ﴾ والزمان كما في الخبر: «ينادي كل يوم: أنا يوم جديد، وأنا على ما تعمل في شهيد»^(٢) واللسان كما قال: ﴿يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتَهُمْ﴾^(٣) والأركان كما قال تعالى: ﴿وَوَكَّلْنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ﴾^(٤) والملكان كما قال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾^(٥) والديوان كما قال: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾^(٦) والرحمن كما قال: ﴿صَكَّنَا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾^(٧) فكيف يكون حال العاصي بعد ما شهد عليه هؤلاء الشهود وكان علي^{عليه السلام} إذا فرغ بيت المال صلى فيه ركعتين ويقول: «لشهدي إني ملائكتك بحق وفرغتك بحق». ﴿يَا أَيُّهَا رَبَّنَا أَنْتَ أَوْحَيْتَ لَهَا﴾ أي: تحدثت الأرض أخبارها بسبب إحياء ربك لها وأمره إياها بالتحديث.

﴿يَوْمَ يُنَادِي بُرَّاءٌ أَهْلَهُ﴾ أي: يوم إذ يقع ما ذكر ﴿يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ وهو قيامهم ورجوعهم بعد الورود للبعث ﴿أَشْنَانًا﴾ أي: متفرقين في النظام أي: حال كونهم متفرقين مؤمنين وكافرين ومنافقين ومختلفة الزي: بيض الوجوه

١- تفسير الرازي، ج ١٠، ص ٢٦٥.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٥٣٢، باختلاف يسير، و تفسير النسفي، ج ٤، ص ٣٢٨.

٣- سورة النور: ٢٤.

٤- سورة يس: ٦٥.

٥- سورة الانفطار: ١٠.

٦- سورة الجاثية: ٢٨.

٧- سورة يونس: ٦١.

والثياب آمين ينادي المنادي بين يديه: هذا وليّ الله، وسود الوجوه حفاة عراة مع السلاسل والأغلال فزعين ينادي المنادي بين يديه: هذا عدوّ الله.

وعن ابن عباس أن جبرئيل جاء إلى النبي يوماً فقال: «يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول: مالي أراك مغموماً حزيباً» وهو أعلم به فقال ﷺ: «يا جبرئيل قد طال فكري في أمر امتي يوم القيامة» قال: يا محمد في أمر أهل الكفر أم في أمر أهل الإيمان؟ قال: «يا جبرئيل لا بل في أمر أهل الإيمان وأهل لا إله إلا الله». قال: فأخذ بيده وأقامه على مقبرة بني سلمة فضرب بجناحه الأيمن على قبر ميّت فقال: «قم ياذن الله». فقام رجل مبيضّ الوجه وهو يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله الحمد لله ربّ العالمين، فقال له جبرئيل: «عد». فعاد كما كان ثمّ ضرب بجناحه الأيسر على قبر ميّت فقال: قم «ياذن الله» فخرج رجل مسودّ الوجه أزرق العين وهو يقول: وا حسرتاه وا سواتاه، فقال له: «عد». فعاد كما كان. ثمّ قال جبرئيل: «هكذا يبعثون يوم القيامة على ما ماتوا عليه»^(١).

أقول: وكان ذلك في أوائل الأمر حيث لم يتعيّن الوصي بعد للناس ولم يتعيّن ولاية أمير المؤمنين ظاهراً وإلّا فالإقرار بالولاية من شروط تحقق الإيمان وبدونها لا ينفع كما في الحديث القدسي: «ولو أن عبداً عبدني وصام صر الدهر وقام وعبد حتى صار كالشئ البالي وأتاني خير موال لعلي بن أبي طالب أكبه على منخريه في النار»^(٢).

﴿لَيْسَ رَأْيَ أَعْمَلِهِمْ﴾ أي: جزاء أعمالهم عن ابن عباس وقيل: معنى الرؤية هنا المعرفة بالأعمال عند تلك الأحوال أو يروا صحائف أعمالهم

١- راجع بحار الانوار، ج ٧، ص ٤٠.

٢- انظر: بحار الانوار، ج ٣٦، ص ٢٤٥.

فيقرؤون ما فيها ﴿لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^(١) ويجوز أن يكون للأعمال صور نورانية وظلمانية فيكون الرؤية حقيقة^(٢).

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ والمِثْقَال مقدار الوزن، والذرة النملة الصغيرة أو ما يرى في شعاع الشمس من الهباء فمن يعمل مثقال ذرة من الخير ير ثوابه وجزاءه ومن يعمل وزن ذرة من الشر ير ما يستحقّ عليه من العقاب إذا كان مما لم يعفه الله، فإنّ الثائب معفو عنه بلا خلاف وقيل: معناه فمن يعمل مثقال ذرة خيراً وهو كافر ير ثوابه وأجره في الدنيا في نفسه وولده وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شراً وهو مؤمن ير عقوبته في الدنيا في نفسه وأهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شرّ وعقوبة.

قال مقاتل: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره يوم القيامة في كتابه يتفرّح به وكذلك من الشرّ يره في كتابه فيسوؤه ذلك، قال: وكان أحدهم يستقلّ أن يعطي اليسير ويقول: إنّما نوجر على ما نعطي ونحن نحبه وليس اليسير ممّا نحبه وكان يقول أحدهم: إنّما وعد الله النار على الكبائر ويتهاونون بالصغائر فأنزل الله هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير ويحذّرهم من اليسير عن الشرّ قال ابن عباس: إنّها أحكم آية في القرآن وسمّيت بالجامعة.

وعن أبي عثمان المازني عن أبي عبيدة قال: قدم صعصعة بن ناجية جدّ الفرزدق على رسول الله في وفد من بني تميم فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أوصني خيراً فقال: «أوصيك بأتمك وأبيك ودانك». قال: زدني. قال: «احفظ ما بين لحيك ورجليك...»^(٣).

١- سورة الكهف: ٤٩.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤١٩.

٣- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٢٠.

وفي رواية أنه سمع ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ * وَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ فقال: حسبي ما أبالي لا أسمع من القرآن غير هذا.
تمت السورة بعون الله.

سُورَةُ الْعَنَادِيَاتِ

قيل مكة، وقيل مدنية. عن النبي ﷺ «ومن قرأها أصطى من الأجر بعدد من بات بالمزدلفة». وعن الصادق عليه السلام: «ومن قرأها وأدمن قراءتها بعفه الله مع أمير المؤمنين يوم القيامة وكان من رقائه»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَدِيَّتِ ضَبْعًا ① فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا ② فَالْمُعِيرَاتِ ضَبْعًا ③ فَاتْرَنَ بِهِ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَلًا فِي الْقُبُورِ ⑨ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪

﴿وَالْعَدِيَّتِ﴾ جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وياؤها مقلوبة عن الواو لكسرة ما قبلها أقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو ﴿ضَبْعًا﴾ مصدر منصوب إما بفعله المحذوف أي: حال كونها تضبح ضبحاً وهو صوت أنفاسها عند عدوها وإما بالعاديات فإن العدو مستلزم للضبح.

﴿فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا﴾ الإبراء: إخراج النار والقذح الضرب فإن الخيل تضربن بحوافرهن وسنابكهن الحجارة فيخرجن منها ناراً يقال: قذح الزند

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٢١، و أيضاً رواه المجلسي في البحار، ج ٧، ص ٢٩٨.

فأورى وقدح فأصلد أي صوت ولم يور، والمعنى توري النار من حوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحجارة^(١) وانتصاب ﴿قَدْحًا﴾ كانتصاب ضبحاً أي: تقدح قدحاً أو القادحات قدحاً.

﴿فَالْتَغَيَّرَتْ سُبْحًا * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ عطف على الفعل الذي دلّ عليه اسم الفاعل إذ المعنى أقسم الله باللآتي عدون فأورين فأغرن فأثرن وهيجن في ذلك نقعاً أي غباراً من نقع الصوت إذا ارتفع فالغبار سمي نقعاً لارتفاعه أو هو من النقع في الماء فكان صاحب الغبار خاض في الغبار كما يخوض الرجل في الماء، وتخصيص الإثارة بالصبح لأنه لا يظهر ثورانه بالليل كما أن الإبراء لا يظهر بالنهار والإغارة والإثارة تقع غالباً في وقت الصباح و«أثرن» أصله أثورن فقلبت حركة الواو إلى الثاء ما قبلها وقلبت الواو ألفاً فصار أثارن فحذفت الألف لالتقاء الساكنين فبقي أثرن.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ أي: توسطن في ذلك الوقت والباء للظرفية، بذلك المكان أو بسبب العدو وسط الكتيبة وجمع العدو، والفآت للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها فإن توسط الجمع مترتب على الإثارة المترتبة على الإغارة المترتبة على الإبراء المترتب على عدوهم، والمراد عدو خيل الغزاة في سبيل الله والصحيح أن المراد كما قال علي عليه السلام: «إنها لإبل الحاج تعدو من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى»، وقال: «من أين لهم الأفراس! ولقد كان يوم بدر معنا فرسان فرس أبلق للمقداد وفرس للزبير»^(٢).

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ جواب القسم يقال: كند النعمة كنوداً كفر بها فالكنود بالضم كفران النعمة وبالفتح الكفور، ومنه «كندة» بالكسر وهو

١- بحار الانوار، ج ٢١، ص ٦٧.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٢٣، و أيضاً تفسير البغوي، ج ٤، ص ٥١٧.

لقب ثور بن عفر أبو حي من اليمن لأنه كند نعمة أبيه ففارقه ولحق بأخواله وقال الكلبي: الكنود بلسان كندة العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور والمعنى إن الإنسان - والمراد أكثر أفراده - لنعمة ربه شديد الكفران فقوله: ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ متعلق بكنود قدم عليه لإفادة التخصيص ومراعاة الفواصل.

سبب النزول: قيل: بعث النبي ﷺ سرية إلى حي من كنانة فاستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري أحد النقباء فتأخر رجوعهم فقال المنافقون: قتلوا جميعاً فأخبر الله عنها بقوله: ﴿وَالْعَدِيَّتِ صَبْحًا﴾ عن مقاتل.

وقيل: نزلت السورة لما بعث ﷺ علياً إلى ذات السلاسل فأوقع بهم وذلك بعد أن بعث عليهم مراراً غيره من الصحابة فرجع كل منهم إلى رسول الله وهو المروي عن أبي عبد الله ﷺ في حديث طويل. وسميت هذه الغزوة ذات السلاسل لأنه أسر منهم وقتل وسبي وشد أسراؤهم في الجبال كأنهم في السلاسل، ولما نزلت السورة خرج النبي ﷺ إلى الناس فصلّى بهم الغداة وقرأ فيها ﴿وَالْعَدِيَّتِ﴾ فلما فرغ من صلاته قال أصحابه: هذه السورة لم نعرفها فقال رسول الله ﷺ: «نعم إن علياً ﷺ ظفر بأعداء الله وبشرفي جبرئيل بذلك في هذه الليلة» فقدم علي ﷺ بعد أيام وبالغنائم والأسارى^(١).

﴿وَأِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ الهاء تعود إلى الله أي: إنه تعالى على كنود العبد لشهيد وقيل: الهاء تعود إلى الإنسان، شاهد على نفسه يوم القيامة بكنوده وقيل في معنى الكنود أيضاً: هو الذي يعدّ المصائب وينسي النعم وروى أبو ثمامة عن النبي ﷺ أنه قال: «ألدرون من الكنود؟». قالوا: الله أعلم ورسوله، قال: «الكنود الذي يأكل وحده ويمنع رفته ويضرب عبده». وقيل: هو

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٢٢، و أيضاً رواه المجلسي في البحار، ج ٢١، ص ٦٦.

البخيل القليل الخير يقال: كان ثلاثة نفر من العرب في عصر واحد أحدهم آية في السخاء وهو حاتم الطائي والثاني آية في البخل وهو جباحب، ومن بخله أنه كان لا يوقد النار للخبز إلا إذا نام الناس فإذا انتبهوا أطفأ ناره لئلا يتفجع الناس بها، والثالث آية في الطمع وهو أشعب بن جبير مولى مصعب بن الزبير بن العوام ومن طمعه أنه قرأ صبي في المكتب وهو حاضر: إن أبي يدعوك فقام ولبس نعليه فقال الصبي: أنا أقرأ درسي، وكان إذا رأى إنساناً يحك عنقه يظن أنه يتزح قميصه ليدفعه إليه، وكان إذا رأى دخاناً ارتفع من دار ظن أن أهلها يأتي بطعام وكان إذا رأى عروساً تزف إلى موضع جعل يكنس باب داره لكي تدخل داره قال أشعب: ما رأيت أطمع مني إلا كلباً تبغني على مضغ العلك فرسخاً.

﴿وإنه يحب الخير لشديداً﴾ أي: إن الإنسان لحب المال، وسمي المال خيراً جرياً على عاداتهم ﴿لشديداً﴾ قوي مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه وهو لحب عبادة الله والإنفاق في سبيله ضعيف الهمة متعاس.

﴿أفلا يعلم﴾ هذا الإنسان الذي وصفناه ويرتكب من القبائح في الدنيا أن الله يجازيه ﴿إذا بعث﴾ وبعث وأخرج ﴿ما في القبور﴾ من الموتى، وإيراد ﴿ما﴾ لكونهم إذ ذاك بمعزل عن مرتبة العقلاء لأنهم في القبور لا علم لهم. ﴿وخصل ما في الصدور﴾ وميَّز وبين ما فيها من الخير والشر وظهر ما أخفته الصدور ليجازي على السر كما يجازي على العلانية، وأصل التحصيل إخراج المستور من المغمور فيه وأخذه منه كإخراج اللب من القشر ومثل البر من التبن والدهن من اللبن، والإظهار من لوازم معناه فيكون المعنى: ميَّز بين خيره وشره. قال ﷺ: «يبعون على نياتهم».

﴿إن ربهم﴾ أي: المبعوثين كنى عنهم بعد الإحياء الثاني بضمير العقلاء

بناءً على تفاوت الحالين ﴿يَوْمَ﴾ وبنذواتهم وصفاتهم وأعمالهم بتفاصيلها
﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم بعثهم ﴿لَخَيْرٌ﴾ أي: عالم بالتفصيل علماً موجباً لجزائهم
متصلاً الجزاء بذلك اليوم وإلا فمطلق علمه يحيط بما كان وما يكون وقوله:
﴿يَوْمَ﴾ و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ متعلقان بخبير، قدما عليه لمراعاة الفواصل.

تمت السورة بعون الله.

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

مكية؛ من قرأها ثقل الله ميزانه يوم القيامة وأمنه الله من فتنة الدجال أن يؤمن به ومن قبح جهنم يوم القيامة^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ③ يَوْمَ يَكُونُ
النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ④ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ
الْمَنْقُوشِ ⑤ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ⑥ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ
رَاضِيَةٍ ⑦ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ⑧ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ⑨
وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ⑩ نَارٌ حَامِيَةٌ ⑪

القرع هو الضرب الشديد بحيث يحصل منه صوت ثم سميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر «قارعة» والمراد بها في الآية القيامة التي مبدؤها النفخة الأولى ومنتهاها فصل القضاء وهي تفرع القلوب بالفرع وتفرع أعداء الله بالعذاب والقارعة مبتداء ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ وما الاستفهامية خبر، أي: وأي شيء عجيب وعظيم في الفخامة! وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيداً للتحويل.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ ما في حيز الرفع على الابتداء «وأدراك» هو

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٢٦.

الخبر، أي: وأي شيء أعلمك ما شأن القارعة فإن عظم شأنها بحيث لا تكاد تناله دراية أحد.

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ﴾ أي: هي يوم يكون الناس ويوم مرفوع المحل وخبر مبتدأ محذوف مبني على الفتح لإضافته إلى الفعل وإن كان مضارعاً على ما هو رأي الكوفيين أو التقدير اذكر يوم إلخ، والمبعوث المفرق شبه الناس عند البعث بهذا الطائر الذي يتهافت في النار والسراج، وقال أبو عبيدة: هو طير ينفرش ليس بذياب ولا بعوض لأنهم إذا بعثوا ماج بعضهم إلى بعض والفراش إذا ثار لم يتجه إلى جهة واحدة والمراد أنهم يفرعون عند البعث فيختلفون في المقاصد على جهات مختلفة ومثل قوله: ﴿كَانَتْ جَرَادٌ مُنْتَشِرَةٌ﴾^(١) ^(٢).

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ العهن الصوف المصنوع ألواناً والنفش نشر الصوف والشعر والقطن وذلك لألوان الجبال، شبه خفة الجبال وتلاشيها بعد رزانتها بالصوف المندوف في تفرق أجزائها وتلون ألوانها كما قال: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيَّةٌ سُودٌ﴾^(٣).

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ جمع الموزون وهو العمل الذي له خطر عند الله لأن الحق ثقيل والباطل خفيف يعني: يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور سيئة أي: بصور جوهريّة مناسبة لها في الحسن والقبح فتوضع في الميزان فمن ترجحت مقادير حسناته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أي: معيشة ذات رضى يرضاها صاحبها.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن لم يكن له حسنات يعتد بها أو

١- سورة القمر: ٧.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٢٨.

٣- سورة فاطر: ٢٧.

ترجّحت سيئاته على حسناته، قال ابن مسعود: يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار.^(١) ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ أي: مأواه هاوية، هي من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبُعد مهواها روي أن أهل النار يهوي منها سبعين خريفاً وعبر عن المأوى بالأم لأن أهلها يأوون إليها كما يأوي الولد إلى أمه.^(٢) وأنها تحيط بهم إحاطة رحم الأم بالولد أو لأن الأم هي الأصل في الكافر والعاصي. وقيل: معنى ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ لأن العاصي يهوي إلى أم رأسه في النار.^(٣) فأم رأسه في جهنم لأنه يطرح فيها منكوساً وأم الرأس الدماغ.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ فهي ضمير للهاوية والهاء للسكت والاستراحة يريد إنك لا تعلم تفصيلها وأنواع ما فيها من العذاب ولو كنت تعلمها في الجملة. ثم قال: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ حارة شديدة الحرارة بحيث لا توصف. تمت السورة بعون الله.

١- جامع البيان، للطبري، ج ٨، ص ٢٥٠، و تفسير البغوي، ج ٢، ص ١٦٢.

٢- انظر: الكشاف، ج ٤، ص ٢٨٠.

٣- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٢٩، و التبيان، ج ١٠، ص ٤٠١.

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

مختلف فيها ومن قرأها لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم عليه في الدنيا وأعطي من الأجر كأنما قرء ألف آية. شعيب العقرقوفي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قرأ سورة (الهاكم التكاثر) في فريضة كتب له ثواب مائة شهيد ومن قرأها في نافلته كان له ثواب خمسين شهيداً وصلّى معه في فريضة أربعون صفاً من الملائكة». وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله: من قرأها عند النوم وفي فتنة القبر»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكَلِمَاتُ ① حَتَّىٰ زُودَهُ الْمَقَائِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧

اللهو ما يشغل الإنسان عما يفيدُه ويعنيه أي شغلكم عن طاعة الله وعن ذكر الآخرة ﴿التكاثر﴾ بالأموال والأولاد والتفاخر والتباهي بهما، والهاكم ممّا يتعلّق بالقلب كالذكر والعلم والفكر والعبرة وممّا يتعلّق بالجوارح كأنواع الطاعات.

والتكاثر مكاثرة اثنين مالا أو عدداً بأن يقول كل منهما لصاحبه: أنا أكثر

منك مالا وأعز نفراً كما أنه وقع بين بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتكاثروا فقال كل من الفريقين: نحن أكثر منكم سيّداً وأعظم نفراً، فكثرتهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم: إن البغي أفنانا في الجاهليّة فعادونا بالأحياء والأموات وذهبوا يعدّون قبور موتاهم هذا قبر فلان وهذا قبر فلان، فكثرتهم بنو سهم وزادوا عن بني عبد مناف، والمعنى أنكم تكاثرتهم بالأحياء ﴿حَقَّ زُيْمٌ الْمَقَابِرِ﴾ أي: حتى استوعبتهم عددهم وصرتهم إلى التفاخر والتكاثر بالقبور والأموات، فعبر عن انتقالهم إلى عدّة الموتى وذكرهم بزيارة القبور.

وقيل وجه آخر في تفسير الآية: ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد والدنيا إلى أن متّم وقبرتم مضيّعين أعماركم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت. ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ردع عمّاهم عليه من الاشتغال بالدنيا أي: ليس الأمر كما توهمتم ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الخطاء فيما أنتم عليه إذا عاينتم أهوال القيامة والعلم بمعنى المعرفة، ولا يغرتك كثرة من ترى حولك فإنك تموت وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك. ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تأكيد لتكرير الردع والإنذار وفي ﴿ثُمَّ﴾ دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول كقولك للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك: لا تفعل.

أو الردع الأول عند الموت والاحتضار حينما يبشّر به المحتضر من جنة أو نار أو في القبر حين يسأل والثاني عند النشور حين ينادي المنادي: شقي فلان شقاوة لا سعادة بعدها، فعلى هذا لا تكرير في الآية لحصول التغاير بينهما بتغاير زماني العلمين فإنه يلقي في كلّ واحد من الزمانين نوعاً آخر من العذاب. وروى زرّ بن حبّيش عن عليّ أمير المؤمنين: «ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ إلى قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يريد في القبر ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ بعد البعث». وقيل: إن المعنى ﴿كَلَّا سَوْفَ

تَعْلَمُونَ ﴿ إِذَا رَأَيْتُمْ دَارَ الْأَبْرَارِ ﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿ إِذَا رَأَيْتُمْ دَارَ الْفَجَّارِ .
 ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ أي: لو تعلمون الأمر علماً يقيناً لشغلكم
 ما تعملون من الاشتغال بالعز والتباهي وجواب ﴿ لَوْ ﴾ محذوف للتحويل فإنه
 إذا حذف الجواب يذهب الوهم كل مذهب أي لو علمتم علماً كاملاً يقيناً
 لما اشتغلتم ولفعلتم غير هذا ولكنكم ضلّال جهلة، وعلم اليقين هو الذي لا
 يعتريه اضطراب الشك.

ثم استأنف سبحانه وعيداً آخر فقال: ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ واللام
 موطئة للقسم ومعناه لترونها حين تبرز الجحيم في القيامة قبل دخولكم إليها
 ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ أي: محض اليقين بالمشاهدة إذا دخلتم فيها
 وعذبتم بها.

﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ قيل: السؤال عن النعيم شامل للكفار
 المتنعمين في الدنيا غير شاكرين نعمته ومن لحق بهم في عدم الشكر من
 فسقة المؤمنين وقالوا: من كان ناهضاً بالشكر من المؤمنين فهو من ذلك بعيد
 وقيل: شاملة للكفار فقط إذ لم يشكروا ربّ النعيم وأشركوا به وعبدوا غيره
 فيسألون ثم يعذبون على ترك الشكر، وقال الأكثرون: إنّ المعنى لتسألن يا
 معاشر المكلفين عن النعيم وإنّ الله سائل كلّ ذي نعمة عما أنعم عليه.

والمراد من النعيم المأكّل والمشرب وغيرهما من الملاذ مطلقاً عن
 سعيد بن جبیر. وقيل: عن عبدالله بن مسعود ومجاهد: المراد من النعيم
 الصّحة والفراغ. ويعضده ما رواه ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «نعمتان مغبون
 فيهما كبير من الناس: الصّحة والفراغ».

وقيل: المراد الأمن والصّحة عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﷺ. وقيل:
 يسأل عن كلّ نعيم إلّا ما خصّه الله وهو قوله: ثلاثة لا يسأل الله عنها العبد:

خرقة يوارى بها عورته وكسرة يسدّ بها جوعته وبيت يكنه من الحرّ والبرد. روي أنّ بعض الصحابة أضاف النبي ﷺ مع جماعة من أصحابه فوجدوا عنده تمراً وماءً بارداً فأكلوا فلماً خرجوا قال ﷺ: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه».

وقيل: المراد من النعيم وجود النبي ﷺ وأهل البيت، روى العياشي بإسناده في حديث طويل قال: سأل أبو حنيفة أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية فقال له: «ما النعيم عندك يا نعمان؟» قال: القوت من الطعام والماء البارد فقال عليه السلام: «لئن أوقفك الله يوم القيامة حتى يسألك عن كل أكلة وشربة شربتها ليطولنّ وقوفك بين يديه» قال: فما النعيم جعلت فداك؟ قال: «نحن أهل البيت الذي أنعم الله بنا على العباد وبنا اتلفوا بعد أن كانوا مختلفين وبنا جعلهم أحبّاً بعد أن كانوا أعداء وبنا هداهم الله للإسلام وهي النعمة التي لا تنقطع والله سائلهم عنها والنعيم النبيّ وصيّته»^(١). وهذه الرواية مقبولة عند العامة والخاصة، وفي الحديث: قال الرضا عليه السلام: «النعمة في الآية حبنا أهل البيت أضيفون إلى الله ما إذا أضيف إليكم تستحوه؟».

تمت السورة بعون الله.

سُورَةُ الْعَصْرِ

مكية. من قرأها ختم الله له بالصبر وكان مع أصحاب الحق يوم القيامة.
عن أبي عبد الله عليه السلام: «من قرأ السورة في نوافله بعنه الله يوم القيامة مشرقاً وجهه
ضاحكاً منه قريرة عينه حتى يدخل الجنة»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ③

أقسم سبحانه بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطى لتوسطها بين الشفع
الذي هو صلاة الظهر وبين الوتر الذي هو صلاة المغرب فحصل لها من القدر
ما لم يكن لكل واحد من الطرفين كما في الحديث الذي يؤيد فضلها على
سائر الصلوات، قال عليه السلام: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» أي
نقص^(٢)، ومعنى الحديث أي ليكن من فوتها حذراً كما يحذر الإنسان من
ذهاب أهله وماله وقيل: المراد بالعصر في الآية عصر النبوة^(٣) وفي قراءة ابن
مسعود «والعصر إن الإنسان لفي خسر، وإنه فيه إلى آخر الدهر». وروي ذلك عن

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٣٤.

٢- وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٢٤٨، و صحيح البخاري، ج ١، ص ١٢٨.

٣- تفسير الألويسي، ج ٣٠، ص ٢٢٨.

علي عليه السلام، وقيل: أقسم سبحانه بالدهر لأن فيه عبرة لذوي الأبصار من جهة مرور الليل والنهار وتقدير الأدوار وهو قول ابن عباس وجماعة. وقيل: المراد وقت العشي والظرف الأخير من النهار لما في ذلك من الدلالة على وحدانية الله بإدبار النهار وإقبال الليل^(١) كما أقسم بالفجر وبالضحى وهو الطرف الأول من النهار.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَيْرٌ﴾ والألف واللام للاستغراق والجنس بدلالة صحة الاستثناء وهذا جواب القسم والمعنى إنه لفي نقصان وخسارة لأنه ينقص عمره في كل يوم وهو رأس ماله فإذا ذهب رأس ماله ولم يكتسب به الطاعة يكون في غاية الخسران إذ لا خسران أعظم من ترك الطاعة واستحقاق العقاب الدائم والتنكير للتفخيم أي في خسران عظيم لا يعلم كنهه.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: المصدقين بتوحيد الله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ العاملين بطاعة الله والمكتسبين من الخيرات الباقية فأولئك ربحوا ولم يخسروا حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغايات الرابحات، فيا لها من صفقة رابحة فغير المستثنى خاسراً إما بالخلود إن كان كافراً وإما بالدخول في النار إن مات عاصياً ولم يغفر له وإما بفوات الدرجات العالية إن غفر له.

﴿وَتَوَّصَّوْا بِالْحَقِّ﴾ أي: وصى بعضهم بعضاً باتِّباع الحق واجتناب الباطل وقيل: المراد بالحق القرآن^(٢) وقيل: هو أن يقولوا عند الموت المخلفين: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

وفي «الإكمال» عن الصادق عليه السلام قال: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ عصر خروج القائم ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَيْرٌ﴾ يعني: أعداؤنا ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: بآياتنا

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٣٥.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٣٥.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعني: بمواساة الإخوان ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ يعني: الإمامة ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ يعني: بالعترة^(١).

القمي عن الصادق عليه السلام قال: «استغنى الله أهل صفوته من خلقه حيث قال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: آمنوا بولاية علي عليه السلام ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ يعني: ذرياتهم ومن خلفوا بالولاية وتواصوا بها وصبروا عليها»^(٢).

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أي: وصى بعضهم بعضاً بالصبر على تحمل المشاق في طاعة الله وبالصبر عن معاصي الله.

وقيل: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ في الآية الكافر خاصة وهو أبو جهل والوليد بن المغيرة^(٣) وإذا كان كذلك فالآية أيضاً تشمل كل كافر. تمت السورة بعون الله.

١- تفسير الصافي، ج ٧، ص ٥٥٠، و اكمال الدين وإتمام النعمة، ج ١، باب ٥٨، ص ٦٥٦.

٢- تفسير الصافي، ج ٢، ص ٤٤١.

٣- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٣٥.

سُورَةُ الْهُنُوتِ

مكية. قال عليه السلام: «من قرأها في فريضة من فرائضه نفت عنه الفقر وجلبت عليه الرزق وتدفع عنه ميتة السوء»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ① الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ② يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ③ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ④ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ⑤ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ⑥ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ⑦ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَسَدَةٌ ⑧ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ⑨

﴿وَيْلٌ﴾ مبتداء وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لأنه دعاء عليهم بالهلكة
﴿لِكُلِّ﴾ مغتاب عتاب نمام مفرق بين الأحباب بالنميمة، والهمزة الذي يطعن في الوجه بالعيب واللمزة الطعان في الغيب وقيل: الهمزة المغتاب واللمزة الطعان عن سعيد بن جبير وقتادة^(٢). وقيل بالعكس وبناء فعلة يدل على الاعتیاد، ولا يقال ضحكة ولعنة إلّا للمكثر المتعود، وفي أدب الكاتب لابن قتيبة: فعلة بسكون العين من صفات المفعول وفعلة بفتح العين من صفات الفاعل، يقال: رجل هزأة بسكون

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٣٨.

٢- المصدر السابق، ص ٤٣٩.

الزاي للذي يهزه به وهزاة بفتح الزاي لمن يهزه بالناس.
 ونزولها في الأحنس بن شريق أو في الوليد بن المغيرة فإن كلا منهما
 كان يغتاب رسول الله ﷺ والأصح العموم لقوله تعالى: ﴿لَيْكُلٍ﴾ ولم يقل:
 للهمزة واللمزة، وفي الحديث: المؤمن كئيس فطن حذر^(١) وقاف مثبت لا
 يعجل عالم ورع، والمنافق همزة لمزة حطمة كحاطب ليل لا يدري من أين
 يكتسب وفيه أنفق^(٢). ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ بدل من «كل» وصفه بجمع
 المال لأنه جرى مجرى السبب للهمزة واللمزة من حيث إنه أعجب بنفسه
 مما جمع من المال وظن أن كثرة المال سبب لعزة المرء فلذا استنقص غيره.
 وتنكير ﴿مَالًا﴾ للتفخيم والتكثير الموافق لقوله: ﴿وَعَدَّدَهُ﴾ أي: أحصاه.
 وقيل: معناه جعله عدة له من نوابغ الدهر فيكون من العدة لا من العدد.
 ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ أي: يظن أن ماله الذي جمعه يخلده في
 الدنيا ويمنعه من الموت فأخلده بمعنى يخلده وقوله: ﴿يَحْسَبُ﴾ يدل على
 هذا المعنى المستقبل في أخلده وإنما ظن ذلك مع أن الموت معلوم عند
 جميع الناس لأنه يعمل عمل من يحسب له الخلود من تشييد البنيان وإيثاقه
 بالصخر والشيد وجري الأنهار وغرس الأشجار فالحسبان ليس بحقيقي بل
 محمول على التمثيل أو المعنى يحسب أن ماله يوصله إلى مقام الخلد.
 ﴿كَلَّا﴾ ردع ومنع له عن ذلك الحسبان الباطل أو ردع له عن الهمز
 واللمز ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ جواب قسم مقدر أي: والله ليطرحن ذلك الذي
 يظن هذا الهماز اللماز، ويؤتده قراءة من قرء «لينبذان» على التثنية، في النار
 التي من شأنها أن يحطم ويكسر كل ما يلقي فيها كما أنه كان من شأنه كسر

١- الدعوات، للراوندي، ص ٣٩، وكنز العمال، ج ١، ص ١٤٣.

٢- تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ٢٨٧.

أعراض الناس وفاقاً لأعمالهم.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَطْمَةُ﴾ تهويلٌ لأمرها ببيان أنها ليست من الأمور التي تنالها عقول الخلق ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ﴾ أي: هي نارٌ أوقدتها يد القدرة وإضافة النار إليه تعالى لتفخيمها والدلالة على أنها ليست كسائر النيران في الحديث: «أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت ثم ألف سنة حتى ابيضت ثم ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة». قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «عجبا ممن يعصي الله على وجه الأرض والنار تسمر من تحته»^(١).

﴿أَلَمْ نَطْلِعْ عَلَى الْأَلْفَيْدَةِ﴾ أي: تعلقو أوساط القلوب وتغشاها فإن الفؤاد وسط القلب ومتصل بالروح يعني: إن تلك النار تحطم العظام وتأكل اللحوم فيدخل في أجواف أهل الشهوات والمعاصي وتصل إلى صدورهم وتستولي على أفئدتهم إلا أنها لا تحرقها بالكلية إذ لو احترقت لماتت أصحابها ثم إن الله يُعيد لحومهم وعظامهم مرة أخرى وتخصيص الفؤاد بالذكر لما أنه أطف ما في الجسد وأشدّ تألماً بأدنى أذى يمسه ولأنه محلّ العقائد الفاسدة والنيات الخبيثة وهي خزانة الجسد وأستر من كل عضو فإذا كانت النار استولت عليه فبان تستولي على سائر الجسد أولى.

﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ من أوصدت الباب وأصدته أي: أطبقته أي إن تلك النار مطبقة أبوابها عليهم تأكيداً لياسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الأبد.

﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ أي: حال كونهم موثوقين في أعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وأوتاد لشدهم بها تفتح عليهم باب ولا يدخل لهم روح قال الكلبي: ﴿فِي عَمَدٍ﴾ مثل السواري ممدودة مطوَّلة^(١)

١- تفسير الرازي، ج ٣٢، ص ٩٤.

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٤٠.

مربوطين بها كالشطار خشبة فيها خروق يدخل فيها أرجل المحاييس.

قال الطبرسي في المجمع: روى العياشي بإسناده عن محمد بن النعمان الأحول عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الكفار والمشركين يعتبرون أهل التوحيد في النار ويقولون: ما نرى لتوحيدكم أذى عنكم شيئاً ونحن وأنتم سواء قال: فيأنف لهم الرب فيقول للملائكة: اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ثم يقول للنبيين: اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ثم يقول للمؤمنين: اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ويقول الله: أنا أرحم الراحمين اخرجوا برحمتي فيخرجون - أي أهل التوحيد - كما يخرج الفراش». قال: ثم قال أبو جعفر: «أطبقت على الكفار وكان والله الخلود للكفار»^(١).

تمت السورة بعون الله.

سورة الفيل

مكية. في حديث أبي: «من قرأها عافاه الله أيام حياته من المسخ والخسف». وعن الصادق عليه السلام قال: «من قرأها في الفريضة شهد له يوم القيامة كل سهل وجبل ومدرب بأنه كان من المصلين»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ①
 أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْيِيلِ ②
 وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③
 تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ④
 فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ⑤

الرؤية علمية لأن النبي ﷺ ولد عام الفيل ولم يرهم والهمزة للتقرير والمراد بأصحاب الفيل أبرهة وقومه، وبالفيل هو الفيل الأعظم وكنيته أبو العباس ونسبوا إليه لأنه كان مقدمهم، والمعنى ألم تعلم علماً متاخماً للمشاهدة والعيان باستماع الأخبار المتواترة بوقوع هذا الأمر العجيب؟

وكان وقوع القصة عام مولد النبي ﷺ في نصف المحرم وولد ﷺ في شهر ربيع الأول بين الفيل ومولده الشريف خمس وخمسون أو ستون ليلة وهي سنة ستة آلاف ومائة وثلاث وستين من هبوط آدم عليه السلام على حكم

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٤١.

التواريخ اليونانية المعتمدة عند المورخين، وبين قصة الفيل والهجرة الشريفة النبوية إلى المدينة ثلاث وخمسون سنة، والمراد من بيان الآية تسلية النبي ﷺ بأنه سيجزي من ظلمه كما جزي من قصد الكعبة.

ومجمل القصة أن ملك حمير وهو ذو النواس اليهودي وكان متصلباً في دينه وهو صاحب الأخدود لما أحرق المؤمنين بنار الأخدود هرب رجل من المؤمنين إلى ملك الحبشة وهو يومئذ أصحمة بن نجر النجاشي وهو الذي أسلم في عهد رسول الله ﷺ وأخبر الرجل أصحمة ما فعله ذو النواس اليهودي فقصد ملك الحبشة وهو أصحمة بن نجر النجاشي على قتال ذي نواس وكان النجاشي على دين النصرانية فبعث أصحمة سبعين ألفاً من الحبشة إلى اليمن وأمر عليهم أرياطاً ومعه في جنده أبرهة بن الصباح الأسرم (ومعنى «أبرهة» بلسان الحبشة الأبيض الوجه) فركبوا البحر حتى نزلوا ساحلاً مما يلي أرض اليمن وهزم أرياط ذا نواس وقتل ذو نواس في المعركة أو ألقى نفسه في البحر وهلك واستقر أمر أرياط في أرض اليمن زماناً وأقام فيها سنين في سلطانه.

ثم نازعه أبرهة في أمر الحبشة وكان من أمراء الجند فتفرقت الحبشة فرقتين فرقة مع أرياط وفرقة مع أبرهة فكان الأمر على ذلك إلى أن سار أحدهما إلى الآخر فلما تقارب الفرقتان للقتال أرسل أبرهة إلى أرياط أنك لم تعزي الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها؟ فبرز إليّ وأبرز لك فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده فأرسل إليه أرياط أن قد أنصفت فاخرج فخرج إليه أبرهة وكنيته «أبو مكسوم» وكان رجلاً قصير الجسمان لحيماً ذا دين في النصرانية وخرج إليه أرياط وكان رجلاً طويلاً عظيماً وفي يده حربة وخلف أبرهة غلام يقال له «عتودة» يمنع ظهره فرفع أرياط الحربة يضرب أبرهة

يريد يافوخه^(١) فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرحت حاجبه وأنفه وعينه وشفته فبذلك سمى أبرهة الأسرم وحمل عتودة على أرباط من خلف أبرهة فقتله فاتصل جند أرباط إلى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة في اليمن بلا منازع وكان ما صنع أبرهة من غير علم النجاشي فلما بلغه ذلك غضب غضباً شديداً فقال: عدا على أميري فقتله بغير أمري ثم حلف لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ويحز ناصيته فلما بلغ هذا الخبر أبرهة حلق رأسه وملاً جراباً تراباً من تراب اليمن ثم بعث إلى النجاشي مع هدايا جليلة وكتب إليه أيها الملك إنما كان أرباط عبدك وأنا عبدك فاختلفنا في أمرك وكل في طاعتك إلا أنني كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبط وأسوس منه وقد حلقت رأسي حين بلغني قسم الملك وبعثت إليك بجراب من تراب أرضي ليضعه الملك تحت قدميه فيبر قسمه في فلما وصل كتاب أبرهة إلى النجاشي لان وسكنت فورته ورضي عنه وكتب إليه أن اثبت على أرض اليمن حتى ياتيك أمري فأقام أبرهة باليمن.

ثم إنه رأى أن الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة لحج بيت الله الحرام فتحرك منه عرق النصرانية والحسد فبنى بصنعاء كنيسة من رخام ملون ورصعها بالجواهر النفيسة وكان ينقل الحجارة الملونة النفيسة من قصر بلقيس صاحبة سليمان وجعل فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من عاج والأبنوس وسمها القلنس كحمير لارتفاع بنائها وعلوها ومنها القلانيس لأنها في أعلى الرأس.

وكتب أبرهة إلى النجاشي أيها الملك إنني بنيت لك كنيسة لم يبن مثلها لملك قبلك ولست أرضى حتى أصرف إليها حاج العرب فلما تحدث العرب

١- الموضع الذي يتحرك من مقدم رأس الطفل.

بكتاب أبرهة وبقصده غضب رجل من بني كنانة حتى أتى إلى القلنس وكان حينئذ رئيس العرب في مكة عبد المطلب وكان ذلك الكناني اسمه زهير بن بدر أتى إلى القلنس وأقام فيه يوهم أنه يعتكف فيه ويعبد فأقام فيه أياماً فلما خلا فيها ليلة أحدث فيها وانهمز فانتشر هذا الخبر في الآفاق أن رجلاً من أهل مكة حدث في كنيسة الملك فتأثر لذلك الأمر أبرهة وحلف أن يتوجه إلى مكة ويخرب البيت حتى لا يحجّه أحد بعدها أبداً ويهدمها، فخرج بالحبشة واغتم النجاشي لفعل الكناني غاية وعزاه أبرهة وقال: لا تحزن ننسف أبنيتها ونبيح دماءها وأموالها فخرج أبرهة بجند كثير وجم غفير ومعه فيل أبيض اللون وهو فيل النجاشي بعثه إليه بسؤاله وكان فيلاً لم ير مثله جسماً وعظماً وكان ذلك الوقت يقاتلون بالفيل كما أنه قيل: كان في مرتبط ملك الصين ألف فيل.

وكان دليل أبرهة في الطريق كبير ثقيف رجل يقال له «أبو رغال» مات في الطريق ورجم العرب قبره وصار قبره في الطريق كالجبل من كثرة رمي الحجر على قبره وفي ذلك يقول جرير في الفرزدق:

إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال

وكان أبو رغال عشراً جائراً.

وبالجملة فلما وصل أبرهة بجيشه إلى مكة نزل خارج الحرم وبعث رجلاً من الحبشة يقال له: «الأسود» فساق ما كان من أموال أهل تهامة ونهبها وكان من الإبل المنهوبة مائتان لعبد المطلب وبعث أبرهة حياطة الضميري وقال له: سل عن سيد هذا البلد وشريفهم واثنوني به فأتاه عبد المطلب فلما أتاه عبد المطلب وكان أبرهة جالساً على سرير ولم يرد أن يجلس عبد المطلب معه على سرير كراهة أن تراه الحبشة أن أحداً يجلس معه على

سريره نزل أبرهة عن سريره وجلس على الأرض وجلس عبد المطلب معه وقال أبرهة: سل حاجتك إن كان لك حاجة قال عبد المطلب: ردّ إبلي فقال أبرهة لترجمانه: قل له: لم ما سألتني حتى أعفو عن هدم البيت وإنه لبيت عزكم وشرفكم وما هذه الأباغر وما خطرها؟ فقال عبد المطلب: أنا ربّ الإبل وللبيت ربّ يحفظه كما يحفظه من تبع وكسرى فغضب أبرهة وقال: ردّوا عليه بعرانه لينظر من يحفظ البيت مني وقيل: ما استردّ عبد المطلب إبله. وأخذ أهل مكة أموالهم وأمتعتهم واستنجدوا الجبال وخلت مكة منهم خوفاً من معرة الجيش.

وبالجملة فجهّز أبرهة جيشه وقدم الفيل الأعظم فكان كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح كما بركت القصواء في الحديدية حتى قال عليه السلام: «حبسها حابس الفيل»^(١). ومعنى بروك الفيل سقوطه على الأرض لما جاءه الإلهام من الله فلزم موضعه ولم يتحرك.

وقيل: إنّ نفيل بن حبيب الخثعمي أخذ بأذن ذلك الفيل الأعظم وكان اسمه محمود فقال نفيل: ابرك محمود وارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام^(٢)، ونفيل هذا هو قاتل أبرهة بأرض خثعم وهو جبل وأهله خثعميون.

وأخذ عبد المطلب بحلقة البيت ودعا وكلما وجهوا الفيل إلى مكة يربض فضربوه فلم يتحرك وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول فأمر أبرهة أن يساق الفيل فثبت على أمره فبينما عبد المطلب يدعو التفت فإذا بطير فقال: إنها لطير غريبة لا نجدية ولا تهامية وإن لها لشأناً،

١- مجمع البيان، ج ٩، ص ١٩٥.

٢- جامع البيان، ج ٣٠، ص ٣٩٠، و تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٥٥٨.

سوداء صفر المناقير خضر الأعناق. وعن عائشة كانت تلك الطير الأبايل أشباه الخطاطيف والوطاويط ولها خراطيم الطير وأكف الكلاب وأنيابها وقيل: هي عنقاء مغرب، وقيل: إنها طير بين السماء^(١)، وقيل: من طير السماء، جاءت عشية ثم صَبَحْتَهُمْ، مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصفر من الحمصة وعن ابن عباس أنه رأى من تلك الأحجار عند أم هانئ نحو قفيز منخبط بحمرة كالجدع. ثم أرسلت ريح فزادتها شدة فكان الحجر تقع على رأس كل واحد من الجيش فيخرج من أسفله وينفذ من الفيل ومن بيضهم فيحرق الأرض وعلى كل حجر اسم من يقع عليه، قال عكرمة: كل من أصابته الحجارة جدرته ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل ولم تصب منهم أحداً إلا هلك.

ثم لما استبطأ عبد المطلب مجيء القوم إلى مكة ركب لينظر ما الخبر فوجدهم هلك منهم وفرّ الباقيون وقد بقي أثاثهم وأموالهم فاحتمل ما شاء الله من صفراء وبيضاء ثم أعلم أهل مكة بهلاك القوم فخرجوا وانتهبوا.

وبالجملة لم يبق منهم أحد وقيل: أخذ أبرهة داء أسقط أنامله وأعضاءه ووصل إلى صنعاء وهو مثل فرخ وما مات حتى انصدع صدره فملك اليمن ابنه مكسوم وانفلت وزير أبرهة وطائر يتخلف فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتاً بين يديه، انتهى.

فلو قيل: إنا شاهدنا وتحقق عندنا أن بعض الناس فعلوا مثل فعل أبرهة وما وقع عليهم سوء كما وقع لأبرهة مثل الحجّاج ومثل القرامطة.

فالجواب أنه لم تجر عادة الله على من يعاديه أن يأخذه سريعاً بل عادته أن يمهله لكن لا يمهله، على أن مثل هذه الأمور خوارق العادات كان

١- تفسير القرطبي، ج ٢٠، ص ١٩٦.

يقع في أيام الأمم السالفة، وأيضاً إن الاستيصال وما يقرب منه مرفوع عن هذه الأمة وإن كان اشتد غضبه عليهم كما قيل في حق الحجاج: إن عليه نصف عذاب العالم.

وقصة القرامطة مجملها أن أبا سعيد كبير القرامطة (وهم طائفة ملاحدة ظهرُوا بالكوفة سنة سبعين ومائتين يزعمون أن لا غسل من جنابة وحلّ الخمر وأنه لا صوم في السنة إلّا يومي النيروز والمهرجان ويزيدون في أذانهم وأنّ محمّد بن الحنفية رسول الله وأنّ الحجّ والعمرة إلى بيت المقدس وافتتن بهم جماعة من الجهال وأهل البراري وقويت شوكتهم حتّى انقطع الحجّ من بغداد بسببه وسبب ولده أبي طاهر فإنّ ولده أبا طاهر بنى داراً بالكوفة وسماها دار الهجرة) كثر فسادُه واستيلاؤه على المسلمين وقتله إيّاهم وكثرت أتباعه وذهب إليه جيش الخليفة المقتدر بالله السادس عشر من خلفاء بني العباس غير مرة وهو يهزمهم.

ثمّ إنّ المقتدر سيّر ركب الحاجّ إلى مكة فوافاهم أبو طاهر يوم التروية فقتل الحجاج بالمسجد الحرام وفي جوف الكعبة قتلاً ذريعاً وألقى القتلى في بئر زمزم وضرب الحجر بدبّوس^(١) فكسره ثمّ اقتلعه وأخذه معه وقلع باب الكعبة ونزع كسوتها وسقفها وقسمه بين أصحابه وهدم قبة زمزم وارتحل عن مكة بعد أن أقام فيها أحد عشر يوماً ومعه الحجر الأسود وبقي عند القرامطة أكثر من عشرين سنة وكان الناس يضعون أيديهم محلّه للتبرك ودفعت لهم خمسون ألف دينار فأبوا حتّى أعيد في موضعه في خلافة المطيع لأمر الله وهو الرابع والعشرون من خلفاء بني العباس بعد اشتراؤه منهم.

وبعد القرامطة في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة قام رجل من الملاحدة

١- عصا من خشب أو حديد في رأسه شيء مثل الكرة.

وضرب الحجر ثلاث ضربات بدبوس فتشقق وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت منه شظيات^(١) مثل الأظفار وخرج بكسره فتات^(٢) أسمر يضرب إلى الصفرة محبباً مثل حب الخشخاش فجمع بنو شيبة ذلك الفتات وعجنوه بالمسك وحثوه في تلك الشقوق وطلوه من ذلك، ولعنة الله على الظالمين.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ الهمة للتقير وضل كيده إذا جعله ضائعاً وضل الماء في اللبن إذا غاب أي: قد جعل سبحانه مكرهم في تخريب الكعبة في إبطال بأن أهلكهم وجزاهم بعد إهلاكهم بمثل ما قصدوا حيث خرب كنيستهم لأنهم بعد إهلاك صاحب الفيل وقومه عزت قريش وهابهم الناس كلهم ومزقت الحبشة كل ممزق وخربت تلك الكنيسة التي بناها أبرهة فلم يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والوحوش ومردة الجن واستمرت كذلك إلى زمن السفاح العباسي أول خلفاء بني العباس فذكر له أمرها فبعث إليها عامله الذي باليمن فخربها وأخذ خشبها المرصع بالذهب والآلات التي تساوي قناطير من الذهب وعفا رسمها.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ وأبابل أي: جماعات متتابعة من الطير لأنها كانت أفواجاً فوجاً بعد فوج أو معنى أبابل من هاهنا وهاهنا جمع إبالة وهي الحزمة الكبيرة من الحطب شبت بها الجماعة من الطير في نظامها فأبابل صفة للطير.

﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ صفة أخرى (لاطيراً) أي: ترمي الطير عليهم وتقذفهم تلك الطير بأحجار صلبة شديدة ليست من جنس الحجارة وقد مر تفسير السجّيل في سورة هود، وقيل: معناه طين متحجر معرب «سنگ گل»

١- فلقة العود والعظم ونحوهما.

٢- الكسارة والسقطة من الشيء المفتوت.

من هذين الجنسين وهما «سنج» الذي هو الحجر و«جيل» الذي هو الطين أو اشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال فالمعنى من الحجارة المرسلة.

﴿جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ كورق زرع وقع فيه الأكال وقد أكله الدود وسمي ورق الزرع بالعصف لأن شأنه أن يقطع فتعصفه الرياح وتذهب به إلى هنا وهنا شبههم في فنائهم به أو المعنى: كورق ذرع قد أكل حبه وبقي تبته في بقاء أجسادهم وذهاب أرواحهم أو كتبن وورق زرع أكلته الدواب وألقته روثاً فيبس وتفرقت أجزاءه شبه تقطع أوصالهم بتفرق الروث وفيه تشويهاً لحالهم وهو أنه لم يكتف بجعلهم أهون شيء في الزرع وهو التبن حتى جعلهم رجيعاً وعبر عن الرجيع بالمأكل مراعاة لحسن الأدب في الذكر استهجاناً لذكر الروث كما كنى بالأكل في قوله: ﴿كَانُوا بِأَعْيُنِنَا قَطَّاعًا﴾^(١) عما يلزم الأكل من البول والتغوط، ومن كان اعتماده بقوته وسطوته أهلكه الله بأضعف خلقه فإنهم لما كان اعتمادهم على الفيل من حيث إنهم زعموا أنه أقوى خلق الله أهلكهم بأضعف خلق من خلقه وهو الطير الذي حجم كل واحد منها لا يعادل عشرة مثاقيل شبيهة بالزرزور أو هي الزرزور يقال له بالفارسية «سار» وسمي زرزور لزرزوره.

وما به قتلوا من الحجارة أصغر من الحمصة وأكبر من العدسة وكان هذا الأمر من أعظم المعجزات أظهره الله إماماً على طريق الإرهاص^(٢) لنبوة نبينا ﷺ فإنه ﷺ ولد في ذلك العام.

وقال قوم من المعتزلة: إنه كان معجزة لنبي من الأنبياء وربما قالوا: هو خالد بن سنان لكن لا نحتاج إلى هذه التكلفات بل يكون هذا الأمر تشريفاً

١- سورة المائدة: ٧٥.

٢- هو ظهور أمر من إعلام النبوة قبل بعث النبي.

وتعظيماً وحفظاً لبيته تعالى على أنه حجة لائحة لظهور الحق وإبطال لأقوال الملاحدة والفلاسفة المنكرين للآيات الخارقة فإن هذا الأمر لا يمكن أن يستند إلى الطبع كما نصبوا الصيحة والريح العقيم وغيرها مما أهلك الله تعالى به الأمم الماضية إلى ذلك إذ لا يمكنهم أن يروا في أسرار الطبيعة إرسال جماعات من الطير ومعها أحجار معدة لهلاك قوم معينين قاصدة إياهم دون غيرهم فترميهم بها فتهلكهم ولا يتعدى ذلك الأمر إلى غيرهم ولو واحداً.

وليس لأحد أن ينكر هذا الأمر لأن النبي ﷺ لما قرء هذه السورة على أهل مكة مع عنادهم وإنكارهم لم ينكروا هذا الأمر بل أقرّوا وكانوا قريبي العهد بأمر الفيل فلو لم يكن لذلك الأمر حقيقة لأنكروه وجحدوه بل أكثروا في هذا الأمر في أشعارهم وناديتهم فمن ذلك ما قاله ابن أبي الصلت:

إن آيات ربنا بينات ما يماري فيهنّ إلّا الكفور
حبس الفيل بالمغمّس حتى ظلّ يحبو كأنه معفور

وقال عبد الله بن عمرو بن مخزوم:

أنت الجليل ربنا لم تدنس أنت حبست الفيل بالمغمّس
من بعد ما همّ بشيء ملبس حبسته في هيئة المكرس

أي المنكّس^(١).

تمت السورة بعون الله.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

مكية. في حديث أبي: «من قرأها أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من طاف بالبيت واعتكف». وروى العياشي عن الصادق عليه السلام يقول: «لا تجمع بين سورتين في ركعة واحدة إلا (الضحى) و(الم نشرح) و(الم تر كيف) و(الإيلاف)». وعن ابن عباس عن أحدهما عليه السلام قال: «(الم تر كيف فعل) و(الإيلاف) سورة واحدة»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِلْيَافٍ قُرَيْشٍ ① إِيْلَفِيْهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ④

أي: فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منا على قريش مضافة إلى نعمتنا عليهم في رحلة الشتاء والصيف فكأنه قال: نعمة إلى نعمة، واللام متعلق بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ وذكر الفاء لما في الكلام من معنى الشرط وتقدير الكلام أن نعم الله عليهم غير محصورة فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لتألف قريش بمكة وتمكنهم المقام بها أو المعنى لتألف قريش فإنهم هابوا من أصحاب الفيل لما قصدوا وهربوا منه فأهلكناهم لترجع قريش إلى مكة ويألفوا ويجتمعوا بها وتولد محمد عليه السلام فبعث إلى الناس بشيراً ونذيراً.

﴿إِلْفِهِمْ﴾ بدل من الأول والإيلاف الأول بمعنى الإلف اللازم لا المتعدي، لأن يألفوا هاتين الرحلتين ويجمعوا بينهما لتجارتهما ومعاشهم وذلك لأن الناس إذا تسامعوا بذلك الإهلاك ثبت لهم عزّ وشرف وتهيّبوا لهم زيادة فضل على غيرهم فلا يجترئ عليهم أحد وينتظم لهم الأمن في رحلتهم.

وكان لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيتمارون ويتجرون آمنين وما كان بعد ذلك يتعرض لهم أحد من العرب وذئابها والناس بين متخطّف ومنهوب ولو لا هاتان الرحلتان لم يمكنهم المقام بها لأنها واد غير ذي زرع ولم يكونوا أهل زرع ولا ضرع وكان إذا أصاب واحدا منهم مخمصة خرج وعياله إلى موضع وضربوا على أنفسهم خباء حتى يموتوا وكانوا على ذلك إلى أن جاء هاشم بن عبد مناف عليه السلام وكان سيّد قومه فقام خطيباً فقال: إنكم أحدثتم حدثاً تقلّون فيه وتذلّون وأنتم أهل حرم الله وأشرف ولد آدم، قالوا: نحن لك تبع فليس عليك منا خلاف فأمرنا بأمرك، فجمع كلّ بني أب على الرحلتين في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام للتكسّب فما ربح الغنيّ يكون ليقسّم بينه وبين فقرائهم فاستداموا على هذا الأمر حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الإسلام وهم على ذلك.

وقريش ولد النضر بن كنانة ومن لم يلد له فليس بقريش واختلفت في تسميتهم بهذا الاسم قيل: سمّوا قريشا لأنهم لم يكونوا أهل زرع وضرع وكانوا يكتسبون. والقرش الكسب، وقال ابن عباس: (سمّوا «قريش» بالتصغير للتعظيم من القرش وهو دابة بحريّة عظيمة تعبت بالسفن وتقلبها وتكسرهما ولا تطاق إلّا بالنار ولا يقدر أحد عليها فشبّهوا بها لأنها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلق ووصفوا بالغلبة وعدم المغلوبية). قال شاعرهم:

وقريش هي التي تسكن البحر
تأكل الغث والسمين ولا تتـ
هكذا في البلاد حتى قريش
ولهم آخر الزمان نبي
بها سميت قريش قريشاً
رك فيه لذي الجناحين ريشاً
ياكلون البلاد أكلاً كميثاً^(١)
يكثر القتل فيهم والخموشاً^(٢)

وقيل: سموا قريشاً لتجمعهم من هاهنا وهاهنا وضم بعضهم إلى بعض وتجمعهم إلى الحرم أو لأن النضر بن كنانة اجتمع في ثوبه يوماً فقالوا: تقرش نضر، أو سميت بقريش بن يخلد بن غالب بن فهر، وكان ابن يخلد صاحب عيرهم فكانوا يقولون: قدمت عير قريش وخرجت عير قريش.

﴿قَلْبَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ﴾ بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنا منهما أو بسبب دعوة إبراهيم يجبي إليه ثمرات كل شيء ﴿مِنْ جُوعٍ﴾ شديد كانوا فيه قبلهما إلى أن جمعهم على الغنى عمرو العلي^(٣) على الرحلتين كما ذكر سابقاً ﴿وَأَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلادهم من ذئاب العرب حيث هابوهم وفضل على العرب بأمور.

قالت أم هانئ بنت أبي طالب: «إن رسول الله ذكر فضل قريش بسبع خصال: النبوة فيهم، والخلافة، والحجابه، والسقاية، ونصروا على الفيل، والسبقة في عبادة الله، ونزلت فيهم سورة لم يذكر فيها أحد غيرهم ﴿لَا يَلْفِ﴾ (وتسمية لإيلاف سورة يرد قول من قال وهم جماعة: بأن ألم تر كيف فعل وإيلاف سورة واحدة)». وبالجملة فهذه الفضائل ثابتة لقريش بشرط إطاعة الله ورسوله. قال شاعرهم:

١- أكلاً سريعاً.

٢- الخدش واللطم.

٣- لقب هاشم.

هلا مررت بآل عبد مناف
 منعوك من جهد ومن إيجاف
 والقائلين: هلم للأضياف
 حتى يصير فقيرهم كالكافي
 ورجال مكة مستنين عجاف
 سفر الشتاء ورحلة الأضياف

يا ذا الذي طلب السماحة والتدي
 لو أن مررت بهم تريد قراهم
 الرائشين وليس يوجد رائش
 والخالطين غنيهم بفقيرهم
 والقائلين بكل وعد صادق
 سفرين سنهما له ولقومه:
 تمت السورة بعون الله.

سُورَةُ الْمَاعُونِ

مكية. وقيل: بعضها مكية وبعضها مدنية، وتسمى سورة الماعون. من قرأها غفر الله له إن كان للزكاة مؤدياً^(١). عمرو بن ثابت عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من قرأها في فرائضه ووفاه قبل الله صلاته وصيامه ولم يحاسبه بما كان منه في الدنيا»^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ① فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ②
وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ③ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ
صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ⑦

قال الكلبي: نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة وقيل: نزلت في أبي سفيان بن حرب كان ينحر في كل أسبوع جزورين فاتاه يتيم وسأله شيئاً فقرعه بعصاه^(٣). وقيل: المراد أبو جهل كان وصياً ليتيم فجاءه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه دفعاً شنيعاً^(٤) فأيس الصبي فقال له أكابر قريش: قل لمحمد: يشفع لك وكان غرضهم الاستهزاء به

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٥٤، و الكشاف، ج ٤، ص ٢٩٠.

٢- المصدر السابق نفسه.

٣- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٥٦.

٤- تفسير أبي السعود، ج ٩، ص ٢٠٣.

وهو عليه السلام ما كان يرد محتاجاً فذهب معه إلى أبي جهل وقام أبو جهل وبذل المال لليتيم فغيره قريش وقالوا: أصبوت؟ فقال: لا والله ما صبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن يساره حربة خفت إن لم أجهه يطعنها في.

﴿أَرَاهَيْتَ﴾ أي: هل عرفت يا محمد ﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ﴾ فالذي للعهد أو للجنس فيكون عامّاً لكلّ من كان مكذباً بالدين ومن شأنه أذية الضعيف ودفعه بعنف ﴿وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ أي: لا يبحث أهله وغيرهم على طعام مسكين ومحتاج ويمنع المستحق، وفي العدول من الإطعام إلى الطعام وإضافته إلى المسكين دلالة على أنّ للمساكين شركة وحقاً في مال الأغنياء.

﴿فَوَيْلٌ﴾ الفاء لربط ما بعدها بشرط محذوف كأنه قيل: إذا كان عدم المبالاة باليتيم من موجبات الذم والتوبيخ، فويل وشدة العذاب ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿ السهو خطأ عن غفلة وذلك ضربان: أحدهما: أن لا يكون من الإنسان مولداته ودواعيه كمجنون سبباً إنساناً مثلاً. والثاني: أن يكون منه مولداته كمن شرب خمرأ ثم ظهر منه منكر لا عن قصد إلى فعله فالأول معفو عنه والثاني مأخوذ به، ومن القسم الثاني ما ذمّ الله في الآية والمعنى في قوله: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾ سهو ترك لها وقلة التفات إليها وعدم المبالاة بها وذلك فعل الفسقة من المؤمنين.

قال أنس بن مالك: الحمد لله على أن لم يقل «في صلاتهم» وذلك أنه لو قال: «في صلاتهم» لكان المعنى أن السهو يعتريهم وهم فيها إما بوسوسة الشيطان أو بحديث النفس وذلك لا يكاد يخلو منه أحد والتخلص منه عسير^(١).

قيل: ولما نزلت الآية قال ﷺ: «هذه خير لكم من أن يعطى كل واحد منكم مثل جميع الدنيا»^(١).

وقيل في معنى ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ إن المعنى والمراد هم الذين يؤخرون الصلاة عن أوقاتها عن ابن عباس وجماعة وروى ذلك مرفوعاً^(٢). وقيل: المراد المنافقون الذين لا يرجون لها ثواباً إن صلوا ولا يخافون على تركها عقاباً فهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها فإذا كانوا مع من يصلي صلوا وإذا لم يكونوا معهم لم يصلوا فكان صلاتهم رياء^(٣) لا إخلاصاً وهو قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ فإن صلوا صلوا رياءً وإن فاتتهم لم يندموا وقيل: هم الذين لا يصلونها لوقتها ولا يتمون ركوعها وسجودها. قال أبو عبد الله ﷺ: «هو الترك لها والتواني عنها والمضيقين لها».

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ اختلف فيه قيل: «هي الزكاة المفروضة». عن علي ﷺ وأبي عبد الله، وقيل: المراد من الماعون ما يتعاروه الناس بينهم من الدلو والفأس والقدر وما لا يمنع كالمح والماء وأمثاله. وروى أبو بصير عن أبي عبد الله ﷺ: «هو القرض تفرضه ومتاع البيت تعيره ومنه الزكاة». قال: فقلت له: إن لنا جيراناً إذا أعرناهم متاعاً كسروه وأفسدوه فعلينا جناح أن نمنعهم؟ فقال: «لا ليس حينئذ جناح أن نمنعهم إذا كانوا كذلك». وقيل: المعروف كله^(٤). والماعون من المعن وهو الشيء القليل وسميت الزكاة ماعوناً لأنه يؤخذ من المال ربع العشر وهو قليل من كثير.

والفرق بين المرائي والمنافق أن المنافق يبطن الكفر ويظهر الإيمان

١- تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ٣٠٥، و تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٥٩٣.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٥٦.

٣- المصدر السابق نفسه.

٤- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٥٧.

والمرائي يظهر زيادة الخشوع وآثار الصلاح ليعتقد من يراه أنه من أهل
الصلاح وحقبة الرياء طلب ما في الدنيا بإظهار الدين.
تمت السورة بعون الله.

سُورَةُ الْكَوثرِ

مكية. من قرأها سقاه الله من أنهار الجنة وأعطي من الأجر بعدد كل قربان قرَّبَه العباد في يوم العيد ويقربون أهل الكتاب والمشركين. وقال ﷺ: «ومن قرأها في فرائضه ونوافله سقى يوم القيامة من الكوثر»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوثرَ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ② إِنَّكَ شَانِئُكَ
هُوَ الْأَبْتَرُ ③

السورة قيل: مكية وقيل: مدنية.

نزلت السورة في العاص بن وائل السهمي وذلك أنه رأى رسول الله يخرج من المسجد فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا: من الذي كنت تتحدث معه؟ قال ذلك الأبر وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله وهو من خديجة وكانوا يسمون من ليس له ابن أبر، فسمته قريش عند موت ابنه ﷺ أبر ومبتور. عن ابن عباس.

﴿إِنَّا﴾ إن جار مجرى القسم في تأكيد الجملة ﴿أَعْطَيْنَكَ﴾ بصيغة

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٥٨.

الماضي مع أن العطايا الأخروية وأكثر ما يكون في الدنيا لم يحصل بعد تحقيقاً لوقوعها ﴿الْكُوْثَرَ﴾ أي: الخير الكثير من العلم والعمل وفوعل من الكثرة كنوفل من النفل وجوهر من الجهر. قيل لأعرابية أب ابنها من السفر: بم أب ابنك؟ قالت: أب بكوثر، أي بالعدد الكثير من الخير.

وروي أنه عليه السلام قرأها فقال: «أندرون ما الكوثر إنه نهر في الجنة وعديده ربي، فيه خير كبير أحلى من العسل وأشدّ بياضاً من اللبن وأبرد من الفلج وألين من الزبد حافظه الزبرجد وأوانيه الفضة عدد نجوم السماء لا يظلم من شرب منه أبداً أول وارد به فقراء المهاجرين الدنس الغياب الشعث الرموس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد، ويموت أحدهم وحاجته تبتلع في صدورهم، لو أقسم على الله لأبره»^(١). وعن أبي عبد الله عليه السلام: «أله قال: الكوثر نهر في الجنة أعطاه نبيّه عوضاً من ابنه». وقيل: الكوثر هو القرآن. وقيل: هو كثرة النسل والذرية وقد ظهرت الكثرة في ولد فاطمة عليها السلام ولا تحصى عددهم وأتصل إلى يوم القيامة. وقيل: هو الشفاعة عن الصادق عليه السلام. واللفظ يحتمل لكلّ فإنه قد أعطاه الله الخير الكثير^(٢).

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ أمره سبحانه بالشكر على هذه النعمة العظيمة أي صل صلاة العيد لأنها عقبها بالنحر أي: وانحر هديك وأضحيتك. وقيل: معناه فصلّ لربك صلاة الغداة المفروضة بجمع والنحر البدن بمنى، وقيل معناه صلّ لربك الصلاة المكتوبة واستقبل القبلة بنحرك، وتقول العرب: منازلنا تتناحر أي: هذا ينحر هذا ويستقبله^(٣)، قال أبو عبد الله عليه السلام: «هو رفع يديك حذاء وجهك». وروى عنه عبد الله بن سنان مثله. وعن جميل قال قلت

١- الكشاف، ج ٤، ص ٢٩٠.

٢- انظر: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٥٩.

٣- المصدر السابق نفسه.

لأبي عبد الله عليه السلام: فصل لربك وانحر؟ فقال بيده هكذا، يعني استقبل ببدنه حذاء وجهه القبلة في افتتاح الصلاة.

وروي عن مقاتل بن حيان عن الأصبع بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لما نزلت هذه السورة قال النبي لجبرئيل: ما هذه النحية التي أمرني الله بها ربي؟ قال: يأمرك إذا تحزمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع وإذا سجدت فإنه صلواتنا وصلوات الملائكة في السماوات السبع فإن لكل شيء زينة وإن زينة الصلاة أن ترفع يديك عند كل تكبيرة. قال النبي عليه السلام: رفع الأيدي من الاستكانة. قلت: وما الاستكانة؟ قال: ألا تقرأ هذه الآية ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ﴾^(١).

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ شناه أي: أبغضه أي: مبغضك هو الأبر لمبغضه لك والبر يستعمل في قطع الذنب، ثم استعمل في قطع العقب والمعنى: أن الذي لا عقب له ولا عاقبة ولا حسن ذكر هو الأبر وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن ذكرك وأثار فضلك إلى يوم القيامة كما قال سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾^(٢) وجعله عليه السلام أباً للمؤمنين فهم أعقابه إلى يوم القيامة وجعله خاتم الأنبياء وأعطاه القرآن الذي عجزوا عن الإتيان بمثله إلى آخر الدهر على وجازة ألفاظه ومنافع العمل بمعانيه.

تمت السورة بعون الله.

١- المجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٦٠، و تفسير الصافي، ج ٧، ص ٥٦٧.

٢- سورة الانشراح: ٤.

سُورَةُ الْكَافِرُونَ

مكية، وقيل: مدنية. في حديث أبي: «ومن قرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرىء من الشرك وتعافى من الفزع الأكبر»^(١). وعن جبير بن مطعم قال: قال لي رسول الله: «أحبب يا جبير أن تكون إذا خرجت سفراً من أمثل أصحابك هيئة وأكثرهم زاداً؟» قلت: نعم، قال: «فاقرأ هذه السور الخمس: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ﴾ و﴿القلق﴾ و﴿الناس﴾ وافتتح قراءتك بيسم الله الرحمن الرحيم». قال جبير: وكنت غير كثير المال وكنت أخرج مع من شاء الله أن أخرج فأكون أكبرهم همّة وأكثرهم إذا زاداً حتى أرجع من سفري ذلك. وعن فروة بن نوفل الأشجعي عن أبيه أنه أتى النبي ﷺ فقال: جئت يا رسول الله لتعلمني شيئاً أقوله عند منامي قال ﷺ: «إذا أخذت مضجعتك فاقرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ثم نم على خانتها فإنها براءة من الشرك». وعن شعيب الحداد عن الصادق عليه السلام: «قال كان أبي يقول: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ربع القرآن وكان إذا فرغ منها قال: أعبد الله وحده، أعبد الله وحده». وعن هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام قال: «إذا قلت: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ فقل: ولكني أعبد الله مخلصاً له ديني، فإذا فرغت منها فقل: ديني الإسلام ثلاث مرّات»^(٢).

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٦٢، والكشاف، ج ٤، ص ٢٩٣.

٢- المصدر السابق نفسه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَتَّيِبُهَا الْكٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَا اَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ
مَا اَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا اَنَا عٰبِدُ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا اَعْبُدُ ﴿٥﴾
لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ ﴿٦﴾

النداء والخطاب منه ﷺ لهم بهذا الوصف مع أنهم في محل عزهم وشوكتهم إيذان بأنه ﷺ محروس منهم وعلم من أعلام النبوة والألف واللام للعهد وهم كفرة مخصوصة كالوليد بن المغيرة وأبي جهل والعاص بن وائل السهمي وأمّية ابن خلف والأسود بن عبد يغوث والحارث بن قيس ونحوهم وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ هلم فأتبع ديننا وتتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ثم نعبد إلهك سنة فقال: «معاذ الله أن أشرك بالله غيره». فقالوا: استلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فنزل ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا الْكٰفِرُونَ﴾ فعدل رسول الله إلى المسجد الحرام وفيه الملاء من قريش فقام على رؤوسهم ثم قرأ عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا عند ذلك فشرعوا يؤذونه وأصحابه قال ابن عباس: وفيهم نزل قوله: ﴿قُلْ اَفَغَيْرَ اللّٰهِ تَأْمُرُوْنَ اَعْبُدُ اَيْهَا الْجٰنِهَلُوْنَ﴾^(١)

﴿لَا اَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: لا أعبد فيما يستقبل ولا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم، و«لا» لا تدخل غالباً إلا على مضارع في معنى الاستقبال كما أن «ما» لا تدخل إلا على مضارع في معنى الحال لكن (الطبرسي) فسّر الآية بمعنى الحال أي: لا أعبد آلهتكم التي تعبدونها اليوم وفي هذه الحال.

﴿وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا اَعْبُدُ﴾ أي: ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما

أطلب منكم من عبادة إلهي، قال الطبرسي: المراد ما أنتم عابدون في الحال إلهي الذي أعبدته اليوم^(١).

﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ أي: وما كنتُ عابداً فيما سلف ما عبدتموه من الأصنام في الجاهلية فكيف يُرجى مني في الإسلام.

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ﴾ أي: وما عبدتم في وقت من الأوقات ما أنا على عبادته وهو الله فليس في السورة تكرار.

وقيل: هاتان الجملتان لنفي العبادة حالا كما في الأولين لنفيها استقبالاً^(٢). كما فسره (الطبرسي) لهذا المعنى قال الزجاج: نفى الرسول بهذه السورة عبادة آلهتهم عن نفسه في الحال وفي المستقبل وأعلمه الله بحال هؤلاء أنهم لا يؤمنون ولو قلنا بالتكرار فوجهه أن القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتهم التكرار في الكلام إذا كان الغرض الإفهام والتأكيد كما يقول المجيب: بلى بلى ويقول الممتنع: لا لا ومثله: ﴿كَلَّا سَوْفَ نَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ نَعْلَمُونَ﴾^(٣). قال الشاعر:

نعم الغراب بين ليلي غدوة كم كم وكم بفراق ليلي ينعتق^(٤)

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ والياء إسكانها وفتحها سائغان في قوله: ﴿وَلِيَ﴾ وذكر في معنى الآية وجوه:

أحدها: بحذف المضاف أي لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فأقام المضاف إليه مقام المضاف.

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٦٤.

٢- تفسير أبي السعود، ج ٩، ص ٢٠٦.

٣- سورة النبا: ٤، ٣.

٤- انظر: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٦٤.

وثانيها: أن المعنى لكم كفركم ولي دين التوحيد وهذا إن كان ظاهره
 إباحة لكنّه وعيد وتهديد ومبالغة في الزجر كقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(١).
 وثالثها: أن الدين الجزاء فالمعنى لكم جزاؤكم ولي جزائي وحاصل
 المعنى أن دينكم الذي هو الإشراك مقصور لكم لا يتجاوزه إلى الحصول لي
 كما تطمعون فإن ذلك من المحال وإن ديني الذي هو التوحيد مقصور لي
 لأنكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لألهتكم واستلامي إياها.
 قيل: هو منسوخ بآية السيف.
 تمت السورة.

سُورَةُ النَّصْرِ

مدنية. في حديث أبي: «من قرأها فكأنما شهد مع رسول الله فتح مكة». وروى كرام الخشعمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قرء سورة الفتح في نافلة أو فريضة نصره الله على أعدائه وجاء يوم القيامة ومعه كتاب ينطق قد أخرجه الله يوم القيامة من جوف قبره فيه أمان من حر جهنم ومن النار ومن زفير جهنم يسمعه بأذنيه فلا يمز على شيء يوم القيامة إلا بشره وأخبره بكل خير حتى يدخل الجنة»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ③

إذا جاءك يا محمد إعانتة تعالى وإظهاره إيتاك على أعدائك، والسورة نزلت قبل فتح مكة كما عليه الأكثر فالإعلام بذلك قبل وقوعه من أعلام النبوة والمراد من «الفتح» فتح مكة وسمي ذلك الفتح فتح الفتوح كما أن نفسها سميت أم القرى وقيل: نزلت السورة في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع^(٢) وعاش عليه السلام بعده ثمانين يوماً.

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٦٦.

٢- الكشاف، ج ٤، ص ٢٩٣.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾ أبصرتهم أو علمتهم يعني: العرب أو الاستغراق العرفي ولعل المراد بالأمر بالاستغفار لمن سواه وإدخاله ﷺ في الأمر تغليب ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي: ملة الإسلام التي لا دين يضاف إليه تعالى غيرها لأن الدين عند الله الإسلام ﴿أَفْوَاجًا﴾ حال من فاعل ﴿يَدْخُلُونَ﴾ أي: رأيتهم يدخلون فيه جماعات كثيرة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحداً واحداً واثنين اثنين. روي أنه ﷺ لما فتح مكة أقبلت العرب بعضها على بعض وقالوا: إذا ظفر بأهل الحرم فلن يقاومه أحد فكانوا يدخلون في دين الإسلام أفواجا من غير قتال^(١) وكانت تتابع وفود مثل بني زهرة وبني مرة وبني كلب وبني كنانة وبني هلال من الأكناف.

قال أبو عمرو بن عبد البر: لم يمت رسول الله ﷺ وفي العرب رجل كافر ودخل الكل في الإسلام وأما نصارى بني تغلب فما أسلموا في حياته ﷺ ولكن أعطوا الجزية^(٢). وفي «عين المعاني المراد» من ﴿النَّاسَ﴾ في الآية أهل اليمن. قال ﷺ: «الإيمان يمان والحكمة يمانية»^(٣).

وعن جابر بن عبد الله أنه بكى ذات يوم ف قيل له في ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «دخل الناس في دين الله أفواجا وسيخرجون أفواجا»^(٤). ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾ هذا أمر من الله بأن ينزهه عما لا يليق به من صفة النقص وأن يستغفره لأن النعمة يقتضي الشكر والقيام بحقها وتعظيم المنعم من لوازم العبودية فكأنه قال: قد حدث أمر عجيب يقتضي

١- تفسير أبي السعود، ج ٩، ص ٢٠٨.

٢- انظر: المحرر الوجيز في الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، ص ٥٣٢.

٣- انظر: الكشاف، ج ٤، ص ٢٩٤.

٤- جوامع الجامع، ج ٣، ص ٨٦٧ و الكشاف، ج ٤، ص ٢٩٤.

الشكر والاستغفار وإن لم يكن ذنب فإن الاستغفار قد يكون عند ذكر المعصية وقد يكون على وجه التسييح والانقطاع إلى الله ويمكن أن يكون الأمر بالاستغفار من باب «إياك أعني واسمعي يا جارة» أو المراد استغفره هضماً لنفسك واستغفاراً لعملك واستعظماً لحقوق الله وتعجباً من هذا الأمر العظيم من الغلبة على الكفار بأن تقول: سبحان الله كما ورد في الأذكار «ولكل أعجوبة سبحان الله» وقد اقترن الحمد بالتسييح في القرآن في أغلب الموارد نحو: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(١) وحاصل المعنى: فاذكره مسبحاً حامداً وزد في عبادته والثناء في عبادته لزيادة إنعامه أو المراد من التسييح مجاز عن الصلاة بعلاقة الجزئية، روي أنه ﷺ لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى^(٢) أربعاً منها للشكر وأربعاً للضحى ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^(٣) مبالغاً في قبول توبتهم.

قيل: لما نزلت السورة قرأها على أصحابه ففرحوا واستبشروا وسمعها العباس فبكى فقال ﷺ: «ما يبكيك يا عم؟» فقال: أظن أنه قد نعت إليك نفسك يا رسول الله. فقال ﷺ: «إنه كما تقول». فعاش بعدها ستين أو سنة^(٤).
واختلف في أنهم من أي وجه علموا ذلك وليس في ظاهره نعي فقيل: لأن التقدير فسبح بحمد ربك فإنك لاحق بالله وذائق الموت لأن أمرك قد تم وكمل وكل ما كمل توقع زواله، وبعد هذه السورة كان ﷺ كثيراً ما يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم»^(٥).
قالت أم سلمة: بعد هذه كان رسول الله لا يقوم ولا يقعد ولا يجيء ولا يذهب إلّا قال: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه»^(٦).

١- سورة الإسراء: ٤٤.

٢- الكشاف، ج ٤، ص ٢٩٤.

٣- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٦٧، و الكشاف، ج ٤، ص ٢٩٤.

٤- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٦٨.

٥- المصدر السابق نفسه.

وقصة فتح مكة طويلة لا يسعها هذا المختصر والمجمل منها أنه لما فتحها ودخل مكة دخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنون أن السيف لا يرفع عنهم فأتى رسول الله ﷺ ووقف قائماً على باب الكعبة فقال: «لا إله إلا الله وحده وحده، أنجز وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مال ودم يدعى هو تحت قدمي هاتين إلا سداة الكعبة وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلى أهلها، ألا إن مكة محرمة بتحریم الله لم تحل لأحد كان قبلي ولم تحل لي إلا ساعة من نهار وهي محرمة إلى أن تقوم الساعة لا يقطع شجرها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد» ثم قال ﷺ: «ألا لبئس جيران كنتم لقد كذبتم وطردتم وأخرجتم وأذيتهم ثم ما رضيتهم حتى جنتموني في بلادي تقاتلونني فاذهبوا فأنتم الطلقاء، فخرج القوم فكألما أشروا من القبور». وكان يومئذ حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً.

قيل: فجعل ﷺ يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ وقال ابن عباس: إن رسول الله ﷺ أتى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت من البيت وفيها صورة إبراهيم وإسماعيل وفي أيديهما الأزام. فقال ﷺ: قاتلهم الله أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بالأزام قط^(١).

تمت السورة بعون الله.

سُورَةُ الْمُنَادِ

مكية. قال عليه السلام: «من قرأها رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة». قال: «وإذا قرأتم (تبت) فادعوا على أبي لهب، فإنه كان من المكذبين بما جاء من عند الله»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ①
مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ②
سَيَصِلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③
وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④
فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤

النزول: صعد عليه السلام ذات يوم على الصفا فقال: «يا صباحاه!». وكان هذا النداء عند العرب للاجتماع فاجتمعت إليه قريش فقالوا له: مالك؟ فقال: «أرايتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني؟» قالوا: بلى. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تباً لك لهذا دعوتنا جميعاً؟ فأنزل الله هذه السورة أوردها البخاري في الصحيح^(٢).

المعنى: تبت وخسرت يداه لأن أكثر العمل باليد فلذا خص اليد

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٧٤.

٢- المجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٧٥، و صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٩.

بالذكر، والمراد خسرت نفسه بالوقوع في النار، تقول العرب: «وأيدي الرزايا بالذخائر مولع».

وقيل: المعنى صفرت يدها عن كل خير، قال الفراء: الأول دعاء والثاني خبر فالمعنى أهلكه الله وقد أهلك. وفي قراءة عبد الله بن سلام وأبي «وقد تب»^(١). وأبو لهب ابن عبد المطلب عم النبي ﷺ وكان شديد المناصبه للنبي ﷺ ومع ذلك لم يقل «قل تبّت يدا إلخ» لئلا يكون مشافهاً لعمه بالشتيم وإن سمعه عمه، لحرمة العمومة، فأجاب الله عنه لأن للعم حرمة كحرمة الأب، قال طارق المحاربي: بينا أنا بسوق ذي المجاز إذا بشاب يقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله ففلقوا». وإذا برجل خلفه يرميه بحجر قد أذى ساقيه وعرقوبيه يقول: يا أيها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه فقلت: من هذا؟ فقالوا: محمد يزعم أنه نبي وهذا عمه أبو لهب يزعم أنه كذاب، وكان اسمه عبد العزى وكني بهذه الكنية لحسنه وإشراق وجهه وكانت وجتاه^(٢) كأنهما تلتهبان وهذه التكنية حيث ذكره الله بالكنية لاشتهاره بها لا للتعظيم أو لكراهة ذكر اسمه القبيح إذ فيه إضافة إلى الصنم أو للتعريض بكونه جهنمياً لأنه ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ يعني: إن أبا لهب باعتبار معناه الإضافي يصلح أن يكون كناية عن حاله وهي كونه جهنمياً لأن معناه باعتبار إضافته ملابس اللهب كما أن معنى «أبو الخير» و«أخو الحرب» بذلك الاعتبار ملابس الخير والحرب. وقرئ أبو لهب بالواو كما قيل: علي بن أبو طالب مع أن القياس الياء كيلا يتغير اللفظ فيشكل على السامع^(٣) لأن الكنية بمنزلة العلم والأعلام لا

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٧٦.

٢- المصدر السابق نفسه.

٣- انظر: الكشاف، ج ٤، ص ٢٩٦، و تفسير الألويسي، ج ٣٠، ص ٢٦١.

تتغير في شيء من الأحوال وكان لبعض أمراء مكة ابنان أحدهما عبد الله بالجرّ والآخر عبد الله بالفتح.

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ أي: لم يغن عنه ماله حين حلّ به التباب ولا دفع عنه عذاب الله و﴿ مَا ﴾ في قوله: ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾ موصولة والضمير العائد من الصلة محذوف أي: الذي كسبه و﴿ مَا ﴾ الاولى نافية وقيل: استفهامية أي: أي إغناء أغنى عنه أصل ماله وما كسبه من الأرباح والتائج؟

وقد هلك أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال والعدسة بثره يخرج في البدن تشبه العدسة وهي من جنس الطاعون تقتل غالباً فاجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثاً حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه. وفي «إنسان العيون» أنه لم يحفروا له حفيرة ولكن أسندوه إلى حائط وقذفوا إليه الحجارة خلف الحائط حتى واروه^(١). وقيل: حفروا له حفرة ثم دفعوه بعود في حفرة وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه مخافة العدوى والقبر الذي يرمم خارج الشبيكة الآن ليس بقبر أبي لهب وإنما هو قبر رجلين من الملاحدة القرامطة لطخا الكعبة بالعدرة وذلك في دولة بني العباس فإن الناس أصبحوا يوماً فوجدوا الكعبة ملطخة فرصدوا للفاعل فأمسكوهما بعد أيام فصلبا في ذلك الموضع فصارا يرجمان إلى الآن.

﴿ سَيَصِلَ ﴾ في النشأة الآخرة ويدخل لا محالة ﴿ نَارًا ذَاتَ هَبٍ ﴾ عظيمة ذات اشتعال وتوقد.

﴿ وَأَمْرَأَتُهُ ﴾ عطف على الضمير في ﴿ سَيَصِلَ ﴾ يعني: إن امرأته ستصلى وهي أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان عمّة معاوية

١- عيون الأثر، لابن سيد الناس، ج ١، ص ٣٥٠.

واسمها العوراء وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتشرها بالليل في طريق رسول الله ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ وقيل: إنها تحمل يوم القيامة حزمة حطب كالزقوم والضريع وفي جيدها سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يناسب حاله من سنخ معصيته، قال قتادة: إنها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل^(١)

وقيل: كانت تمشي بالنميمة وتفسد بين الناس والمراد من حمل الحطب أي: توعد بينهم نائرة الفتنة.^(٢) وتحمل الحطب استعارة عن إيقاد نار الفتنة.

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ المسد ما يقتل من الحبال فتلاً شديداً من ليف كان أو جلد أو غيرها والمعنى أن في عنقها حبلاً بما مسد من الحبال وإنها تحمل الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيساً لحالها.

قال مرة الهمداني: كانت أم جميل تأتي كل يوم بإبالة من حسك فتطرحها على طريق النبي والمؤمنين فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة أعيت فقعدت على حجر لتستريح ف جذبها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها حتى هلكت^(٣).

وفي «ينبوع الحياة» أنها لما بلغها سورة تبت جاءت إلى أخيها أبي سفيان في بيته وهي متحرقة غضبي فقالت له: ويحك يا أحمس (أي يا شجاع) أما تغضب أن هجاني محمد؟ فقال: سأكفيك إياه ثم أخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعاً فقالت له: هل قتلته؟ فقال: يا أختي أيسرك أن رأس أخيك في فم ثعبان؟ قالت: لا قال: والله فقد كاد ذلك يكون الساعة. فإنه رأى

١- تفسير أبي السعود، ج ٩، ص ٢١١.

٢- انظر: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٧٦، و الكشاف، ج ٤، ص ٢٩٧.

٣- تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ٣٢٧، و تفسير أبي السعود، ج ٩، ص ٢١١.

ثعباناً لو قرب من النبي ﷺ لالتقم رأسه^(١).

وقيل في معنى الآية: أنه يكون لها حبل في خشونة الليف وحرارة النار وثقل الحديد يجعل في عنقها زيادة في عذابها في جهنم بسبب فعلها في الدنيا. وقيل: في عنقها سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعاً تدخل من فيها وتخرج من دبرها وتدار على عنقها في النار عن ابن عباس وعروة بن الزبير، وسميت السلسلة «مسداً» بمعنى أنه ممسودة أي: مفتولة. وقيل: إنها كانت قلادة فاخرة ثمينة من جوهر فقالت: لأنفقناها في عداوة محمد ﷺ فيكون هذا عذابها يوم القيامة في عنقها عن سعيد بن المسيب.

ويروى عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما نزلت هذه السورة أقبلت العوراء ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول: «مذمماً أبينا ودينه قليناً^(٢)، وأمره عصينا» والنبي جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك، قال ﷺ: «إنها لن تراني». وقرأ قرآناً فاعتصم به كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّشْتُورًا﴾^(٣) فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله فقالت: يا أبا بكر إن صاحبك هجاني فقال: ورب البيت ما هجاك فوئت^(٤).

ولو قال قائل: إن أبا لهب هل كان يلزمه الإيمان بعد هذه الآية وهل كان يقدر على الإيمان بعد قوله تعالى: ﴿سَيَصِلُنَّ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ ولو آمن لكان فيه تكذيب خبر الله.

فالجواب نعم هو كان يلزمه الإيمان وكان مكلفاً به وإنما توعدده الله

١- السيرة الحلبية، ج ١، ص ٤٦٨.

٢- فلا الشيء: أبغضه.

٣- سورة الإسراء: ٤٥.

٤- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٧٧.

هذا الوعيد بشرط أن لا يؤمن، ألا ترى في قصة فرعون ﴿وَإِنِّي لَأَكْتُنُ وَوَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾^(١) وفي هذا دلالة على أنه لو تاب قبل وقت اليأس لكان يقبل منه ولهذا خص رد التوبة عليه بذلك الوقت.
تمت السورة بعون الله.

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

قيل: مكية وقيل: مدنية، وتسمى بسورة النسبة؛ وسميت سورة الإخلاص، لأن من تمسك بما فيها إقراراً واعتقاداً كان مؤمناً مخلصاً؛ ومن قرءها على سبيل التعظيم أخلصه الله من النار.

وفي الحديث أنه ﷺ يقول لسورتي قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد: «المقشقتان»، سميتا بذلك لأنهما يعريان من الشرك يقال: قشقت المريض إذا برىء من علته وأفاق ومنه قشقت الهناء الجرب.

في حديث أبي بن كعب: «من قرأها فكأنما قرأ ثلث القرآن وأعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر». وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ: «أيجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن؟» قلت: يا رسول الله ومن يطيق ذلك؟ قال: «اقرأوا ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾».

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مرة بورك عليه ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهله فإن قرءها ثلاثاً بورك عليه وعلى أهله وجيرانه فإن قرأها اثنتي عشرة بني له اثنا عشر قصرًا في الجنة فإن قرأها مائة مرة كفر عنه ذنوب خمس وعشرين سنة ما خلا الدماء والأموال فإن قرأها أربعاً كفر عنه ذنوب أربعاً مائة سنة فإن قرأها ألف مرة لم يميت حتى يرى مكانه في الجنة».

وعن سهل بن سعد الساعدي قال: جاء رجل إلى النبي فشكا إليه الفقر وضيق المعاش فقال ﷺ له: «إذا دخلت بيتك فسلم إن كان فيه أحد أو لم يكن

واقراً ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مرة واحدة». ففعل الرجل فأفاض الله عليه الرزق حتى أفاض على جيرانه.

وعن الصادق عليه السلام: «أن رسول الله ﷺ صلى على سعد بن معاذ فلما صلى عليه قال: لقد رأيت من الملائكة سبعون ألف ملك وفيهم جبرئيل يصلون عليه فقلت: يا جبرئيل بم استحق سعد صلاحكم عليه؟ قال: بقراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ﴾ قاعداً وقائماً راكباً وماشياً ذاهباً وجائياً».

منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من مضى به يوم واحد وصلى فيه الخمس من الصلوات ولم يقره فيها بقل هو الله قيل له: يا عبد الله لست من المصلين».

إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من مضت عليه جمعة ولم يقره فيها بقل هو الله ثم مات مات على دين أبي لهب».

هارون بن خاروجة عنه عليه السلام قال: «من أصابه مرض أو شدة فلم يقره في مرضه أو شدته بقل هو الله أحد ثم مات في مرضه أو في تلك الشدة الذي نزلت به فهو من أهل النار».

أبو بكر الحضرمي عنه عليه السلام قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع أن يقره في دبر الفريضة بقل هو الله أحد فإنه من قرأها جمع له خير الدنيا والآخرة وغفر الله له ولوالديه وما ولدا».

عبد الله بن حجر قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «من قرء التوحيد إحدى عشر مرة في دبر الفجر لم يتبعه في ذلك اليوم ذنب وأرغم أنف الشيطان».

إبراهيم مهزم عن من سمع أبا الحسن عليه السلام يقول: «من قدم التوحيد بينه وبين كل جبار منعه الله منه فقرأها بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فإذا فعل ذلك رزقه خيره ومنعه شره». وقال: «إذا خفت أمراً فاقراء مائة آية من القرآن حيث

سنت ثم قل: اللهم اكشف عني البلاء ثلاث مرّات». وبحذف الأسانيد قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة التوحيد مائة مرّة حين يأخذ مضجعه غفر الله له ذنوب خمسين سنة»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ③

﴿أَحَدٌ﴾ أصله وحده فقلبت الواو همزة ومثله أناة وأصله وناة. وأحد

على ضربين:

أحدهما أن يكون اسماً والآخر أن يكون صفة فالاسم نحو أحد وعشرون يريد به الواحد والصفة، كقول النابغة:

كأن رحلي وقد زال النهار بنا بذوي الجليل على مستأنس وحده

والأحد اسم لمن لا يشاركه شيء في ذاته كما أن الواحد اسم لمن لا يشاركه شيء في صفاته يعني إن الأحد هو الذات وحدها من غير اعتبار كثرة فيها فأثبت له الأحديّة التي هي الغنى والفردية عن كلّ ما عداه وذلك من حيث عينه وذاته من غير اعتبار أمر آخر والواحد هو الذات مع اعتبار كثرة الصفات وهي الحضرة الأسمائية ولذا قال: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾^(٢) ولم يقل: لأحد لأن الواحدية من أسماء التقييد فبين الواحدية وبين الخلق ارتباط من حيث الإلهية والمألوهية بخلاف الأحديّة إذ لا يصح ارتباطها بشيء.

وبالجمله في سبب نزول السورة قيل: إن المشركين قالوا لرسول

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٨٠.

٢- سورة الصافات: ٤.

اللَّهُ ﷻ: انسب لنا ربك فنزلت.

وقيل: أتى عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخو لبيد النبي ﷺ وقال عامر: إلى ما تدعوننا يا محمد فقال: «إلى الله». فقال: صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب؟ فنزلت السورة. وهما اللذان هما بقتل النبي ﷺ فأرسل الله صاعقة على أربد فأهلكته وطعن عامر بغدة ولم تمهله الغدة أن يصل إلى أهله فأدركه الليل وهلك في بيت امرأة سلولية فقيل في الأمثال: «غدة كغدة البعير وموت في بيت السلولي» وسلول يعيرون وينسبون إلى المهانة والصفار.

وروى محمد بن مسلم عن أبي عبد الله قال: «إن اليهود سألوا النبي ﷺ فقالوا: انسب لنا ربك فمكث ثلاثاً لا يجيبهم ثم نزلت السورة»^(١).

وقيل: إن هذه السورة صارت سبب إسلام عبد الله بن سلام ذكره القاضي عبد الجبار في تفسيره أن عبد الله بن سلام انطلق إلى مكة عند رسول الله فقال له رسول الله ﷺ: «أنشدك بالله هل تجد في التوراة رسول الله؟» فقال عبد الله: انعت لنا ربك فنزلت السورة فقرأها النبي ﷺ فأسلم ولكن كان يكتنم ذلك إلى أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة فهناك أظهر إسلامه^(٢).

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الضمير للشأن كقولك: هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة أي شأن الأمر والقصة أن الله أحد أو الضمير لما سئل عنه فالمعنى قل يا محمد: الذي سألتك عنه هو الله فهو مبتدأ والله خبره و«أحد» بدل منه وإبدال النكرة من المعرفة عند العائد يجوز على ما ذهب إليه أبو علي وهو المختار عند الأكثر.

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٨٥.

٢- انظر: المصدر السابق نفسه.

«أحد» في الإلهية والذات والقدم، واحد لا يشركه في وجوب صفاته أحد فإنه يجب أن يكون موجوداً عالماً قادراً حياً لذاته لا لغيره وإلا لزم النقص فاختص بالواحدية من هذا الوجه إذ لا يشركه في هذا الأمر سواء فلا يستحق العبادة سواء فهذه الأحادية والواحدية ليس أحد متصفاً به، والأحد في الواحدية قطع النظر عن المعاني التي فسرت أبلغ من معنى الواحد ألا ترى أنك لو قلت: فلان لا يقاومه واحد جاز أن يقاومه اثنان لكن لما قلت: لا يقاومه أحد لم يجز أن يقاومه اثنان ولا أكثر فهو أبلغ.

فالأحدية هي الغنى عن كل ما عداه من حيث عينه وذاته من غير اعتبار أمر آخر، والواحد هو الذات مع اعتبار كثرة الصفات التي هي الحضرة الأسمائية ولذا قال: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ ولم يقل: «الأحد» لأن الواحدية من أسماء التقييد، وبينها وبين الخلق ارتباط من حيث الإلهية والمألوهية، بخلاف الأحادية. فمعرفة الذات في الحقيقة كما هو يختص به تعالى لا غير، فقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلاثة ألقاظ كل واحد منها إشارة إلى مقام السائرين إلى الله.

فالمقام الأول: مقام المقرّبين وهم الذين نظروا إلى ماهيات الأشياء وحقائقها من حيث هي هي، فلا جرم ما رأوا شيئاً إلا ورأوا الله معه، فالحقّ الثابت الباقي هو الذي لذاته يجب وجوده وأما ما عداه فممكن، إذا نظر إليه من حيث هو هو كان معدوماً. وكلمة «هو» وإن كانت للإشارة المطلقة مفتقرة في تعيين المراد بها إلى سبق الذكر إلا أن هؤلاء الطبقة يشيرون بهذه الكلمة به تعالى ولا يفتقرون في تلك الإشارة إلى ما يميّز المراد بها من غيره لأن الافتقار إلى المميّز إنما يحصل حيث وقع الإبهام بأن يتعدّد ما يصلح لأن يشار إليه لأنهم لا يشاهدون بعين عقولهم إلا هو. واعلم أنه ليس المراد من هذا الكلام أنهم قائلون بوحدة الوجود، هذا القول فاسد بل المراد أن نظرهم

ووجهتهم من غيره تعالى مقطوع وأنهم منقطعون إليه ولا يعرفون غيره أبداً، هو هو إله إله هو. فهذه الكلمة كافية لحصول العرفان لهذه الطبقة يعني: الأنبياء والأولياء المنصوصة عليهم بنص الله.

والمقام الثاني: مقام أصحاب اليمين وهو دون المقام الأول وذلك لأنهم شاهدوا بعين عقولهم الحقّ موجوداً وشاهدوا الخلق أيضاً موجوداً بخصلة الكثرة في الموجودات، فلا جرم لم تكن لفظه «هو» كافية في الإشارة إلى الحقّ بل لا بدّ هناك من مميّز به يتمييز الحقّ من الخلق. فهذه الطبقة مفتقرون إلى أن يقترن لفظه «إليه» بلفظ «هو» فليل لأجلهم «هو الله» لأنّ لفظ «الله» اسم للموجود الذي يفتقر إليه ما عداه فتمييز به الذات المرادة عمّا عداه.

والمقام الثالث: مقام أصحاب الشمال وهم الذين يجوزون أن يكون واجب الوجود أكثر من واحد فقرن لفظه «الأحد» رداً عليهم، بل هو الله أحد. قال الباقر عليه السلام: في معنى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: «أظهر يا محمد ما أنبأناك به بتأليف الحروف التي قرأناها عليك ليهتدي بها من ألقى السمع وهو شهيد، هو اسم مكين مشار إلى غائب فالهاء تنبيه عن معنى ثابت والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس كما أنّ «هذا» تنبيه وإشارة إلى الشاهد عند الحواس وذلك أنّ الكفار تنهوا على ألهم بحرف إشارة إلى المشاهد المدرك فقالوا: هذه ألهمنا المحسوسة بالأبصار فأشر أنت يا محمد إلى إلهك الذي تدعوا إليه حتى نريه وندركه ولا نأله^(١) فيه فأنزل الله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار ولمس الحواس تعالى عن ذلك بل هو مدرك الأبصار في شأن الأحديّة والواحدية الذي لا يشاركه في ذاته وصفاته أحد».

وقال الباقر عليه السلام: «حدّثني أبي عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: رأيت

الخضر في المنام قبل بدر بليلة فقلت له: علمني شيئاً أنتصر به على الأعداء فقال: (قل يا هو يا من لا هو إلا) هو فلما أصبحت قصصت على رسول الله ﷺ: يا عليّ علمت الاسم الأعظم فكان على لساني يوم بدر.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤول الخلق إليه، المستور عن إدراك الأبصار، المحجوب عن الأوهام والخطرات».

وقال الباقر عليه السلام: «الله معناه المعبود الذي آله فيه الخلق والهمزة مقلوبة من الواو أي وله فيه الخلق عن إدراك ماهيته والإحاطة بكيفيته. تقول العرب: آله الرجل إذا تحير في الشيء فلم يحط به علماً»^(١) وقد أثبت «قل» في المصحف والتزم في التلاوة مع أنه ليس من دأب المأمور بكلمة «قل» أن يتلفظ في مقام الاتِّمار إلا بالمقول لأن المأمور ليس المخاطب به فقط بل كل واحد ابتلي بما ابتلي به المأمور.

﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ مبتدء وخبر، صمد، إليه إذا قصده أي: هو السيد المصمود إليه في الحوائج المستغني بذاته وغيره محتاج إليه. قال الباقر عليه السلام: «حدثني أبي زين العابدين عن أبيه أنه قال: ﴿الصَّمَدُ﴾ الذي انتهى سؤده والصمد الدائم الذي لم يزل ولا يزال والصمد الذي لا جوف له، والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب»، وقال الباقر: «والصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه أمر ولا ناه». وقال محمد بن الحنفية: «الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره». وقال غيره: الصمد المتعالي عن الكون والفساد والذي لا يوصف بالنظائر^(٢).

وعن الباقر عن أبيه عليه السلام: «أن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام يتساءلونه عن الصمد فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فلا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه ولا تكلموا فيه بغير علم فقد سمعت جدي رسول الله ﷺ

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٨٦.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٨٧.

يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار^(١) وإن الله فسّر الصمد فقال: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لم يخرج منه شيء كثيف كالولد ولا سائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ولا شيء لطيف كالنفس ولا ينبعث منه البدوات كالسنة والخطرة والغم والنوم والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والجوع والشبع؛ فتعالى أن يتولد منه شيء لطيف أو كثيف ولم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة واللطيفة من عناصرها كالشيء من الشيء والدابة من الدابة بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء.

وعن عبد خير قال: سأل رجل علياً عليه السلام عن تفسير هذه الآية فقال عليه السلام: «هو الله أحد بلا تأويل عدد، صمد بلا تبعض عدد، لم يلد فيكون موروثاً هالكا ولم يولد فيكون إلهاً مشاركاً ولم يكن له من خلقه كفؤ». وقيل: إنه سبحانه بين التوحيد بقوله: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وبين العدل بقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ وبين ما يستحيل عليه من الوالد والولد بقوله: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ وبين ما لا يجوز عليه من الصفات كاتخاذ صاحبة وأنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض وأمثالها بنفي الكفوية فحصلت الوجدانية البحت^(٢).

تمت السورة بعون الله.

١- وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ١٤٠.

٢- انظر: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٩٠، و تفسير الصافي، ج ٥، ص ٣٩٢.

سُورَةُ الْفَلَقِ

قيل: مكية وقيل: مدنية. في حديث أبي: «ومن قرأ المعوذتين فكأنما قرأ جميع الكتب التي أنزلها الله تعالى على الأنبياء». وعن عقبه بن عامر قال: قال رسول الله: «أنزلت علي آيات لم تنزل مغلها: المعوذتان». أورده مسلم في الصحيح. وعنه عن النبي ﷺ: «يا عقبه ألا أعلمك سورتين هما أفضل القرآن - أو من أفضل القرآن -؟». قلت: بلى، فعلمني المعوذتين ثم قرأتها في صلاة الغداة وقال لي: «أقراهما كلما قمت ونمت»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③
وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤

يقال في المثل «هو أبين من فلق الصبح» والفلق بمعنى المفلوق كالصمد بمعنى المصمود، والفلق أيضاً الخلق لأن الممكنات بأسرها أعيان ثابتة في علم الله مستورة تحت ظلمة العدم فالله تعالى فلق تلك الظلمات بنور التكوين والإيجاد فأظهر ما في علمه من المكنونات فصارت مفلوقاً عنها. قيل: إذا طلع الصبح تبدل الثقل بالخفة والغم بالسرور.

١- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٩١.

روي أن يوسف عليه السلام لما ألقى في الجبّ وجعت ركبته وجعاً شديداً فبات ليلة ساهراً فلما قرب طلوع الصبح نزل جبرئيل بإذن الله يأمره بأن يدعو ربه فقال: يا جبرئيل ادع أنت وأؤمن، فدعا جبرئيل وأمن يوسف فكشف الله ما كان به من الضرّ فلما طاب وقت يوسف قال: يا جبرئيل وأنا أدعو أيضاً وتؤمن أنت فسأل يوسف ربه أن يكشف الضرّ عن جميع أهل البلاء في ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض إلّا ويجد نوع خفة في آخر الليل^(١).

وقيل في الفلق: إنه بيت في جهنّم إذا فتح صاح جميع أهل النار^(٢). في «المعاني» سئل الصادق عليه السلام عن الفلق قال: «صدح في النار فيه سبعون ألف دار في كلّ دار سبعون ألف بيت في كلّ بيت سبعون ألف أسود في جوف كلّ أسود سبعون ألف حبرة سمّ لا بدّ لأهل النار أن يمرّوا عليها»^(٣)، والحاصل أمر من الله لنبيه والمراد جميع أمته.

﴿قُلْ﴾ يا محمد: اعتصم وأمتنع ﴿بِرَبِّ﴾ الصبح وخالقه ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من الجنّ والإنس وسائر الحيوانات، وإنما سمّي الصبح فلماً لا نفلاق عموده بالضياء عن الظلام كما قيل: «فجر» لانفجاره^(٤) بذهاب ظلامه وقيل: الفلق المواليد كالنقرة في الصخرة لأنهم ينفلقون بالخروج من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات^(٥) وقوله: ﴿مَا خَلَقَ﴾ عامّ في جميع ما خلقه الله ممّن يمكن أن يحصل منه الشرّ وإضافة الشرّ إليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسّس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيميّاتها المتضادة المستتعبة

١- تفسير الرازي، ج ٣٢، ص ١٩١.

٢- الكشاف، ج ٤، ص ٣٠٠.

٣- تفسير الصافي، ج ٥، ص ٣٩٥.

٤- التبيان، ج ١٠، ص ٤٣٣.

٥- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٩٣.

للكون والفساد من شرّ حصول الشرّ ممّا خلق كالاستيمام من السمّ فتأمل.
وأما عالم الأمر فهو خير محض منزّه عن شوائب الشرّ بالكليّة.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: من شرّ الليل إذا دخل بظلامه
فيكون المراد من شرّ ما يحدث في الليل من الشرّ والمكروه. وإنما اختصر
الليل بالذكر لأنّ أغلب الفساد يقدم عليه في الليل.

ومعنى الغاسق كلّ هاجم عليه بضرره كائنا من كان والوقب النقرة في
الشيء يجتمع فيها الماء ووقب إذا دخل في وقب الظلام. فالمعنى إذا دخل
ظلامه في كلّ شيء والحاصل أنّ الشرّ ينبعث في الليل أكثر من النهار
ويخرج عفاريت الجنّ فيه وكذلك الهوامّ والموديات. ونهى رسول الله عن
السير في أوّل الليل وأمر بتغطية الأواني وإغلاق الأبواب وإيكاء الأسقية وضمّ
الصبيان وكلّ ذلك للحذر من الشرّ والبلاء.

وقيل: المراد بالغاسق القمر ووقبه دخوله في الخسوف واسوداده.
وقيل: وقبه المحاق في آخر الشهر والمنجمون يعدّونه نحساً ولذلك لا
تشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض إلّا في المحاق. وروي عن عائشة
أنها قالت: أخذ رسول الله بيدي فأشار إلى القمر فقال: «تعوّذي بالله من شرّ
هذا فإنه الغاسق إذا وقب»^(١)، وشرّه الذي يتقى ما يكون في الأبدان ويحدث
آفات بسببه.

وقيل: الغاسق الثريّا ووقوبها سقوطها لأنها إذا سقطت كثرت الأمراض
والطواعين^(٢) وإذا طلعت قلت.

﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ النفث شبه النفخ يكون في الرقية

١- الكشاف، ج ٤، ص ٣٠١، و تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ٣٣٩.

٢- تفسير أبي السعود، ج ٩، ص ٢١٥.

ولا ريق معه، وإذا كان معه ريق فهو التفل والعقد ما يعقده الساحر على وتر أو حبل أو شعر يقال لها: عزيمة كما يقال لها: «عقدة» والمعنى من شرّ النفوس أو النساء السواحر اللاتي يعقدن عقداً في خيوط وينفثن عليها وتعريفها إما للعهد أو إماماً للإيدان بشمول شرهن وتمخضهن فيه.

روي عن ابن عباس وعائشة أنه كان غلام من اليهود يخدم النبي ﷺ وكان عنده أسنان من مشطه ﷺ فأعطاها اليهود فسحروه ﷺ فيها^(١) ولذا ينبغي أن يقطع الظفر بعد التقليم وكذا الشعر إذا سقط من اللحية والرأس نصفين لئلا يسحر به.

وتولاه لبيد بن أعصم اليهودي وبناته وهن النفاثات فدفنها في بئر أريس أو بئر بني زريق تسمى ذروان فمرض النبي ﷺ قيل: إنه ﷺ لبث فيه ستة أشهر فنزل جبرئيل بالمعوذتين - بكسر الواو - وأخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فأرسل علياً وعماراً فنزحوا ماء البئر فكأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة التي توضع في أسفل البئر فأخرجوا من تحتها الأسنان ومعها وتر قد عقد فيه عشر عقدة مغرزة بالإبر فجاؤا بها النبي ﷺ فجعل يقرء المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد حتى انحلت العقدة الأخيرة عند تمام السورتين فقام ﷺ كأنما انشط من عقال وجعل جبرئيل يقول: «بسم الله أرقبك والله يشفيك من كل شيء يؤذيك من عين وحاسد»^(٢)، فلذا جوزوا الاسترقاء بما كان من كلام الله وكلام رسوله لا بما كان مما لا نفهمه من الهندية والعبرانية والسريانية فإنه لا يجوز العمل به. والحق في المسألة عند الإمامية أن السحر لا يؤثر في النبي، وأمره

١- تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ٣٣٨.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٩٢.

بالاستعاذة من سحرهنّ لا يدلّ على تأثير السحر فيه وإنما أمر بالتعوّذ من السحرة لأنهم يفعلون أشياء من النفع والضرر وعمامة الناس يصدقونهم فيعظم بذلك الضرر في الدين ويوهمون أنهم يعلمون الغيب ولأجل هذا الضرر أمر الله بالتعوّذ من شرّ أفعالهم.

وأما ما نقله المخالفون ليس بصحيح، و في «مجمع البحرين». قالت المعتزلة: وهذا لا يجوز لأنّ من وصف بأنه مسحور مدخل عقله وقد أبى الله ذلك في قوله: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾^(١) ولكن يمكن أن يكون اليهودي أو بناته - على ما روي - اجتهدوا في ذلك ولم يقدروا عليه وأطلع الله نبيّه على ما فعلوه حتى استخرج وكان ذلك دلالة على صدقه، وكيف يكون المرض من فعلهم ولو قدروا على ذلك لقتلوه وقتلوا كثيراً من المؤمنين مع شدة عداوتهم لهم^(٢).

وقال أبو مسلم: المراد بالنفث في العقد إبطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليستهلّ حلّها^(٣)، والنفثات في الآية هي جنس النساء اللاتي شأنهنّ أن يغلبن على الرجال ويحولنهم عن آرائهم بأنواع المكر والحيلة ولأجل استقرار حبهنّ في قلوب الرجال يتصرفن فيهم ويحولنهم من رأي إلى رأي فأمر الله تعالى بالتعوّذ من شرهنّ. والسحر عند المعتزلة تخييل لا أصل له وعند بعض قالوا: تمرىض وتأثير بما يتصل به كما يخرج من فم المتائب ويؤثر في المقابل^(٤) وقال بعض: سرعة الحركة ولطافة الفعل فيما خفي فهمه.

١- سورة الفرقان: ٨.

٢- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٩٢.

٣- تفسير أبي السعود، ج ٩، ص ٢١٥.

٤- انظر: تفسير العزبن عبدالسلام، ص ٥١٠.

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ قال النبي ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»^(١) وأول ذنب عصي الله به في السماء حسد إبليس لآدم فأخرجه من الجنة فطرد وصار شيطاناً رجيماً وفي الأرض قابيل لأخيه هابيل فقتله فأمر الله بالتعوذ من شره، والحسد: الأسف على نعمة عند الغير أو تمنّي زوالها من الغير.

قال الزمخشري: عرف سبحانه بعض المستعاذ منه ونكر بعضه مثل أن عرف ﴿الْتَفَثْتِ﴾ لأن كل نفاثة شريرة ونكر ﴿غَاسِقِ﴾ لأن كل غاسق لا يكون فيه الشر إنما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضرّ وربّ حسد محمود وهو الحسد في الخيرات^(٢).

قيل: المراد أنه تعالى أراد وأمر بالتعوذ من شر نفث الحاسد ومن شرّ عينه فإنه ربّما أصاب بهما.

وروى أنس أن النبي ﷺ قال: «من رأى ما يعجبه فقال: الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره شيئاً». وقد جاء في الحديث: «أن العين حق»^(٣).

قال الحسين بن الفضل: ذكر الله الشرور في هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليعلم أنه أخبث الطبائع^(٤).

ونسب بعض إلى عبد الله بن مسعود أن هاتين السورتين ليستا من القرآن وتعويذتان للنبي وللمؤمنين. قال صاحب «عين المعاني»: الصحيح أنهما من القرآن إلا أنهما لم تثبتا في مصحف ابن مسعود للأمن من نسيانهما لأنهما يجريان على لسان كل إنسان لا أنه لم يقبل أنهما من القرآن. وقد قيل:

١- تفسير الثعلبي، ج ٣، ص ٣٣٠.

٢- الكشاف، ج ٤، ص ٣٠١، و تفسير النسفي، ج ٤، ص ٣٦٥.

٣- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٩٣.

٤- تفسير الثعلبي، ج ٥، ص ٦٤١.

إن مصحف عبد الله حذف منه أم الكتاب والمعوذتان ومصحف أبي بن كعب زيد فيه سورة القنوت وهي قوله: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ إِلَى قَوْلِهِ: مَنْ يَعْجُزُكَ، ولكن مصحف زيد بن ثابت كان سليماً من ذلك فكان كل من مصحفي أبي وابن مسعود منسوخاً ومصحف زيد معمولاً به وكان ﷺ يعرض القرآن على جبرئيل في كل رمضان مرة واحدة فلما كان العام الذي قبض ﷺ فيه عرضه مرتين وكان قراءة زيد - على ما قيل - من آخر الفرض. قال عبد الله بن مسعود جميع سور القرآن مائة واثنى عشرة سورة. قال الفقيه في كتاب «البستان»: إنما قال: إنها مائة واثنى عشرة سورة لأنه كان لا يعدّ المعوذتين من القرآن وكان لا يكتبهما في مصحفه ويقول: إنهما منزلتان من السماء وهما من كلام رب العالمين ولكن النبي ﷺ كان يرقى ويتعوذ بهما فاشتبه على ابن مسعود أنهما من القرآن أو ليستا منه فلم يكتبهما في المصحف.

وقال مجاهد: جميع سور القرآن مائة وثلاث عشرة سورة لأنه كان يعدّ الأنفال والتوبة سورة واحدة وقال زيد بن ثابت مائة وأربع عشرة سورة والمعوذتان سورتان من القرآن. تمت السورة بعون الله.

سُورَةُ النَّاسِ

مدنية. الفضل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إن رسول الله اشتكى ووجع وجعاً شديداً فأتاه جبرئيل وميكائيل عليهما السلام فقعده جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجله، فعوّذه جبرئيل بـ (قل أعوذ برب الفلق) وعوّذه ميكائيل بقل أعوذ برب الناس»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①
مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③
شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④
الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥

أي: مالك أمورهم ومرتيهم بإفاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ عطف بيان لرب الناس، أي: سيدهم والقادر عليهم، ولم يجز هنا إلا ملك وجاز في فاتحة الكتاب ملك ومالك وذلك لأن صيغة «ملك» يدل على صفة من يشعر بالتدبر وليس كذلك مالك وذلك لأنه يجوز أن يقال: مالك الثوب ولا يجوز أن يقال: ملك الثوب، فجرت اللفظة في فاتحة الكتاب على معنى الملك في يوم الجزاء وفي هذه السورة «ملك» على تدبر من يعقل

التدبير فكان لفظ ملك هنا أولى وأحسن والمعنى ملك الناس كلهم ومدبرهم.
﴿إِلَهُ النَّاسِ﴾ أي: ليس ملكه بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير
أمرهم كما هو قصارى أمر الملوك بل هو بطريق العبودية اللازمة للألوهية
المقتضية للإحياء والإماتة والإيجاد والإعدام فإنه يحق له الإلهية ولكم العبودية.

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ الوسوسة الصوت الخفي الذي لا يحس به
فيحذر منه والوسواس اسم بمعنى الوسوسة مثل الزلزال بمعنى الزلزلة وأما
المصدر فبالكسر والفرق بين المصدر واسم المصدر هو أن الحدث إن اعتبر
صدوره عن الفاعل ووقوعه على المفعول سمي مصدراً وإذا لم يعتبر بهذه
الحيثية سمي اسم المصدر وحقيقة الوسوسة معنى كلام يكرره الموسوس
ويؤكدّه عند من يلقيه إليه والمراد بالوسواس الشيطان لأنه يدعو إلى المعصية
بكلام خفي يفهمه الولي من غير أن يسمع صوته ووسوسة اللعين بالإغرار
بسعة رحمة الله أو بتخييل أن له في عمره سعة، وأن وقت التوبة باق بعد
وسمي اللعين بفعله مبالغة كأنه نفس الوسوسة لدوام وسوسته.

والإلقاء إما صحيح أو فاسد فالصحيح إلهي رباني متعلق بالخير
والمعارف أو ملكي روحاني وهو الباعث على الطاعة وما فيه صلاح ويسمي
إلهاماً من القسمين والفاسد نفساني وهو ما فيه حفظ النفس ويسمي هاجساً،
أو شيطاني ويسمي وسواساً.

وينحصر ما يدعو الشيطان إليه ابن آدم في ست مراتب: الأولى: الشرك
والكفر ومعاداة الله ورسوله، فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه واستراح من
تعبه معه والثانية: البدعة وهي أحب إلى إبليس من المعصية لأن المعصية
يتاب منها فيكون كالعدم والبدعة فالتوبة عنها غير ممكن وصعب ولا يمكن
التدارك عنها فإذا عجز اللعين عن هاتين انتقل إلى المرتبة الثالثة: وهي الكبائر

على اختلاف أنواعها فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى المرتبة الرابعة: وهي الصغائر التي إذا اجتمعت أهلكت صاحبها كالنار الموقدة من الحطب الصغار فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى المرتبة الخامسة: وهي اشتغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب بل عقابها فوات الثواب فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى المرتبة السادسة: وهي أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ليفوته ثواب العمل الفاضل فمن الشياطين شيطان الوضوء ويقال له الولهان بفتح الحين وهو شيطان يولع الناس بكثرة استعمال الماء. قال عليه السلام: «تعوذوا بالله من وسوسة الوضوء»^(١). ومنهم شيطان يقال له «خزب» وهو الملبس على المصلي في صلاته وقراءته.

﴿الْخَنَاسِ﴾ هو الشيطان ومن عادة الشيطان أن يتأخر وينقبض إذا ذكر الله. قال القمي: الخناس اسم الشيطان الذي إذا غفل الإنسان عن ذكر ربه وسوس إليه^(٢).

حكى أن بعض الأولياء سأل الله أن يريه كيف يأتي الشيطان ويوسوس فرأى صورة الإنسان في صورة إنسان من بلور وبين كتفيه خال أسود كالعش والوكر فجاء الخناس يتحسس في جميع جوانبه وهو في صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل فجاء بين الكتفين فأدخل خرطومه قبل قلبه فوسوس إليه فذكر الله فخنس وراءه ولذلك سمي بالخناس لأنه ينكص على عقبيه مهما حصل نور الذكر في القلب.

ولعل لهذا السر كان عليه السلام يحتجم بين كتفيه ويأمر بذلك ووصاه جبرئيل بذلك لأمته لتضعيف مادة الشيطان وتضييق مرصده لأنه يجري بوسوسته

١- نيل الأوطار، للشوكاني، ج ١، ص ٣١٧.

٢- انظر: تفسير الصافي، ج ٥، ص ٣٩٨.

مجري الدم في بني آدم وكذلك كان خاتم النبوة بين كتفيه إشارة إلى عصمته من وسوسته لقوله ﷺ: «أعاني الله عليه، وإن شيطاني قد أسلم»^(١) المراد أنه عجز واستسلم قرينه وما أسلم قرين آدم ﷺ فوسوس إليه.

ويجوز أن يدخل الشيطان في الأجسام وإن كان في الأصل من نار لكن ليس بمحرق لأنه لما امتزج النار بالهواء صار تركيبه مزاجاً مخصوصاً وهو جسم لطيف فيدخل وقال سبحانه: ﴿يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ والصدر هو ساحة القلب وبيته فمنه تدخل الواردات على القلب فالصدر بمنزلة الدهليز ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ الجنة جماعة الجنّ و«من» بيان للذي يوسوس على أنه ضربان جنّي وإنسي كما قال: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾^(٢) والموسوس إليه نوع واحد وهو الإنس لأنه لم يرد دليل على أنّ الجنّي يوسوس في صدور الجنّي، فكما أنّ شيطان الجنّ يوسوس تارة ويخنس أخرى كذلك شيطان الإنس يلقي الأباطيل في صورة الناصح فإن زجره السامع يترك الوسوسة ويخنس وإن قبل السامع كلامه بالغ فيه.

وحاصل المعنى أنه سبحانه أمر العبد أن يستعيذ من شرّ وسوسة الجنّ والإنس أو أن يستعيذ من شرّ الجنّ والإنس. وفي هذا إشارة إلى أنّ الضرر يلحق من جهة هؤلاء وأنهم قادرون على ذلك ولولاه لما حسن الأمر بالاستعاذة منهم.

روى العياشي عن جعفر بن محمد قال: قال رسول الله: «ما من مؤمن إلا ولقبيه في صدره أذنان اذن ينفث فيها الملك وأذن ينفث فيها الوسواس الخناس، يؤيد الله المؤمن بالملك وهو قوله سبحانه: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾^(٣)»^(٤).

١- تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٦١٥.

٢- سورة الأنعام: ١١٢.

٣- سورة المجادلة: ٢٢.

٤- مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٩٨.

عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه وقراً (قل هو الله أحد)، وسورة (الفلق)، وسورة (الناس)؛ فنفث فيهما ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يصنع ذلك ثلاث مرات^(١).

وكان ابن كثير إذا انتهى إلى آخر القرآن إلى قوله: ﴿مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّكَاسِ﴾ قرأ سورة الفاتحة وخمس آيات من أول سورة البقرة على عدد الكوفي وهو إلى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ لأن هذا يسمى حال المرتحل ومعناه حل من قراءة آخر الختمة وارتحل إلى ختمة أخرى إرغاماً للشيطان، وصار العمل على هذا في أمصار المسلمين وكذلك قراءة سورة التوحيد بعد الختمة ثلاثاً.

قال البخاري: عند كل ختمة دعوة مستجابة وإذا ختم الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه ويستحب الدعاء عند الختم مستقبل القبلة رافعاً يديه خاضعاً لله ويشني على الله قبل الدعاء وبعده ويصلي على النبي ويمسح وجهه بيديه بعد فراغه.

وعنه ﷺ أنه أمر علياً عليه السلام أن يدعو عند ختم القرآن بهذا الدعاء وهو «اللهم إني أسألك إخبارات المخبئين وإخلاص الموقنين ومراقبة الأبرار واستحقاق حقائق الإيمان والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك، والفوز بالجنة، والخلاص من النار»^(٢).

وكان النبي ﷺ يقول: عند ختم القرآن «اللهم ارحمني بالقرآن العظيم واجعله لي إماماً ونوراً وهدى ورحمة، وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، واجعله حجة لي يا رب العالمين»^(٣).

١- الشمانل المحمدية، للترمذي، ص ١٤٥.

٢- كنز العمال، ج ٢، ص ٣٥١.

٣- البرهان، للزرکشي، ج ١، ص ٤٧٥.

وقد تمّ بعون الله كتاب «مقتنيات الدرر وملقطات الثمر» في تفسير الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه في الشهر الذي أنزل في مثله القرآن من السنة السابعة بعد الثلاثين بعد الثلاثمائة بعد الألف.

فيقول العبد الفقير الملتقط المحتاج إلى ربّه القدير الغنيّ المغنيّ فيتضرّع مستكيناً ذليلاً رافعاً يديه الخاطئة مستجدياً من أياديه الفاضلة وآلائه المتواصلة أن يمنّ على هذا العبد الكالّ على مولاه بالقبول فإذا تقبلها ربّها بقبول حسن فأهدى ثواب هذه الدرّة الثمينة - التي خاض في طلبها البحار الزاخرة؛ حتى اقتناها كبارها ومرجانها وشطوطها وخلجانها - إلى روح حبيبه محمّد الذي بعثه من أطيب الأعراق وأعظم الجرائيم، وابن عمّه عليّ عليه السلام الذي ضرب الخراطيم حتى كانت الكلمة مجموعة والأصنام مرفوعة، فجلّت الهدية ونعم المهدي له فقد عرض الطيب على عطّاره. وإني أستشفع بكتابه العزيز وبالنبيّ والوصيّ في أن يجاوز عن ذنوبي العظيمة التي لا أعظم منها إلّا عفوه، فأسالك العفو ومنّ عليّ بالقبول والغفران إنك أهل التقوى وأهل المغفرة.

نجز الجزء الثاني عشر من الكتاب، وبه ختامه ومن الله التوفيق وله المنة.

فهرس الأحاديث

(أ)

- أندرون ما الكوثر إنه ثمر في الجنة وعنديه ربي ٢٩٢
- أندرون من الكنود ٢٥٣
- أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم ١٧٢
- احفظ ما بين لحيك ورجليك ٢٤٩
- أدى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه ٣٢
- إذا أخذت مضجعتك فالقرا ٢٩٥
- إذا تناول العبد كأس الخمر ناشده الإيمان بالله ٢٦
- إذا خفت أمراً فاقره مائة آية من القرآن حيث شئت ثم قل ٣١١
- إذا دخلت بيتك فسلم إن كان فيه أحد أو لم يكن واقرا ٣١٠
- إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم العكاظي ١٢٠
- أرايتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني ٣٠٣
- استثنى الله أهل صفوته من خلقه حيث قال ٢٦٧
- أطبقت على الكفار وكان والله الخلود للكفار ٢٧٢
- أعاني الله عليه، وإن شيطاني قد أسلم ٣٢٨
- أعوذ بالله من الحور بعد الكور ١٢٣
- أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك ٢٢٩
- أفضل الحج العج والشج ٥٨
- أقرب ما يكون العبد من ربه إذا سجد فأكثر من الدعاء في السجود ٢٢٨

- ١٦٣ اقرأ سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم فإنها سورة الحسين بن علي بن أبي طالب
- ٣١٥ الله معناه المعبود الذي أله فيه الخلق
- ٣١٥ الله معناه المعبود الذي بأله فيه الخلق
- ١٢٩ أما السماء فأننا وأما البروج فالأئمة بعدي أولهم علي وآخريهم المهدي
- ١٩٨ أما علمت أنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة
- ٢٤٨ أمر أهل الكفر أم في أمر أهل الإيمان؟
- ٢٠٥ أن (الضحى) أو (لم نشرح سورة واحدة لتعلق إحداها بالأخرى
- ١٣٧ إن أردت أن تسبق المقرئين فصل من قطعك وأعط من حرمك واعف عن ظلمك
- ١١٣ إن العبد كلما أذنب ذنباً حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه
- ٣٢٢ أن العين حق
- ٢٧٢ إن الكفار والمشركين يعيرون أهل التوحيد في النار
- ٢٣٤ إن الله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان أعتق ألف ألف عتق من النار
- ٥٦ إن الله تعالى لما أبرز خلقه احكاماً ولم يبق غير آدم
- ١٠١ إن الله جعل قلوب الأئمة مورد الإرادته فإذا شاء الله شأوه
- ١٩٩ إن المراد من الضحى هو الضحى الذي كلم الله فيه موسى وبالليل ليلة المعراج
- ٢١٥ إن المؤمن إذا مات صعد الملكان إلى السماء فيقولان
- ١٠٦ إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم
- ١٨٣ إن أمامكم عقبة كؤودة لا يجوزها المثلون وأنا أريد أن أخفف عنكم لتلك العقبة
- ١٣٦ إن أهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا لحماً ثم يعيدهم خلقاً جديداً
- ١٣٧ إن أود الأوداء إلي من عبيدني لغير نوال
- ٣٢٥ إن رسول الله اشتكى ووجع وجمعاً شهيداً فاتاه جبرئيل وميكائيل
- ٢٨٥ إن رسول الله ذكر فضل قریش بسبع خصال
- ١٣٦ إن في جهنم لسباعاً من نار وكلاباً من نار وسيفاً من نار
- ١٥٣ إن لي مع المصلين ثلاث أمور

- ١٧٨ أنا من الله والمؤمنون من فيض نوري
- ١٧٨ أنا وعلي أبو هذه الأمة
- ٢٠٣ أنا وكافل المتهم كهاتين في الجنة إذا اتقى الله
- ١٧٨ إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم أمر دينكم وما يصلح شأنكم
- ٥٣ إني أنا النبا العظيم والصدىق الاكبر عن قليل ستعلمون ما توعدون
- ٣٠٩ أبعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن؟

(ت)

- ٢٠٤ التحدث بالنعمة شكر وتركه كفر
- ٥٩ تحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير
- ٦٨ تعلموا سورة النبا وسورة ق وسورة والنجم وسورة والسماء ذات البروج
- ٣٢٧ تعوذوا بالله من وسوسة الوضوء
- ٣١٩ تعوذى بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب
- ٢٤٦ تفيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوانة من الذهب والفضة
- ٢١١ التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الفالج

(ث)

- ١٢٢ ثلاث من كن فيه حاسبه الله حساباً يسيراً وأدخله الله الجنة برحمته

(ج)

- ١٠٠ جاءني جبرئيل في صورته فعلق بي هذا من حسنه

(ح)

- ٣٢٢ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب

(خ)

- ٢٠٨ خلقت عسراً واحداً وخلققت يسرين فلن يغلب عسراً يسرين

٨٨ خلقتهم من سبع ورزقتهم من سبع فأسجدوا لله على سبع

(د)

٣٠٠ دخل الناس في دين الله أفواجاً وسيخرجون أفواجاً

(ذ)

١٢٩ ذكر الله عبادة وذكر عبادة وذكر علي عبادة وذكر الأئمة عبادة

(ر)

٣١٥ رأيت المنضر في المنام قبل بدر ليلة نقلت له

(س)

١٤٩ سبحان الله والحمد لله مملآن ما بين السماوات والأرض

(ش)

٩١، ٦٨ شجبتني هود والواقعة والمرسلات وعم وإنا الشمس كورت

(ص)

٣١٨ صدح في النار فيه سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت

٣١٥ الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره

(ع)

١٨٣ عتق النعمة أن تنفرد بعبتها وقلك الرقبة أن تعين بئمنها

٢٧١ عجباً ممن يعصي الله على وجه الأرض والنار تسعر من تحته

٢١٣ عليكم بالزيت فإنه يكشف المرّة وينهب البلغم ويشد العصب

٢٠٤ عليكم بكتان النعم فإن كل ذي نعمة محسود

(ف)

٥٧ فإذا قامت القيامة وقضى الله بين الناس وميز بين أهل الجنة والنار

- ٢٩٥ فقرأ هذه السور الخمس
- ٥٧ فالسواد الذي ترويه في القمر شبه الخطوط فيه أثر المو
- ٣٠٣ فأبى نذر لكم بين يدي عذاب شديد
- ٢٢٧ فرعون أشد من فرعون موسى

(ق)

- ١٠٧ القبر روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النيران

(ك)

- ١٤٧ كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة وأول من قال سبحان ربّي الأعلى ميكائيل
- ٢٣ كان عند فاطمة رضي الله عنها شعير فجعلوه عصيدة
- ١٣١ كان ملك فيمن كان قبلكم له ساحر فلنأمرض الساحر
- ٢٥٣ الكنود الذي يأكل وحده ويمنع رفته ويضرب عبده
- ٢٩٢ الكوثر نهر في الجنة أعطاه نبيّه عوضاً من ابنه

(ل)

- ٢٨٣ لا تجمع بين سورتين في ركعة واحدة إلا الضحى، أو ألم نشرح، أو ألم تر كيف، أو الإيلاف
- ١٨٠ لا تزول قدما العبد حتى يسأل عن أربع
- ٤٨ لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود
- ٦٢ لا يخرج من النار من دخلها حتى يمكث فيها أحقاباً
- ٢١٨ لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدقني
- ٢٠٠ لم أؤتم النبي عن أبيه لئلا يكون لمخلوق أمر عليه حق
- ٢٩٣ لما نزلت هذه السورة قال النبي لجبرئيل
- ٨٨ لن يدخل أحدكم الجنة بصله
- ٢٢٠ لو وضعت السماوات والأرضون وما فيهن وما بينهن في كفة والبسلة في كفة لرجحت عليها
- ١٤٧ لو يعلمون ما فيها لقرأها الرجل كل يوم عشرين مرة

- ٧١ لمس على أبيك كرب بعد اليوم
- ٢٠٦ ليلة أسري بي إلى السماء الصقي جبرئيل بصدرة
- ٢٦٤ لعن أو قفك الله يوم القيامة حتى يسألك عن كل أكلة أكلتها

(م)

- ١٢٩ ما طلعت الشمس على يوم ولا غربت عن يوم أفضل منه
- ٥٢ ما لله آية هي أكبر مني ولا لله نبي أعظم مني
- ٥٢ ما لله نبي أعظم مني
- ٣٢٨ ما من مؤمن إلا ولقلبه في صدره أذنان اذن ينفث فيها الملك وأذن ينفث فيها الوسواس الخناس
- ٣٥ المراد بذلك التسبيح صلاة الليل
- ٨٢ مرحبا من عاتبي ربي فيه
- ١٧١ المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد مظلمة عبد
- ٥١ من أدمن قراءة عم يتسامطون سنة يزور بيت الله الحرام
- ٣١٠ من أصابه مرض أو شدة فلم يقره في مرضه أو شدته بقل هو الله أحد
- ١٨٥ من أكثر قراءة الشمس وسورة والليل وسورة والضحي وألم نشرح
- ٢٦٥ من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله
- ٢٣٣ من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
- ٣١٠ من قدم التوحيد بينه وبين كل جبار منعه الله منه
- ٣١٠ من قرء التوحيد إحدى عشر مرة في دبر الفجر
- ٢٩٩ من قرء سورة الفتح في نافلة أو فريضة نصره الله على أعدائه
- ٢٦٥ من قرأ السورة في نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقاً
- ٣١١ من قرأ سورة التوحيد مائة مرة حين يأخذ مضجعه غفر الله له ذنوب خمسين سنة
- ٥ من قرأ سورة القيامة شهدت أنا وجبرئيل له يوم القيامة أنه كان مؤمناً
- ٥١ من قرأ سورة النبأ سقاه الله برد الشراب يوم القيامة
- ١٧٧ من قرأها أعطاه الله الأمان من غضبه يوم القيامة

- ١٠٣ من قرأها أعطاه الله من الأجر بعدد كل قبر حسنة
- ٢٨٢ من قرأها أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من طاف بالبيت واعتكف
- ٢٠٥ من قرأها أعطي من الأجر كما لقي محمداً
- ٢٣١ من قرأها أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر
- ٢٣١ من قرأها جهر كان كشاهر سيفه في سبيل الله
- ٣٠٢ من قرأها رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة
- ٢٧٢ من قرأها عافاه الله أيام حياته من المسخ والخسف
- ٢٦١ من قرأها عند النوم وقي فتنة القبر
- ٢٩٩ من قرأها فكأنما شهد مع رسول الله فتح مكة
- ٣٠٩ من قرأها فكأنما قرأ ثلث القرآن
- ٢٧٢ من قرأها في الفريضة شهد له يوم القيامة كل سهل وجبل ومدرب أنه كان من المصلين
- ٢٨٧ من قرأها في فرائضه ونوافله قبل الله صلواته وصيامه ولم يحاسبه بما كان منه في الدنيا
- ٢٣١ من قرأها في فريضة من الفرائض نادى مناد يا عبد الله قد غفر لك ما مضى فاستأنف العمل
- ٢٦٩ من قرأها في فريضة من فرائضه لغت عنه الفقر وجلبت عليه الرزق وتدفع عنه ميتة السوء
- ٢١٧ من قرأها في نومه أو في ليلته ثم مات في يومه أو في ليلته مات شهيداً
- ١٨٥ من قرأها كان كمن تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر
- ١٦٣ من قرأها كان معه يوم القيامة
- ١٩٧ من قرأها كان ممن يرضاه الله ولحمده
- ٢١٧ من قرأها كأنها قرأ المفصل
- ٣٩ من قرأها كتب له أنه ليس من المشركين وعرف الله بينه وبين محمد
- ٣١٠ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع أن يقرء في دبر الفريضة بقل هو الله أحد
- ١٠٩ من كانت قرأته في الفريضة أعطاه الله الأمن من النار يوم القيامة ولا تراه ولا يراها
- ٨٥ من مات من أمي يعمل عمل قوم لوط نقله الله إليهم ثم يحشر معهم
- ٨٥ من مات وهو يعمل عمل قوم لوط سار به قبره حتى يصير معهم ويحشر يوم القيامة معهم

من مضت عليه جمعة ولم يقرء فيها بقل هو الله ثم مات مات على دين أبي لهب ٣١٠

من مضى به يوم واحد وصلى فيه الخمس من الصلوات ولم يقرء فيها بقل هو الله ٣١٠

(ن)

النبأ العظيم الولاية ٥٢

نحن أهل البيت الذي أنعم الله بنا على العباد وبناتنا تتلفوا بعد أن كانوا مختلفين ٢٦٤

نحن والله المأثرون لهم يوم القيامة والقائلون ٦٧

النعمة في الآية حبنا أهل البيت ٢٦٤

نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ٢٦٣

(هـ)

هذا من النعيم الذي تسألون عنه ٢٦٤

هذه خير لكم من أن يعطى كل واحد منكم مثل جميع الدنيا ٢٨٩

هكذا يبعثون يوم القيامة على ما ماتوا عليه ٢٤٨

هم شيعتك وموعدي وموعدكم المحوض إذا اجتمعت الأمم للحساب يدعون غرأ محجلين ٢٤٤

ها النجدان نحمد الخير ونحمد الشر فلا يكن نحمد الشر أحب إلينا من نحمد الخير ١٨٢

(و)

وإذا قرأتم (ثبت) فادعوا على أبي لهب ٣٠٣

والذي نفسي بيده لو دنأني لا اختطفته الملائكة عضواً عضواً ٢٢٤

والصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه أمر ولا ناه ٣١٥

ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ٢٣٣

ومن قرء سورة عبس جاء يوم القيامة وجهه ضاحكاً مستبشرة ٨١

ومن قرء سورة هل أتى في كل غداة خميس زوجته اللهم من المحور العين ١٩

ومن قرء سورة هل أتى كان جزاؤه على الله الجنة وحريراً ١٩

ومن قرأ المعوذتين فكأنما قرأ جميع الكتب التي أنزلها الله تعالى على الأنبياء ٣١٧

- ومن قرأ هذه السورة لم يكن حبسه وحسابه يوم القيامة إلا كقدر صلاة مكتوبة حتى يدخل الجنة ٦٩
- ومن قرأها أعطاه الله الأجر بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفه يكون في الدنيا عشر حسنات ١٢٧
- ومن قرأها أعطي من الأجر بعدد من بات بالزلفة ٢٥١
- ومن قرأها سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة ١٠٩
- ومن قرأها في فراتضه ونوافله سقي يوم القيامة من الكوثر ٢٩١
- ومن قرأها لم يمت إلا وربان ولم يبعثه الله إلا ربان، ولم يدخل الجنة إلا ربان ٦٩
- ومن قرأها وأدمن قراءتها بعثه الله مع أمير المؤمنين يوم القيامة وكان من رفقائه ٢٥١

(ي)

- يا علي أنسري من أشقى الأولين ١٨٨
- يا علي أنت حجة الله وأنت باب الله وأنت الطريق إلى الله ٥٣
- يا علي علمت الاسم الأعظم فكان علي لساني يوم بدر ٣١٥
- يا محمد أنت رسول الله وأنا جبرئيل ٢٢٠
- يصد القلب فإذا ذكرته بآلاء الله انجلي عنه ١١٣
- ينزل جبرئيل ليلة القدر في كعبة من الملائكة متضامة يصلون ويسلمون على كل عبد ٢٣٦
- ينفذ البصر في فضة الجنة كما ينفذ في الزجاج ٣١

المصادر

- ١- القرآن الكريم، كتاب الله تبارك وتعالى الحي القيوم.
- ٢- الصحيفة السجادية، الإمام علي بن الحسين عليهما السلام (السجاد) (ت ٩٤ هـ ق)
- ٣- الاحتجاج، الطبرسي أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٥٨٨ هـ ق).
- ٤- أحكام القرآن، الجصاص، أبي بكر أحمد بن علي الرازي.
- ٥- الاختصاص، الشيخ المفيد، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ ق).
- ٦- أسباب النزول، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ ق).
- ٧- الإستبصار فيما اختلف من الأخبار، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، (ت ٤٦٠ هـ ق).
- ٨- الإستبصار في نسب الصحابة الأنصار، عبدالله بن أحمد بن موفق الدين ابن قدامة (ت: ٦٢٠ هـ ق).
- ٩- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير الجزري، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٣٠ هـ ق).
- ١٠- إعانة الطالبين علي حل الفاظ فتح المعين، بكري المكي ابن السيد محمد شطا عمر الله الدمياطي.
- ١١- الألفية والنلفية، الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي.
- ١٢- الأمالي الشيخ الطوسي، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، (ت ٤٦٠ هـ ق).
- ١٣- الأمثال في القرآن الكريم، ابن قيم الجوزية.
- ١٤- بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر محمد تقي (ت ١١١٠ هـ ق).
- ١٥- البداية والنهاية، ابن كثير، أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن عمر البصري الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ ق).
- ١٦- بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام، الصفار، محمد بن حسن (ت ٢٩٠ هـ ق).

- ١٧- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ - ق).
- ١٨- تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ - ق).
- ١٩- تاريخ (الرسل والأمم والملوك)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ - ق).
- ٢٠- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (ت ٥٧١ هـ - ق).
- ٢١- التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، (ت ٤٦٠ هـ - ق).
- ٢٢- تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الامامية، العلامة الحلبي، حسن بن يوسف، (ت ٧٢٦ هـ - ق).
- ٢٣- التحصين في صفات العارفين، جمال الدين احمد بن محمد بن فهد الحلبي (ت ٨٤١ هـ - ق).
- ٢٤- تحف العقول، ابن شعبة، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين الحراني الحلبي (ت ٣٨١ هـ - ق).
- ٢٥- تحفة الأحوذى (شرح جامع الترمذي)، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري الهندي.
- ٢٦- تذكرة الفقهاء، العلامة الحلبي، حسن بن يوسف، (ت ٧٢٦ هـ - ق).
- ٢٧- تذكرة الموضوعات، أبو الفضل محمد بن طاهر بن أحمد المقدسي.
- ٢٨- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، محمد بن محمد العمادي أبو السعود.
- ٢٩- تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، حسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ - ق).
- ٣٠- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت ٦٩١ هـ - ق).
- ٣١- تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، أبو اسحاق احمد بن ابراهيم الثعلبي النيشابوري (ت ٤٣٧ هـ - ق).
- ٣٢- تفسير الجلالين، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي.
- ٣٣- تفسير روح المعاني، أبو الفضل، شهاب الدين محمود الألويسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ - ق).
- ٣٤- تفسير الرازي (روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن)، أبو الفتح حسين بن علي الرازي.
- ٣٥- تفسير السمرقندي (بحر العلوم)، نصر بن محمد بن احمد السمرقندي.
- ٣٦- التفسير الصافي، المولى محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ - ق).

- ٣٧- تفسير العياشي، ابن عياش، أبو النصر محمد بن المسعود بن محمد التميمي الكوفي السلمي السمرقندي (من أعلام القرن الثالث الهجري).
- ٣٨- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر البصري الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ - ق).
- ٣٩- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، القرطبي، أبو عبدالله محمد أحمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـ - ق).
- ٤٠- تفسير القمي، القمي، أبو الحسن علي بن ابراهيم بن هاشم (ت ٣٠٧ هـ - ق).
- ٤١- تفسير الكشاف (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)، أبو القاسم جابر الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٢٨ هـ - ق).
- ٤٢- التفسير المنسوب الي الإمام العسكري عليه السلام.
- ٤٣- تفسير جوامع الجامع، فضل بن حسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ - ق).
- ٤٤- تفسير كنز الدقائق وبحر الفرائد، محمد بن محمد رضا القمي المشهدي.
- ٤٥- تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت ١١١٢ هـ - ق).
- ٤٦- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بمجموعة ورام، ورام بن أبي فراس (ت ٦٠٥ هـ - ق).
- ٤٧- تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين، شرف الاسلام بن سعيد المحسن بن كرامة (ت ٤٩٤ هـ - ق).
- ٤٨- تنزية الأنبياء، الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦ هـ - ق).
- ٤٩- تهذيب الأحكام، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، (ت ٤٦٠ هـ - ق).
- ٥٠- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ - ق).
- ٥١- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ - ق).
- ٥٢- جامع أحاديث الشيعة، السيد حسين البروجردي، (ت ١٣٨٠ هـ - ق).
- ٥٣- جامع الأخبار، محمد بن محمد الشعيري (من أعلام القرن السادس الهجري).
- ٥٤- جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ - ق).
- ٥٥- جامع السعادات، العلامة النراقي، محمد مهدي بن أبي ذر (ت ١٢٠٩ هـ - ق).

- ٥٦- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري الدوسي (ت ٣٢١ هـ - ق).
- ٥٧- الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، محمد بن حسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ - ق).
- ٥٨- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، محمد حسن بن باقر النجفي (ت ١٢٦٦ هـ - ق).
- ٥٩- الجبل المتين في أحكام الدين، الشيخ البهائي، الشيخ محمد بن حسين العاملي (ت ١٠٣٠ هـ - ق).
- ٦٠- الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦ هـ - ق).
- ٦١- حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار عليهم السلام، السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧ هـ - ق).
- ٦٢- الخصال، الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ - ق).
- ٦٣- الدر المتثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ - ق).
- ٦٤- الدعوات (سلوة الحزين)، قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ - ق).
- ٦٥- رسائل المرتضى، الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦ هـ - ق).
- ٦٦- روضة الواعظين وبصيرة المتعظين، محمد بن احمد القتال النيسابوري (ت ٥٠٨ هـ - ق).
- ٦٧- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ - ق).
- ٦٨- زبدة البيان في أحكام القرآن، المقدس الأردبيلي، احمد بن محمد (ت ٩٩٣ هـ - ق).
- ٦٩- سعد السعود، ابن طاووس، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر الحسيني (ت ٦٦٤ هـ - ق).
- ٧٠- سنن ابن ماجة، ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ - ق).
- ٧١- سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن سداد الأزدي (ت ٢٧٥ هـ - ق).
- ٧٢- السنن الكبرى، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨ هـ - ق).
- ٧٣- سير أعلام النبلاء، الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ - ق).
- ٧٤- السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون)، الحلبي، علي بن إبراهيم الحلبي الشافعي.
- ٧٥- شجرة طوبى، محمد مهدي الحائري.
- ٧٦- شرح احقاق الحق، السيد شهاب الدين المرعشي النجفي (ت ١٤١١ هـ - ق).
- ٧٧- شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١ هـ - ق).

- ٧٨- شرح الأزهار (المتزح المختار من الغيث المدرار)، أحمد بن يحيى (ت ٨٤٠ هـ ق).
- ٧٩- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين المدائني المعتزلي (ت ٦٥٥ هـ ق).
- ٨٠- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن عبدالله بن أحمد الحذاء الحنفي النيسابوري (من أعلام القرن الخامس الهجري) (المتوفى بعد سنة ٤٧٠ هـ ق).
- ٨١- صحيح البخاري، البخاري، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن مغيرة بن بوديه الجعفي (ت ٢٥٦ هـ ق).
- ٨٢- صحيح مسلم، القشيري النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ ق).
- ٨٣- الطبقات الكبرى، ابن سعد الواقدي، محمد بن سعد بن منيع الزهري الكاتب (ت ٢٣٠ هـ ق).
- ٨٤- عدة الداعي ونجاح الساعي، جمال الدين أحمد بن محمد بن فهد الحلبي (ت ٨٤١ هـ ق).
- ٨٥- علل الشرايع، الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ ق).
- ٨٦- عوالي اللآلي العزيزية، ابن أبي جمهور، محمد بن علي بن ابراهيم الاحمائي (من أعلام القرن التاسع الهجري).
- ٨٧- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ ق).
- ٨٨- عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي (من أعلام القرن السادس الهجري).
- ٨٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢ هـ ق).
- ٩٠- الفتوحات المكية، محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائفي الأندلسي (ت ١٢٤٠ هـ ق).
- ٩١- فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، ابن طاووس، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر الحسيني (ت ٦٦٤ هـ ق).
- ٩٢- الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام، ابن الصباغ، علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي (ت ٨٥٥ هـ ق).
- ٩٣- فقه القرآن، قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ ق).

- ٩٤- فلاح السائل ونجاح المسائل، ابن طاووس، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر الحسيني (ت ٦٦٤ هـ - ق).
- ٩٥- فيض التقدير (شرح الجامع الصغير)، المناوي، أبو زكريا يحيى بن محمد عبدالرؤف (ت ١٠٣١ هـ - ق).
- ٩٦- قواعد المرام في علم الكلام، ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٩٩ هـ - ق).
- ٩٧- الكافي، الكليني أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الرازي (ت ٣٢٨ هـ - ق).
- ٩٨- كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس، العجلوني، اسماعيل بن محمد (ت ١١١٩ هـ - ق).
- ٩٩- كشف الغطاء عن مبهمات شريعة الغراء، كاشف الغطاء، جعفر بن خضر (ت ١٢٢٧ هـ - ق).
- ١٠٠- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين (ت ٩٧٥ هـ - ق).
- ١٠١- كنز الفوائد، محمد بن علي الكراچكي (ت ٤٤٩ هـ - ق).
- ١٠٢- كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق، عبدالرؤف بن تاج العارفين المناوي الحدادي (ت ١٠٣١ هـ - ق).
- ١٠٣- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم، ابن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١ هـ - ق).
- ١٠٤- لسان الميزان، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت ٨٥٢ هـ - ق).
- ١٠٥- مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل (ت ٥٤٨ هـ - ق).
- ١٠٦- المجموع في شرح المذهب، يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ - ق).
- ١٠٧- المحاسن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي، (ت ٢٨٠ هـ - ق).
- ١٠٨- المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، المولى محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ - ق).
- ١٠٩- المحصول في علم الأصول، محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت ٦٠٦ هـ - ق).
- ١١٠- المجلى في شرح المجلى بالحجج والآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري (ت ٤٥٦ هـ - ق).
- ١١١- مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ - ق).

- ١١٢- مصباح المتعجب، ابن طاووس، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر الحسيني (ت ٦٦٤ هـ ق).
- ١١٣- المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العنسي الكوفي (ت ٢٣٥ هـ ق).
- ١١٤- مكارم الأخلاق، أبو نصر رضي الدين حسن بن فضل الطبرسي (من اعلام القرن السادس الهجري).
- ١١٥- الملاحم والفتن، ابن طاووس، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر الحسيني (ت ٦٦٤ هـ ق).
- ١١٦- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ ق).
- ١١٧- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي السروي المازندراني (ت ٥٨٨ هـ ق).
- ١١٨- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ ق).
- ١١٩- النصائح الكافية، السيد محمد بن عقيل بن عبد الله بن عمر بن يحيى العلوي (ت ١٣٥٠ هـ ق).
- ١٢٠- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ ق).

المحتويات

٥	سورة القيامة
١٩	سورة الإنسان
٣٩	سورة المرسلات
٥١	سورة النبأ
٦٩	سورة النازعات
٨١	سورة عبس
٩١	سورة التكويد
١٠٣	سورة الانفطار
١٠٩	سورة المطففين
١١٩	سورة الإنشاق
١٢٧	سورة البروج
١٤١	سورة الطارق
١٤٧	سورة الأعلى
١٥٥	سورة الغاشية
١٦٣	سورة الفجر
١٧٧	سورة البلد
١٨٥	سورة الشمس

١٩١.....	سورة الليل
١٩٧.....	سورة الضحى
٢٠٥.....	سورة الشرح
٢١١.....	سورة التين
٢١٧.....	سورة العلق
٢٣١.....	سورة القدر
٢٣٩.....	سورة البينة
٢٤٥.....	سورة الزلزلة
٢٥١.....	سورة العاديات
٢٥٧.....	سورة القارعة
٢٦١.....	سورة التكاثر
٢٦٥.....	سورة العصر
٢٦٩.....	سورة الهمزة
٢٧٣.....	سورة الفيل
٢٨٣.....	سورة قريش
٢٨٧.....	سورة الماعون
٢٩١.....	سورة الكوثر
٢٩٥.....	سورة الكافرون
٢٩٩.....	سورة النصر
٣٠٣.....	سورة المسد
٣٠٩.....	سورة الإخلاص
٣١٧.....	سورة الفلق

٣٥١	المصادر
<hr/>	
٣٢٥	سورة الناس
٣٣١	فهرس الأحاديث
٣٤١	المصادر
٣٤٩	المحتويات